

ج ١١ و ١٢ الجهاديان ١٤٠٦ هـ - كانون ثاني / شباط (يناير/فبراير) ١٩٨٦ م

البلدانيات الحديثة من مصادر الدراسات الجغرافية

حين قرأت ما كتبه الأخ الحبيب الأستاذ عبدالله محمد الحبشي عن رحلة الحافظ ابن حجر إلى اليمن في هذا الجزء من «العرب» ذكرت أنني اطلعت في أحد المؤلفات على كلام منسوب للحافظ يتعلق بضبط اسم (أبي عريش) المدينة المعروفة في منطقة جازان (المخلاف السليمان). وأنه ضبطه بضم العين، خلافاً لما هو معروف الآن.

مركز تحقيق التراث بالرياض

وحين راجعت الأخ الأستاذ الحبشي مستوضحاً: أليس للحافظ بن حجر رحلة مؤلفة يصف فيها ما شاهده في بلاد اليمن؟ ، وذكرت له ما قرأته من الكلام المنسوب إليه، نفى الأستاذ الحبشي علمه بكون ابن حجر ألف عن رحلته، وقال: لعل اسم أبي عريش ورد في أحد مرويات ابن حجر فيما يسمى (بالبلدانيات).

وكان لدي نسخة مصورة من «بلدانيات السخاوي» أكرماني الأستاذ الباحث المحقق أبو عبد الرحمن بن عقيل بتلك النسخة، كنت استفدت منها حين نشرت رسالة ابن فهد «حسن القرى في ذكر أودية أم القرى» في مجلة «العرب» - س ١٨ ص ١ وما بعدها - ونقلت من مقدمتها كلام مؤلفها عن أول من ألف في البلدانيات، وهي الأحاديث النبوية التي رواها علماء منسوبون إلى بلدان متعددة،

وأنه عتيق بن علي بن داود السمنطاوي الصُّقْلِي المتوفى سنة ٤٦٤هـ تلميذ الحافظ أبي نعيم الإصبهاني.

ثم رجعت هذه الأيام إلى مطالعة الكتاب (بلدانيات السخاوي) فرأيت فيه مما يفيد الباحثين في معرفة ما تتصف به أشهر البلدان الإسلامية في القرن التاسع الهجري، ما هو جدير بالاهتمام والدراسة، بحيث يعتبر من المراجع التي لا يستغني عنها من يهتم بوصف البلدان ودراسة أحوالها.

وقد رأيت من المناسب أن أقدم للقاريء نماذج مما تحدث به السخاوي عن عدد من المدن المشهورة في أقطار العالم الإسلامي حسبما شاهدها في عصره.

ومن المعروف أن الحافظ السخاوي ولد سنة ٨٣١هـ في مدينة القاهرة وتوفي سنة ٩٠٢هـ في المدينة المنورة، وأنه قام بسياسة في كثير من البلدان الإسلامية، وله مصنفات كثيرة أشهرها «الضوء اللامع» و«التحفة اللطيفة في أخبار المدينة الشريفة». وقد ترجم نفسه في «الضوء».

والحافظ السخاوي ممن عُني بعلم الحديث النبوي، فهو حينما يورد الحديث الذي يرويه يتبعه بذكر من خرجه، ويورد مختلف الروايات فيه، وما يتصل به من الآثار مما يهتم به الدارسون للحديث النبوي الشريف.

وقد بدأ كتابه بذكر خمس مدُن ذات فضائل مشهورة في العالم الإسلامي، لم يُراع في إيرادها ذكرها في مواضعها بحسب ترتيب الحروف، بل قدّمها لفضلها، ثم اتبعها بالبلدان مرتبة على الحروف، فبدأ باسم (اسكندرية) واستمر في الترتيب حتى كان آخر ما ذكر (ينبع) وهو البلد الثمانون، قال عنه: البلد الثمانون: ينبع وهي بفتح المثناة التحتانية وضم الموحدة - وقد تُشَبَّعُ^(١) - ثم عين مهملة: قرية كبيرة من بلاد الحجاز، قريبة من المدينة الشريفة، بينهما سبع مراحل، بها حصن وعيون جارية حلوة طيبة، وحدائق وبساتين، وينزلها الحجيج المصري ذهاباً وإياباً ولها فُرْصَةٌ على البحر، على حمرحلة منها، ويقربها جبل رَضْوَى مُطْلٌ عليها من شرقها، يحمل منه حجر المِسْن إلى سائر الأقطار، وأكثر سكانها أو الكثير منهم

زَيْدِيَّةٌ شُرَفَاءُ مِنْ بَنِي حَسَنِ، سُمِّرُ الْأَلْوَانِ، وَيُقَالُ: إِنَّ بِهَا وَقْفًا لِعَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَتَوَلَّاهُ أَوْلَادُهُ، وَهِيَ مِمَّنْ سَمِعَ بِهَا شَيْخُنَا(*) وَشَيْخُهُ، وَحَدَّثَ بِهَا الْوَلِيُّ الْعِرَاقِيُّ بِقِرَاءَةِ الشَّرَفِ الْمَنَافِيِّ، وَكَذَا سَمِعَ بِهَا أَبُو حَيَّانٍ وَمَسْعُودُ الْحَارِثِيُّ الْحَنْبَلِيُّ عَلَى عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مَرْزُوقِ الْمَدَنِيِّ، وَكُنْتُ مِمَّنْ سَمِعَ بِهَا الْحَدِيثُ مِمَّنْ أوردتُ حَدِيثَهُ فِي (الْعُقْبَةِ)، وَكَذَا فِي (سَرِيَاقُوسَ) وَلَقِيتُ بِهَا الشَّيْخَ عَلَاءَ الدِّينِ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الشِّيرَازِيَّ ثُمَّ الْمَكِّيَّ الشَّافِعِيَّ فَسَمِعْتُ مِنْ لَفْظِهِ خُطْبَةً شَرَحَ عَلَى «الْحَاوِي» وَشَيْئًا مِنْ أَوَّلِ تَفْسِيرِهِ، وَأَشْيَاءَ مِنْ تَصَانِيفِهِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَتَّهَيَّأْ لِي الْآنَ لِإِرَادِ شَيْءٍ مِنْهُ، وَأَخْبَرَنِي أَبُو الْفَضْلِ بْنُ أَحْمَدَ الْأَزْهَرِيُّ وَكَانَ جَارِي فِي النُّزُولِ بِهَا حِينَ تَوَجَّهْنَا إِلَى مَكَّةَ، وَغَيْرِهِ بِغَيْرِهَا عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ عَثْمَانَ الْحَنْفِيِّ. ح^(٢) - وَأَخْبَرَنِي عَلِيًّا الْعِزُّ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنُ مُحَمَّدٍ كِلَاهُمَا عَنْ الْعِزِّ أَبِي عَمْرِو بْنِ جَمَاعَةَ فِيمَا أَنْشَدَ لِنَفْسِهِ:

اعْذُرْ أَخَاكَ إِذَا وَافَى بِمَنْكَرَةٍ فَهَلْ رَأَيْتَ صَدِيقًا مَالَهُ زَلُّ؟
وَهَلْ رَأَيْتَ صَفَاءً مَا بِهِ كَدْرٌ؟ ضَوْءُ السَّرَاجِ لَهُ التَّدْخِينُ يُحْتَمَلُ

سَرَّ اللَّهُ عِيُونَنَا وَغَفَرَ ذُنُوبَنَا وَجَمَعَنَا مَعَ أَهْلَابِنَا وَأَهَالِينَا فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى أَشْرَفِ خَلْقِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَوَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. انتهى.

وسأورد بعض ما ذكر من البلدان مرتباً حسب ترتبه، ولا أُطِيلُ بذكر ما لا يَتَّصِلُ بِتِلْكَ الْبُلْدَانِ:

١ - الْبَلَدُ الْأَوَّلُ: جُدَّةُ: وَقُدِّمَتْ لِلضَّرُورَةِ وَهِيَ - بِضَمِّ الْجِيمِ وَتَشْدِيدِ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ، ثُمَّ هَاءٍ - بُلَيْدَةٌ بِشَاطِئِ الْبَحْرِ عَلَى مَرَحِلَتَيْنِ مِنْ مَكَّةَ بَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ مِيلًا، وَهِيَ مَرَسَاتُهَا، وَفُرِضَتْهَا بِلْ سَاحِلُهَا الْأَعْظَمِ، وَمِنْهَا يَرْكَبُ الْمَسَافِرُ فِي الْبَحْرِ إِلَى الْبِلَادِ، وَأَوَّلُ مَنْ جَعَلَهَا سَاحِلًا عَثْمَانُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بَعْدَ اسْتِشَارَتِهِ النَّاسَ فِي ذَلِكَ لَمَّا سُئِلَ فِيهِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَكَانَ سَاحِلُ مَكَّةَ قَبْلَ ذَلِكَ الشُّعْبِيَّةَ، وَيُرْوَى فِي فَضْلِهَا مِمَّا لَا يَصِحُّ عَنْ ابْنِ عَمْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - مَرْفُوعًا: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ أَفْضَلُ الرِّبَاطِ رِبَاطُ جُدَّةَ، وَعَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

— رفعه أيضاً: أربعة أبواب من أبواب الجنة مفتحة في الدنيا أولهنَّ الاسكندرية، وعسقلان وقزوين وعبادان، وفضل جدة على هاؤلاء كفضل بيت الله الحرام على سائر البيوت، ذكرهما ابن الجوزي في «الموضوعات» وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه أيضاً: مكة رباط، وجدة جهاد، أخرجه الفاكهي، وسنده ضعيف جداً، وهو عنده عن ابن جريج من قوله، وقال ابن جريج عقبه: وإني لأرجو أن يكون فضل المراتب بها على غيرها كفضل مكة على سائر البلدان، وعنده أيضاً من جهة ابن جريج عن عطاء قال: إنما جدة خزانة مكة، وإنما يؤتى به إلى مكة، ولا يخرج به منها، ومن جهة ضوء بن فاجر، قال: كنت جالساً مع عباد بن كثير في المسجد الحرام فقلت: الحمد لله الذي جعلنا في أفضل المجالس، وأشرفها، فقال: وأين أنت عن جدة؟ الصلاة فيها سبعة عشر ألف صلاة، والدرهم فيها مئة ألف، وأعمالها بقدر ذلك، يغفر للناس فيها مئة بصره. قلت: رحمك الله مما يلي البحر؟ فقال: مما يلي البحر. ومن جهة عبيد الله بن سعيد بن قنديل قال: جاءنا فرقد السبخي بجدة فقال: إني رجل أقرأ هذه الكتب، وإني لأجد فيها أنزل الله عز وجل من كتبه: جدة أو جدة يكون بها قتل وشهداء لا شهيد يومئذ على ظهر الأرض أفضل منهم^(٢)، وذكر ابن جبير^(٣) أنه رأى بها أثر سور محدي بها، وأنه كان بها موضع فيه قبة مشيدة عتيقة، يذكر أنها منزل حواء أم البشر، زوج آدم — عليهما السلام — فلعله المكان الذي يقال له الآن قبر حواء، وقد قال ابن عباس — رضي الله عنهما — كما عند الفاكهي: إن قبرها بجدة، ومما ذكره ابن جريج: أن بها مسجدَيْن يُنسبان لعمر بن الخطاب — رضي الله عنه — يقال لأحدهما مسجد الأبنوس، لساريتين فيه من خشب الأبنوس، وهو معروف إلى الآن، وأما الآخر فيمكن أن يكون هو المسجد الذي تقام فيه الجمعة بها، وهو من عمارة المظفر صاحب اليمن فيما قيل^(٤)، وهي من البلاد التي سمع بها الطبراني على بعض شيوخه، وأبو حيان على أحمد بن محمد بن الحسن الحرازي الزبيدي، وكذا شيخنا^(*) وإليها ينسب جماعة منهم أحمد بن سعيد بن فرقد، وجابر بن مرزوق أبو عبد الرحمن، وحفص بن عمر بن عبد الله، وعبد الملك بن إبراهيم، وعلي بن محمد القطان شيخ لأبي محمد الأكفاني.

وفي الصحابة - رضي الله عنهم - من ينسب الجدّي - بفتح الجيم لكون في بعض أجداده من اسمه الجدّ، وكذا في الألقاب الجدّي - بضم الجيم وفتح المهملة وتثقيب الياء - لسعيد بن عبدوس الأندلسي، بل وفي الأسماء عدة كذلك، والله الموفق.

ثم أود الحديث النبوي الشريف: «الراحمون يرحمهم الرحمن».

وفي آخر الفصل أورد من شعر شيخه أبي الحسن علي بن إبراهيم قوله:
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى قُبَّةً بِهَا حَبِيبُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَسُولُ؟
مُحَمَّدُ الْمُخْتَارُ مِنْ نَسْلِ هَاشِمٍ وَهَلْ لِي إِلَى تِلْكَ الدِّيَارِ وَصُولُ؟

٢ - البلد الثاني: مكة: وهي بلدة شريفة متسعة، فضائلها متنوعة، في بطن وادٍ، لعظم بركته يتسارع إليه العباد، تُحْدِقُ بها جبال، هي لها كالسور العال، وفيها بيت الله الحرام، الذي تُحْطُّ عن قاصده الأوزار والآثام، ويأمن في المخاوف داخله، ولا تُرَدُّ مسائله ورسائله، وهو قبلة المسلمين أحياء وأمواتاً، ونحلة الملبين جمعاً وأشتاتاً، وقد قرأت الحديث فيه، وفي الحجر، ومقام سيدنا إبراهيم الوحيه، ومقام الحنفية المكرم، وعلى شفير زمزم المعظم، وبسقاية سيدنا العباس، وعلى جبل أبي قبيس بدون العباس، وبالمكان المأثور لمولد المصطفى، وغيرها من الأماكن فخراً وشرفاً، يسر الله إلى العود إليها سبيلاً، ونشر على أهلها ظلاً ظليلاً.

أخبرني الإمام الثقة أبو الفتح محمد بن أبي بكر بن الحسين المدني الشهير بالمراغبي فيما قرأت عليه بالمسجد الحرام تجاه الكعبة - زادها الله تعالى شرفاً وتعظيماً - وأبو الفتح محمد بن عمر القاهري إذناً، كلاهما عن الإمام الحافظ البهاء أبي محمد عبدالله بن محمد بن أبي بكر بن خليل - وساق السند -

ثم أورد حديث: «يا بني عبد مناف إن وليتُم من هذا الأمر شيئاً فلا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت فصلّى أي ساعة شاء، من ليل أو نهار».

ثم تكلم على هذا الحديث بتوسّع.

٣ - البلد الثالث: المدينة: وهي التي إليها هاجر الرسول، وبها قبره الشريف المشتمل على كل خير منقول، والثابت في شريف السنة: أن ما بينه وبين منبره روضة من رياض الجنة، وفي تربتها وحيطانها وهوائها من الرائحة الطيبة مالا يتناهى، ولذا كان طابئة وطيبة والمطيبة من أسماءها لطابق ذلك مسماها، وهي محروسة عن الأعور الدجال، ومأنوسة على مر الأيام والليال، من أحدث فيها حدثاً أو آوى بها محدثاً فهو ملعون، مستحق للشديد من العذاب الهون، وبمزيد البركة فيها دعا الشارع، وشوهد بها منها ما تقر به العيون، وتلد بذكره المسامع، وقد قرأت الحديث هناك تجاه الحجرة المعظمة، وتشرفت بذاك أيضاً في عدة من أماكنها المحترمة، حقق الله لنا إليها الرجوع، ووفق لسلوك تلك المعاهد والربوع.

أخبرني الإمام البدر عبدالله بن محمد بن عبدالله اليعمرى المغربي المدني قاضيه المالكى، ويعرف كاسلافه بابن فرحون، بقراءتي عليه بالمسجد النبوي تجاه الحجرة الشريفة على ساكنها - أفضل الصلاة والسلام.

وأورد بسنده الحديث النبوي: «إنكم ستجندون أجناداً، فجنداً بالشام وجنداً بالعراق وجنداً باليمن» إلى آخر الحديث الذي اتبعه بيان طرقه ومختلف رواياته.

٤ - البلد الرابع: بيت المقدس: واسمه أيضاً إيليا، وهو بلد فضائله لا تستقصى، وشمال بهجتها زائدة بمسجده الشريف الأقصى، ثالث الحرمين، وثاني المسجدين، وأول القبلتين، ذي الصخرة المعظمة، والقبّة النضرة المحترمة، لا تُشدُّ الرّحالُ بعد المسجدين إلا إليه، ولا تُعقّدُ الخناصر بعد الموطنين إلا عليه، به صلى الرسول بالأنبياء عليهم السلام ليلة الإسراء، وعُرج به منه إلى السماء بدون شكٍّ وامتراء، الصلاة فيه مع الإخلاص، وعدم الاشتباه، تفضل عليها في غير المسجدين بخمس مئة أو بألف صلاة، ولشرفه سأل الكليم موسى - عليه السلام - عند وفاته ربّه، الدُّنُو منه ليفوز بتلك القربة، بل استوطنه وورده خلق من الأنبياء والصحابة والأعيان، جديرون بإفرادهم في ديوان، وكنت بمن تشرف بسلوكه، وتعرف بالأخذ عن أجلاء السند فيه وملوكه، تفضل الله الكريم بالعود إليه، وتطول بما المعول في تحقيقه عليه.

أخبرني الشيخان الإمام التقي أبو بكر وأسماء ابنا محمد بن إسماعيل القلقشندي، بيت المقدس، قلت لهما: أخبركما الشهاب أبو الخير أحمد بن الحافظ أبي سعيد العلائي سماعاً للمرأة وإذناً إن لم يكن سماعاً للآخر - وساق السند - ثم أورد الحديث عن ميمونة مولاة لرسول الله ﷺ قالت: قلت يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس، فقال ﷺ: «اثْبُوهُ فَصَلُّوا فِيهِ» قالت: فكيف والروم إذ ذاك فيه؟ قال ﷺ: «فإن لم تستطيعوا فابعثوا بزيت يُسْرَجُ في قناديله». ثم أورد آثاراً وأخباراً تتصل ببيت المقدس.

٦ - البلد الخامس: بلد الخليل: ويقال له حَبْرُون - بفتح المهملة ثم موحدة ساكنة ثم راء مهملة وآخره نون - وهو في وَهْدَةٍ بين جبال كثيفة الأشجار بيقين، أغلب فواكهها الزيتون والخرنوب والتين، وبينه وبين القدس بدون إشكال، ستة أميال، وإنما أضيف للخليل أبي الأنبياء الكرام لشرفه بكونه محلاً لدفنه مع ولده اسحاق وحفيده يعقوب - عليهم الصلاة والسلام - وكذا لِدَفْنِ زوجته الصديقة أم اسحاق، المتوفية قبله باتفاق، بل كل ذلك مما تلقاه الجيل بعد الجيل، من زمن بني اسرائيل، وإلى هذا الوقت بدون تبديل، وانهم في المربعة التي بناها السيد سليمان، وهي المغارة التي اشتراها الخليل من قرية حبرون بأرض كنعان، وهو محل شريف، مفضل منيف، خصوصاً تلك المربعة، المتضمنة للقبور الشريفة الأربعة، على وجه الإجمال لا التعيين المزيل للاحتمال، ولذا كان المتعين في جميعها الإجلال، وصبون كل موضع منها عن أن تدوسه النساء والرجال، وقد قرأت الحديث بتلك البقعة، راجياً بركة ذلك ونفعه، وشهدت ذلك السَّاطِ المأنوس، وودت التفضل من الرب سبحانه بإدراك الاغتباط بالعود لهذا المحل المحروس.

أخبرني المقرئ الخير صلاح الدين خليل بن أحمد بن عيسى بن العلامة صلاح الدين الفيمري الكردي الخليلي بقراءتي عليه بمسجدها الشريف.

وروى بسنده إلى كعب بن عجرة - رضي الله عنه - قال: لما نزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ قلنا:

يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك ؟ قال ﷺ : «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد».

ثم بعد أن أكمل الكلام على طرق هذا الحديث، وذكر من خرجه، بدأ بسرد أسماء البلدان التي تلقى فيها الحديث والآثار مرتبة على حروف المعجم، فعُدَّ من بلدان مصر خمسة وأربعين بلداً هي : اسكندرية وأناباة وبرطس وبركة الحاج وبَلْبَيس وبولاق وترسا وتَفَهْنَا وجزيرة الفيل والجزيرة الوسطى والجيزة والخانقاه السَّرْيَاقُوسِيَّة (شرقي مصر) والخطارة، ودسوق ودمياط ودنجية، وأم دينار ورشيد وسِرْس، وسرياقوس وسمنود، وشبرا الخيمة، وصالحية القاهرة، والطالبية وطنان وعمریط، وفارسكور وفُوَّة وفيشا الصغرى، والقاهرة، والقرافة وقلوب وكوم الرِّيش والمحلة والمرج ومصر ومنشأة المهراي، والمنصورة ومنوف ومنية الأمراء^(٥) ومنية الرُدَيْنِي، ومنية عَسَّاس، ومنية عُقْبَة، ومنية نابت ووسيم.

وذكر من البلاد الشامية (سورية وفلسطين ولبنان والأردن) أربعة وعشرين بلداً منها بيت المقدس وبلد الخليل اللذان تقدم ذكرهما، والباقي هي : أطرابلس (طرابلس) وبرزة وبعليك وجبرين وحلب وحماة وحمص وداريا ودمشق والرملة والزبداني وسرميس، وصالحية دمشق، والطور، وعقبة ايلة وغزة وقطيا وكفر بطنا والمجدل والمزة، ومعرة النعمان ونابلس.

أما بلاد الحجاز فقد بدأ بثلاثة منها هي المدينتان الكريمتان وجدة، ثم اتبعها بذكر ثمانية مواضع هي بحسب ترتيبها الأبجدي : بَدْرُ والجعرانة وخُلَيْص ورابغ والطائف، وعرفات ومنى وينبع.

وسأكتفي الآن بعرض كلام المؤلف عن المواضع الواقعة في الحجاز في هذا العرض الموجز، قال :

البلد التاسع : بَدْرُ : وهي قرية شهيرة بين مكة والمدينة، بل هي إلى المدينة أقرب

بكثير، سُمِّيَتْ - فيما قيل - باسم بثر نُسبت لبدر بن مُحَمَّد بن النضر بن كنانة لتزوله به، أو لبدر بن الحارث، أو لأنه لاستدارته وصقاء مائه كأنَّ البدر يجري فيه، وقال الواقديُّ فيما حكاه عن غير واحد من شيوخ بني غِفَّار: إنه ما ملكها أحد قطُّ يقال له بدر، بل هي ماؤنا ومنازلنا، وإنما هو عَلَمٌ عليها كغيرها من البلاد. انتهى.

وفيهما كانت الغزوة الشهيرة المختص كلُّ من شهدا من الصحابة - رضي الله عنهم - بمزيد الفخر، ويقال: إنَّ قبور المستشهدين فيها إذ ذاك بالقرب منها، من جهة المغرب، بل هناك فيما قيل أيضاً: موضع يُذكر بأثر قدم النبي - ﷺ - وأثر ناقته، وماؤها حلوى، وبها بساتين وحدائق، والنسبةُ إليها بَذْرِي.

أخبرني الإمام الكمال محمد بن عبد الواحد السكندريُّ الأصل فيما قرأت عليه ببدر.

وساق سنده إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - كان يتعوَّذ من خمسٍ، من البخل والجبن وفتنة الصدر وعذاب القبر وسوء العمر.

ثم أورد كلام علماء الحديث عن مرتبته من حيث الصحة.

البلد الحادي والعشرون: الجُعْرانة: وهو بالكسر مع سكون العين وقد تكسر لكن مع تشديد الراء كما لابن وهب، وأكثر المحدثين، والأول للشافعي والأصمعي ومحققي المحدثين وغيرهم، قال صاحب «المطالع»: وكلاهما صواب - : وإد في الحلِّ بين الطائف ومكة هو إليها أقرب، أحرم منه النبي - ﷺ - في ذي القعدة حيث قسم غنائم حُنَيْنٍ، ولذا كان أفضل بقاع الحِلِّ، وقرأت هناك «الإبانة» فيما ورد بالجُعْرانة على مؤلفه رحمه الله تعالى^(٦) إذ رَحَلْتُ من مكة إليها بقصد الاعتبار.

وأخبرني بها أبو محمد عبد الرحيم بن الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن محمد اللُّخمي بقراءتي أنبأنا أبي، أنبأنا أبو النون الدبوسي عن أبي محمد عبد المنعم بن رضوان، أنشدنا أبو القاسم السُّهيلي لنفسه إجازة من المغرب مما كتبه عنه أبو

الخطاب بن دحية الحافظ وذكر قائلها أنه ما سأل الله بها أحد شيئاً إلا أعطاه إياه :

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضُّمِيرِ وَيَسْمَعُ	أَنْتَ الْمُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا	يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَفْزَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ (كُنْ)	أَمِنُ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَالِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ	وَبِالْإِفْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَذْفَعُ
مَالِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ	فَلَيْتَ رَدَدْتُ فَأَيُّ بَابٍ أَقْرَعُ ؟
وَمَنْ الَّذِي أَذْعُو وَاهْتِفُ بِاسْمِهِ	إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ
حَاشَا لِحُودِكَ أَنْ تُقْنَطَ عَاصِيَا	الْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ

انتهى ما ذكره في هذا الفصل بحيث لم يورد حديثاً نبوياً.

البلد الثامن والعشرون : خُلَيْص : - وهي بمعجمة مضمومة، ثم لام وصاد مهملة بينهما مثناة تحتانية - : قرية من أرض الحجاز، قرية من قُذَيْدٍ بل على مرحلتين فأكثر من مكة بها عين ماء طيب حلو صافٍ، وبركة هائلة، تنسب عمارتها لأرغون الدواذار، نائب السلطنة بالديار المصرية في أيام الناصر محمد بن أستاذه قلاوون، وأظنه إن صَحَّ كان في سنة عشرين وسبع مئة فما بعدها، لأنه حج في هذه السنة ومشى وهو بهيئة الفقراء متمسكاً من مكة إلى عرفة^(٧)، وقد جددها بعد السبعين سلطان الوقت^(٨) تجديداً حسناً، وأجرى العين إليها، بل وعمر بجانبها مسجداً متسعاً - جزاه الله بحسن قصده خيراً.

وقد سمع بها شيخنا رحمه الله تعالى واقتفيت أثره في ذلك.

أخبرني بها محمد بن النجم القاضي، وبالديار المصرية التقيُّ ابنُ الكمال الحنفي قراءةً.

وأورد بعد السند هذا الأثر: قال علي بن الفضيل بن عياض لأبيه : يَا أَبَتِ مَا أَحَلَّى كَلَامَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ - . قال : يَا بَنِي أَوْ تَدْرِي لِمَ حَلَا ؟ قال : لَا . قال : لَأَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى . انتهى ما ذكره في هذا البلد.

البلد الخامس والثلاثون: رابغ: - وهي براء مهملة وموحدة ثم غين معجمة بوزن فاعل - : بين بدر وخُلَيْص، من نواحي الحجاز، قريبة من البحر، بينها وبين مكة خمسة مراحل أو ستة، وهي ميقات الحجيج المصري، ومن يشركهم، لمحاذاتها للجُحْفَةِ المسماة أيضاً مَهْيَعَة - بوزن عُلْقَمَة - ميقاتهم وكذا الشاميين، ويُنْصَبُ برابغ سوقٌ عظيم وماءٌ حفائرها حُلُوٌ لكنه ثَقِيلٌ.

أخبرنا بها أبو محمد بن أبي أحمد المقرئ بقراءتي عن أحمد بن أبي الفضل وأبي الخير الدمشقي مشافهةً منها.

(ح) وأخبرني عالياً عبد الرحمن بن عمر اللخمي في كتابه.

وساق بالسند إلى أنس - رضي الله عنه - قال: إن الرُبَيْعَ عمته لطمت جاريةً فكسرت سنّها، فعرضوا عليهم الأُرْشَ فأبوا، فطلبوا العفو فأبوا، فأتوا النبي - ﷺ - فأمرهم بالقصاص، فجاء أخوها أنس بن النضر فقال: يا رسول الله أَنْكَسِرُ سِنَّ الرُّبَيْعِ؟ والذي بعثك بالحق لا نَكْسِرُ سِنّها، قال ﷺ: «يا أنس كتاب الله القصاص». فعفا القوم، فقال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره».

ثم ذكر منزلة الحديث وبعض روايته وذكر من أخرجه.

البلد السابع والأربعون: الطائف: - وهي بفتح الطاء المهملة وكسر المثناة التحتانية وآخرها فاء: مدينة على اثني عشر فرسخاً من مكة، كثيرة الفواكه والمياه الطيبة، طيبة الهواء، أبرد مكان بالحجاز، وربما جمد الماء في ذروة غُرُوان الجبل التي هي على ظهره وأكثر ثمرها الزبيب، حاصرها رسول الله - ﷺ - بعد فتح مكة لما فرغ من حُنَيْنٍ، واستشهد معه فيها غير واحدٍ من المهاجرين والأنصار، ويُنسب إليه بها عدة آبار منها بناحية لَيْئَة بشرُّ يقال إنه ﷺ شرب منها، وشهرتها بالفضل تُغْنِي عن الإطالة بشرحه، ويروى في سبب تسميتها أن جبريل - عليه السلام - اقتلع قرية من الشام ثم طاف بها بالبيت أسبوعاً، ثم وضعها إجابة لدعوة إبراهيم الخليل - عليه السلام - لما قال: ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ وبها

مات ابن عباس ومحمد بن الحنفية وغيرهما من السادات - رضي الله عنهم - ،
وأكثر من نزلها ثقيف، واعتزل بها المغيرة بن شعبة، وكذا أقام فيها الحكم بن أبي
العاص عم عثمان بن عفان - رضي الله عنهما - ووالد مروان، بإرسال النبي -
ﷺ - به إليها، فاستمر إلى خلافة عثمان، فأعاده إلى المدينة حتى مات، ولم يزل
أهل مكة وغيرها يرحلون إليها للزيارة والتزعة، وانتسب إليها جماعة قديماً
وحديثاً، ويروى: صيد وَجٍّ وعِصَاهُ حرام ومحرم، ووجُّ موضع بناحية
الطائف، وقيل: هو اسم لخصونها، وقيل: اسم واحد مخصوص منها^(٩) ولذا قال
الحُمَيْدِيُّ: إنه هو الطائف، وعن سعيد بن المسيب: وَجٌّ وادٍ مقدَّسٌ، وكذا جاء
عن كعب، وتحريمه يحتمل أن يكون على سبيل الحمى له، ويحتمل أن يكون حرمة
في وقت معلوم، ثم نسخ. قاله ابن الأثير.

أخبرني الشيخ أبو القاسم بن أبي أحمد الهاشمي بقراءتي عليه في القبة المباركة
تجاه ضريح ابن عباس - رضوان الله عنهما - من الوادي المقدس، عن أبي بكر بن
الحسين العثماني.

ثم ساق السند إلى محمد بن موسى البصري قال: كان أحمد بن المعدل - رحمه
الله - إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ قام من الليل يُصَلِّي ويأمر أهله بالصلاة ويتلو هذه الآية ﴿وَأْمُرْ
أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا، نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾.

ثم يُنشد:

أَشْكُو إِلَيْكَ حَوَادِثًا أَقْلَقْنِي	فَتَرَكْنِي مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ
مَنْ لِي سِوَاكَ يَكُونُ عِنْدَ شِدَائِدِي	إِنْ أَنْتَ لَمْ تَكُلْ فَمَنْ يَكُلَانِي؟
لَسَوْلاً رَجَاؤُكَ وَالَّذِي عَوَّدْتَنِي	مِنْ حُسْنِ صُنْعِكَ لَا سَتُطِيرَ جَنَانِي

وشافهني المذكور عن الجمال محمد بن علي بن محمد القرشي الشيبلي^(١٠) قوله:

يَا أَيُّهَا الطَّائِفُ فِي حَيْثِهِمْ	دَمَعِي غَدَا كَالْمِطْرِ الْوَائِفِ
مُذْغِبَتْ عَنْ عَيْنِي فَأَوْحَشْتَنِي	فَصِحْتُ وَأَشَوْقِي إِلَى الطَّائِفِ!

البلد الخمسون: عرفات: وعرفة: اسم موضع الوقوف، قيل: سميت بذلك لأن آدم عَرَفَ حواء - عليها السلام - هناك وقيل: لأن جبريل عَرَفَ إبراهيم - عليها السلام - فيها المناسك وقيل: لاعتراف الناس فيها بذنوبهم، وسؤالهم غفرانها، وقيل: لغير ذلك. وجمعت وإن كان موضعاً واحداً لأن كل جزء منها يسمى عرفة، ولهذا كانت مصروفة كقصبات، قال النحاة: ويجوز ترك صرفه كما يجوز في أذرعَات ونحوها على أنها اسم مفرد لبقعة ولذا كما حكاه النووي قُرِيء ﴿فَإِذَا أَقْسَمْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ بفتح التاء بدون تنوين، وقد عمر سلطان الوقت عينها بعد انقطاعها ذهراً حتى جرت، ووصل الماء إليها في سنة خمس وسبعين^(١١)، وكذا أصلح فساقِيهَا وقُبَّتْهَا وأعلامها مع مسجد نمرة منها، بل وعمل بها صهريجاً، إلى غير ذلك من المآثر التي شرحت في محل آخر مما عم الانتفاع به، وكثرت فيها المياه جداً بعد عزَّتْهَا، جوزي على ذلك خيراً، ومن سمع بها الذهبي. أخبرني الوالد رحمه الله بها في آخرين بغيرها عن أبي زُرعة بن عبد الرحيم الحافظ إذنا (ح) - وأخبرني يعلو العز أبو محمد الحنفي كلاهما عن العز أبي عمر بن جماعة قال الأول سماعاً: أنبأنا أبو الفضل بن عساكر عن أم المؤيد زينب ابنة أبي القاسم الجرجاني، أنبأنا العلامة أبو القاسم الرُّمَيْشِي أنشدنا أحمد بن محمد إسحاق الخوارزمي، أنشدنا أبو سعيد المحسن بن محمد الجشمي في كتاب «جلاء الأبصار في الأخبار» أنشدنا الحاكم أبو الفضل إسماعيل بن محمد بن الحسن أنشدنا علي بن عبد العزيز الجرجاني القاضي^(١٢) لنفسه:

يَقُولُونَ لِي: فَيْكَ انْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا	رَأَوْ رَجُلًا عَنْ مَوْقِفِ الذُّلِّ أَحْجَبًا
تَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمْ هَانَ عِنْدَهُمْ	وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أَكْرَمًا
وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لَاحٍ لِي يَسْتَفْزِنِي	وَلَا كُلُّ مَنْ لَاقَيْتُ أَرْضَاهُ مُنْعِمًا
وَمَا زِلْتُ مُنْحَازًا بِعَرْضِي جَانِبًا	عَنِ الذُّلِّ أَعْتَدُ الصِّيَانَةَ مَغْنَمًا
إِذَا قِيلَ: هَذَا مَوْرِدُ قُلْتُ: قَدْ أَرَى	وَلَكِنْ نَفْسَ الْحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا
وَإِنِّي إِذَا مَا فَاتَنِي الْأَمْرُ لَمْ أَبْتَ	أَقْلَبُ كَفِّي إِثْرَهُ مُتَنَدِّمًا
وَلَكِنَّهُ إِنْ جَاءَ عَفْوَ قَبِلْتُهُ	وَإِنْ مَالَ لَمْ أَتْبِعْهُ هَلًا وَلَيْتَمَا

وَأَقْبَضُ خَطَوِي عَنْ حُظُوظِ قَرِيبَةٍ
وَأَكْرِمُ نَفْسِي أَنْ أَضَاحِكَ عَبَسًا
أَنْهَبُهَا عَنْ بَعْضِ مَا قَدْ يَشِينُهَا
وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كُنْتُ كُلَّمَا
وَلَمْ أَبْتَدِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي
أَغْرُسُهُ عِزًّا وَأُجْنِيهِ ذِلَّةً
فَإِنْ قُلْتُ: جَدُّ الْعِلْمِ كَابٌ فَإِنَّمَا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ
وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانَ وَدَنَسُوا

إِذَا لَمْ أَنْلَهَا وَافِرَ الْعِرْضِ مُكْرَمًا
وَأَنْ أَتَلَقَّى بِالْمَدِينِحِ مُذْمَمًا
مَخَافَةَ أَقْوَالِ الْعِدَى: فِيمَ أَوْلَمَا
بَدَا طَمَعُ صَيْرْتُهُ لِي سُلَمًا
لَأَخْدِمَ مَنْ لَاقَيْتُ إِلَّا لَأَخْدَمَا
إِذَا فَاضْطَنَاعُ اللَّهْوِ قَدْ كَانَ أَحْزَمًا
كَبَا حِينَ لَمْ يُجْمَحْ حِمَاهُ وَأُسْلِمَا
وَلَوْ عَظُمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعُظَمَا
مُحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجْهَمَا

ولم يورد سوى ما تقدم في الكلام على عرفات.

البلد السابع والسبعون: مَنَى: - وهي بكسر الميم مع الصرف وعدمه - :
سميت بذلك - كما قاله جماهير اللغويين وغيرهم - لما بُنِيَ بها من الدِّمَاءِ أَي يُرَاقُ
وَيُصَبُّ، وهي من حرم مكة، بينها ثلاثة أميال، وتتسع للحجيج كاتساع الرحم
للولد، وفضائلها كثيرة، ومن سمع بها شيخنا وشيخه والذهبي، وأبو حيان
وسماعه فيها على أبي اليُمْنِ ابنِ عساكر، بل وسمع بها أبو القاسم ابن عساكر وقال
في «بلدانياته»: إنها كانت مدينة بها دُورٌ وسُوقٌ، ومسجدُها مسجدُ الحُثَيْفِ،
مسجد شريف، وقد عمره سلطان الوقت^(١٣) عمارة هائلة يفوق الوصف، وكنت
من سمع به وبغيره منها على غير واحد، وقرأت بالغار الشريف النبوي من جبل
جِراء ظاهرة مكة من جهتها على الحافظ التقي أبي الفضل الهاشمي - رحمه الله -
تصنيفه «بُشْرَى الْوَرَى» مما ورد في حراء^(١٤) وبأسفل الجبل غير ذلك، أخبرني
الكمال أبو الفضائل محمد بن الجمال حمد بن إبراهيم المكي بقراءتي عليه في الغار
الشريف، غار المرسلات من مَنَى المعظم وغيره بالقاهرة وغيرها، كلهم عن أبي
اسحاق إبراهيم بن محمد بن صديق الدمشقي.

وساق السند إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ - :
«نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ».

ثم ذكر أن هذا الحديث صحيح وأورد أسماء مخرجه وبعض رواته.

البلد الثمانون: ينبع: - وقد تقدم الكلام على ما ذكر عنه.

ويظهر أن الحافظ السخاوي كان أملي «بلدانياته» هذه أثناء إملائه في جامع الغمري في القاهرة إذ ورد في النسخة التي نقلت عنها ما تقدم ما هذه نصه: (آخر المجلس السادس والأربعون من البلدانيات، وبه انتهاءها وهو المجلس الرابع عشر بعد الخمس مئة من الأمالي، وكان الفراغ في يوم الثلاثاء ثامن عشر المحرم الحرام سنة ثلاث وثمانين وثمان مئة بجامع الغمري، باستملاء أخي نفع الله به وصرف عنه كل مكروه، وختم لي وله ولسائر أهلي وأحبائي بخير.

قاله وكتبه محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السخاوي الشافعي غفر الله له ذنوبه وستر عيوبه حسبنا الله ونعم الوكيل.

هذا لفظه بحروفه أبقاه الله تعالى، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، والحمد لله رب العالمين تم.

غفر الله لكتابها ولمن كتبت له ولكل المسلمين أجمعين وذلك يوم الخميس السابع والعشرون من شهر شعبان المعظم سنة (١١٧٤). انتهى وهي نسخة من مخطوطات القرن الثاني عشر الهجري كما يظهر من آخرها.

الحواشي:

- ١ - تشبّع الباء مضمومة، فيقال (ينبوع) وهذا الاسم لبلدة ينبع لم يرد في كتب المتقدمين، ولكن المتأخرين أكثرها من استعماله، وينبوع المقصودة هنا هي ينبع النخل، وهي التي ورد ذكرها كثيراً في كتب المتقدمين.
- ٢ - حرف الحاء (ح) يقصد بها تحويل السند من راوٍ إلى آخر، وهو اصطلاح عند المحدثين يتكرر في كتب الحديث.

- (٥) يقصد بكلمة (شيخنا): الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
- ٢ - كفانا الحافظ السخاوي مؤونة التعليق على هذه الأخبار بقوله في ذكر أولها: (وَيُرَوَّى فِي فَضْلِهَا مِمَّا لَا يَصُحُّ) فهذه الأخبار غير صحيحة وأمثالها كثيرة في فضائل البلدان.
- ٣ - «رحلة ابن جبير» ص ٤٧ طبعة دار الهلال في بيروت، ولابن جبير كلام طويل حول مدينة جدة يحسن الرجوع إليه.
- ٤ - المظفر صاحب اليمن هو يوسف بن عمر بن علي بن رسول، أحد ملوك الدولة الرسولية، ولد في مكة سنة ٦١٩ وتولى ملك اليمن سنة ٦٤٧ وتوفي في نَعَزْ سنة ٦٩٤، وكان من خير الملوك عفة وحسن سياسة، وكان على جانب من العلم وتقدير العلماء، وتنسب إليه مؤلفات في الطب والصناعة وغيرهما.
- ٥ - لما ذكر (منية الأمراء) أضاف قائلاً: ويقال لها منية الشبرج، ويكل من الإضافتين تمييز عن نحو منية بالديار المصرية خاصة. انتهى.
- ٦ - «الإبانة فيها ورد في الجعرانة» من تأليف الحافظ تقي الدين محمد بن محمد المعروف بابن فهد (٨٧١/٧٨٧) وقد ترجمه السخاوي نفسه في «الضوء».
- ٧ - تجد ترجمة لارغون الدوادار في كتاب «الدرر الفرائد المنظمة» ص ١٤٦١، وفيها: أنه توفي في حلب سنة ٧٣١.
- ٨ - ذكر صاحب «الدرر» أن عين خُلِصْ أصلحت سنة ٩٤٠ في عهد السلطان سليمان القانوني العثماني، وهذا غير السلطان الذي كان في زمن السخاوي، فهو أحد سلاطين المماليك في مصر وهو الملك الأشرف قايتباي.
- ٩ - وج هو اسم وادي الطائف ولا يزال معروفاً بهذا الاسم.
- ١٠ - محمد بن محمد بن علي الشيباني من أشهر علماء مكة ولد سنة ٧٧٩ وتوفي سنة ٨٣٧ وله مؤلفات لا تزال مخطوطة - انظر «رحلات حمد الجاسر» ص ١٠٦/١٠٨.
- ١١ - ذكر صاحب «الدرر الفرائد» - ص ٧٥١ - أن في سنة ٨٧٥ عمر الأمير سنقر الجهالي عين عرفة، وأصلح الفسافي التي بها إلى آخر ما ذكر، ويظهر أن الأمير هذا عمر العين بأمر من سيده سلطان مصر الملك الأشرف قايتباي.
- ١٢ - علي بن عبد العزيز الجرجاني من مشاهير العلماء توفي سنة ٣٩٢ في مدينة نيسابور وله مؤلفات منها «الوساطة بين المتني وخصومه».
- ١٣ - سلطان الوقت - أي وقت السخاوي المؤلف - هو الملك الأشرف قايتباي الجركسي، من المماليك، موصوف بالشجاعة والعقل، وله آثار عمرانية في الحجاز وفي غيره من الأقطار الإسلامية، تولى الحكم سنة ٨٧٢ حتى توفي سنة ٩٠١.
- ١٤ - هو ابن فهد صاحب كتاب «الإبانة» المتقدم ذكره.

ابن حجر العسقلاني في اليمن

كان اليمن في العصور الإسلامية الزاهرة مَحَطَّ رِحَال كثير من العلماء الذين قصدوه ابتغاء الرُّوَاية والإِسْنَاد العالي فقصدته من العلماء الإمامان الشافعي وأحمد ابن حنبل ومن مشاهير المحدثين إسحاق بن راهويه وسفيان الثوري وجماعة من العلماء استقصيناهم في بحث مُفْصَّل.

وفي العصور التي تَلَتْ العصر الزَّاهِر كان للعلماء رحلة أخرى إلى اليمن على إثر سماعهم بقيام الدولة الرسولية في اليمن، وتكريمها للعلماء من خلال ملوكها الذين قَدَّرُوا العلماء وسعوا في خَطْبِ وُدِّهم بالغالي والنفيس، فدخل اليمن من العلماء خلال مرحلة قيام الدولة الرسولية في القرنين الثامن والتاسع العلامة اللغوي مجد الدين الفيروزآبادي، وعالم القراءات الجليل محمد بن محمد الجزري، والنحوي الكبير محمد بن أبي بكر الدماميني وغيرهم كثير لعل أبرزهم في نظري خاتمة المحدثين، وعلامة الدُّنْيَا، شهاب الدين أحمد بن علي بن حَجَرِ العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢.

مركز توثيق كليات العلوم الإسلامية

وفي رحلته إلى اليمن حديث يشوق الباحثين والقراء سماعه.

ابن حجر والرحلات:

لم يَثْبُتْ لابن حَجَرِ رحلاتٌ حقيقية سوى رحلته تلك إلى اليمن، ورحلة أخرى قام بها إلى الشَّام سنة ٨٠٢ هـ وعدا رحلته الدِّينِيَّة إلى الحجاز لقضاء فريضة الحج، ومن عدة رِحَلَات جُئْنَ في مناسبات مختلفة.

ومن الغريب أنه زار اليمن قبل دخوله مكة لأداء فريضة الحج الشرعية، بعد البلوغ. وكان يرحل مع والده وهو في الصَّغَر لأعمال تجارية، وكذا مع وصيه الخُرُوبِي.

ولكن رحلته إلى اليمن تَظَلُّ ذاتَ وَقْعٍ خاصٍّ في نفسية ابن حجر، شهد به أثره المشور والمنظوم، ولم يكن في الغالب القصد من الدخول إلى اليمن مهمة علمية يحققها علامتنا ابن حجر العسقلاني، وإنما مآرب دُنْيَوِيَّةٌ يرجوها من سلطانها الرسولي الذي عُرِفَ عنه إجلالُ العلماء وإكرامهم.

ولكنَّ هذا لا يمنع أن يتردَّدَ على مشاهير العلماء في اليمن ويستفيد من روايتهم وعلمهم.

وكان دخولُ ابن حجر العسقلانيَّ الأول إلى اليمن سنة ثمان مئة، قادمًا من الطُّور عن طريق البحر وقد التقى في تَعَزُّ وزَيْد وَعَدَن والمُهَجَمِ بجماعة من أفاضل العلماء منهم علي بن الحسن الخزرجي المؤرخ، والفقيه الضليُّعُ إسماعيل بن أبي بكر المقرئ، وقال عنه: لَمْ أَرِ أَذَكى منه في اليمن.

ولعلَّ أشهرَ مَنْ قابله في اليمن هو مُحَمَّدُ الدِّينُ الفَيروزيَّ آبادي صاحب «القاموس» وقد قرأ عليه جُزْأً من قاموسه المذكور، وكان يُثْنِي عليه ويُخَالِفُهُ في اعتقاده بشأن ابن عربي الصُّوفي وزُمرته.

وفي هذه الرُّحْلة أَصْطَحَبَ معه هدايا علميَّةً فاخرة قدَّمها إلى الملك الأشرف إسماعيل منها «تذكرته» التي جمعتها في أربعين مجلِّداً، وكتاب «الأغاني» بخط ابن الفُوطي.

وظنَّ بعضُ الناس ومنهم ابنُ المقرئ أنَّ قدومه إلى اليمن كان لتوليَّ القَضَاءِ بها، ولم يكن ابن حجر يرغب في ذلك، تلك رحلته الأولى.

أما الثانية فهي سنة ثمان مئة وست، وكانت على حالٍ لا يَسُرُّ صديقاً أو يُغيظ عدُوًّا فقد وصل صاحبنا اليمن منكوباً، منهوياً، في حالةٍ يرثى لها على أثر غرقِ السَّفِينَةِ التي أَقْلَتْهُ، ووصوله بأكياً ناعياً فشكى حَظَّهُ العاثر إلى خليفة الوقت الملك الناصر. وقال له في شعرٍ مؤثِّرٍ ذكر فيه ما تعرض له من غرقٍ أَتلفَ كُتُبَهُ، وتلاه نَهَبَ أَفسد عليه البَقِيَّةَ مِنْ أمره:

مَوْلَايَ هَلْ أَشْتَكِي مَا قَدْ عَلِمْتَ بِهِ
 قَدْ ضَعُفَ الدَّهْرُ حَالِي عِنْدَمَا نُهَيْتُ
 وَبَعْدَهَا بَلَغْتَ مِنِّي الْحَوَادِثُ مِنْ
 وَقَدْ قَصَدْتُ بِأَنْ أَحْيَا بِظِلِّكُمْ
 فَصَارَتْ الْحَالُ فِي حَلِي مُعْطَلَةٌ
 وَعَدْتُ مُسْتَنْصِرًا فِي الْحَادِثَاتِ بِكُمْ
 مَالٌ تَمَزَّقَ فِي نَهَبٍ وَفِي غَرَقٍ
 أَمْ أَكْتَفِي بِالَّذِي قَدْ لَاحَ مِنْ حَالِي؟
 بِالشَّامِ أَيَّامَ تَيَمُّرِنَا أَمْوَالِي
 يَدِ ابْنِ عَجَلَانَ مَا لَاقَاهُ أَمْثَالِي
 فَكَانَ مَا كَانَ مِنْ خَوْفٍ وَأَهْوَالِ
 مَا فِي الْكِنَانَةِ سَهْمٌ غَيْرُ قَتَالِ
 فَأَنْتَ حَاشَاكَ أَنْ تَرْضَى بِأَهْمَالِي
 إِنْ فَاتَ مَالِي سَأَلْتَنِي مِنْكَ أَمَالِي

هكذا يصل حافط العصر وعلامة اليمن وقد أشرف في الطريق على القوات بعد أن تحطم المركب الذي هو فيه ثم التجاؤة إلى بعض الجزائر، فتأتيه القبائل من كنانة تريد نهبه، إلى غير ذلك من مشاق، وقد كانت طبيعة الأسفار في ذلك الوقت شديدة الصعوبة قلما يسلم منها أحد.

وما لنا نستعجل الحوادث ونسرع في الإخبار، وعلامة ابن حجر العسقلاني قد حدثنا عن خواطره ونفسيته وهو في اليمن في شعر جيد يكاد يرقى إلى رتبة شعر فحول الشعراء الكبار الذين صوروا حياة النفس وما تلقاه في الغربة من فرح وترح، وحزن وسرور، وهذا الأمر هو المقصد من بحثنا.

مركز توثيق التراث الحضاري والحضاري

شعره في اليمن:

حفل ديوانه المطبوع في الهند سنة ١٩٦٢م بقسط وافر من اليمانيات التي قالها في اليمن، وقد قشع شعره عن شخصية رقيقة الإحساس، تتأثر بما يعرض لها ويدور حولها على خلاف الصورة التي صورها لنا التاريخ كفقير صعب المراس، تولى القضاء ردحا من الزمن وأذاق الناس بأس فقعه.

انظر إليه وهو في غربته في اليمن يتشوق إلى زوجته زين خاتون وطفله التي تركها بمصر رضية في مهدها:

تَرَى هَلْ أَلَا فِي زَيْنَ خَاتُونٍ بَعْدَمَا
 وَهَلْ أَلْقَى تِلْكَ الطُّفِيلَةَ فَرَحًا
 تَنَاءَتْ بِنَا السُّكْنَى وَعَادَ الْمَوَدُّعُ؟!
 قَرِيبًا كَمَا فَارَقْتُهَا وَهِيَ تَرْضَعُ؟!

نعم كان ابن حجر لا يظن أنه سيعود إلى بلده مصر، وهو في غربته الموحشة
بعَدَنَ وقَبِظَها الملهب، وهو لا يدري ما يُجْبِيه له القدر من طول عُمرٍ وعِزٍّ وجاهٍ
يبلغ به أَقْصَى المراتب، ويتفوق به على الأقران.

وتلك حالة بشرية تعرض لكثير من الناس عندما يلاقون أدنى المشاق فتضيق
الدُّنيا في أعينهم حتى لا يظنون مخرجاً، وما أسرع دخول اليأس وبلوغ القنوط
مَبْلَغُه في كثير من النفوس على أنها الأيام تتداول بين منفعة ومضرة وتعاسة
وسعادة.

هكذا كان ابن حجر العسقلاني الإنسان تتعاوره - وهو في اليمن غريباً وحيداً -
- أفكار اليأس والتفاؤل، ولم يكن قد لقي من المكانة ما يجعله يثق بالمستقبل
المشرق.

على أنه يَذْخُصُ الظنون ليقول شعراً كثيراً في اليمن وقد جعله صَنْعَةً يتكسَّبُ
به أمام أبواب الملوك من أهلها ونَسْمَعُه يأتي بِالْعَجَبِ الْعُجَابِ حيثُ تظهر فيه
براعته وعلمه:

يقول غَزْلاً فلا يترك مُتَرَدِّماً للشعراء إلا وضرب أطنابه فيه فكان الغزل في
مُفْتَحِ قصائده إعلاناً عن كمال الصنعة وحسامة أمر الممدوح، وربما تحدث عن
الهجر والفراق في بداية قصيدته فقال:

مَحَبُّ لَكُمْ مِنْ هَجْرِكُمْ يَتَوَجَّعُ	نَدِيمَاهُ مَذْ غَبْتُمْ أَسَى وَتَفَجَّعُ
سَرَى نَفْساً عَنْكُمْ فَأَضْحَى وَنَفْسُهُ	تَذُوبُ جَوَى مِنْ طَرَفِهِ فَهِيَ أَدْمَعُ
أَحْبَابَنَا حَتَّى الْخَيَالِ قَطَعْتُمْ	عَذَرْتَكُمْ بَلْ مُقْلَتِي لَيْسَ تَهْجَعُ
فَلَا وَحَيَاةِ الْقُرْبِ لَمْ أُنْسَ عَهْدَكُمْ	وَلَوْ أَنِّي فِي الْبُعْدِ بِالرُّوحِ أُفْجَعُ ^(١)

لكن الصبغة الغالبة على نسيبه في مطالع قصائده التي قالها أمام الملك الأشرف
إسماعيل حديث الغربة والتشوق إلى الأهل والأحباب، مذكراً بمدوحه بِحَالِهِ الذي
هو فيه:

صَبُّ لِلْقِيَاكِ بِالشَّوَاكِ مَعْمُودُ فَقَيْدُ صَبْرٍ عَنِ الْأَحْبَابِ مَفْقُودُ

نَاءٍ عَنِ الْأَهْلِ وَالْأَوْطَانِ مُغْتَرِبٌ وَوَاحِدٌ مَالَهُ فِي الصَّبْرِ مَوْجُودٌ
مُتِّمٌ قَدْ بَكَى بَعْدَ الدُّمُوعِ دَمًا كَأَنَّمَا هُوَ فِي عَيْنَيْهِ مَقْصُودٌ
النَّارُ ذَاتُ وَقُودٍ فِي جَوَانِحِهِ شَوْقًا وَفِي خَدِّهِ لِلدَّمْعِ أَخْدُودٌ

تلك حالة السَّهْدِ والفراق والشوق إلى الأحباب، عادة متبعة عند الشعراء قديمهم وحديثهم وكأنها من حديث الحب والغزل، بل من صلبه.
انظر إليه وهو يحدثنا في نفس القصيدة عن الطيف والسَّهْرِ وملاحقة الهموم إلى غير ذلك فيقول:

وَقَدْ تَطَابَقَ حَالُ الصَّبِّ مِنْ حَزَنِ فَدَمَعُهُ مُطْلَقٌ وَالْقَلْبُ مَصْفُودٌ
وَالطَّيْفُ مَازَارَ إِذْ بَابُ الزِّيَارَةِ مِنْ فَرَطِ السَّهَادِ يَفْتَحُ الْجَفْنَ مَسْدُودٌ
أَيْتُ أَرْعَى النُّجُومَ الزُّهْرَ أَحْسَبُهُ فِيهَا إِلَى أَنْ حَلَا لِي فِيهِ تَسْهِدٌ

على أن للغزل في مفتح قصائده مضامين يحلو لشاعرنا ترديدها وهي معان مطروقة عند من سبقه لا نحسبه أبدع فيها أو ابتكر، إذ العواطف في مثل تلك المواقف تتكرر وتتشابه.

عندما يحدثنا عن الحبيب والرقباء وما شابه ذلك يأتي بما سبقه غيره كقوله:

مَنْ لِي بِهِ كَالْبَذْرِ إِلَّا أَنَّهُ كَالْعَصْنِ يَسْبِي الْمُجْتَنِي وَالْمُجْتَلِي
لَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ رَقِيبَهُ لَا يَأْتِي فِي لَوْمِهِ أَنَّ يَأْتِ لِي

أو يحدثنا عن العذول ومرايع الأحباب فيورد ما هو معتاد عند غيره:

وَيَا قَلْبُ لَا تَقْبَلْ شَهَادَةَ لَائِمِي فَمَا قُلْتَ يَوْمًا فِي هَوَايَ بِشَاهِدِ
وَيَا أَيُّهَا الْأَحْبَابُ سُقِيَا لِعَهْدِكُمْ بِعَهْدِ قَرِيبِ الْعَهْدِ غَيْرِ مُبَاعِدِ

نعم تجد أثر الصُّنْعَةِ البديعية واضحة، في شعره شأنه في ذلك شأن شعر معاصريه من أدباء العصر المملوكي الذين أغرقوا في هذا الجانب حتى غطى هذا الأثر على سائر إنتاجهم النثري والشعري، وربما خلط في بديعه بين مهنته الحديثة وما عُرف عند أهل مدرسة أهل البديع من صيغ مألوفة.

أنظر إليه في جناسه وتورياته يستعمل مصطلح أهل الحديث فيقول:

مَلِكُ الْمُلُوكِ حَقِيقَةٌ قَدْ كُمَلَتْ أَوْصَافُهُ وَسِوَاهُ لَيْسَ بِأَكْمَلٍ^(٢)
يَرْوِي (أَحَادِيثَ) النَّوَالِ (صَحِيحَةً) بِـ (مُدَّجٍ) مِنْ جُودِهِ وَ (مُسْلَسَلٍ)
يَرْوِي عَنْ الْعَبَّاسِ إِسْمَاعِيلُ مَا يَرْوِي كَمَا الْعَبَّاسُ يَرْوِي عَنْ عَلِيٍّ

وإسماعيل بن العباس هو ممدوحه الملك الأشرف الرسولي:

وكقوله في التَّورِيَةِ برجال السُّنَدِ:

وَيَا (سَنَدِي الْعَالِي) الَّذِي قَدْ (رَوَيْتَ) عَنْ (ثِقَاتٍ) عَطَايَاهُ (صِحَاحُ الْمَسَانِدِ)
(وَحَدَّثْتَ) فِي يَوْمِيهِ فِي الْبَاسِ وَالنُّدَى (صَحِيحٍ) حَدِيثٍ عَنْ (عَطَا) وَ (مُجَاهِدٍ)

وكقوله في مدح الناصر ابن الأشرف:

حَدَّثَ عَنْ الْجِسْمِ وَالْقَدَّ الْقَوِيمِ وَلَا تُسْنِدُهُ إِلَّا (لِصَفْوَانِ بْنِ عَسَّالٍ)
وَارَوْ (الْمُسْلَسَلِ) مِنْ دَمْعِي وَعَارِضِهِ بِـ (الْأُولِيَّةِ) مِنْ عِشْقِي وَإِغْزَالِي

ولا يكتفي في تورياته البديعية بمصطلحات أهل الحديث وإنما يصحب ذلك
الجم الطيب من الاقتباس القرآني، وكلام العلماء، من ذلك قوله في مديحه
الأشرف إسماعيل:

وَفَضْلُ حُكْمٍ وَصِدْقٍ فِي الْوَعُودِ فَهَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ دَاوُودُ
وقوله:

لَقَدْ صَدَقْتَنَا بِالنَّوَالِ وَعُودُهُ وَعَادَةُ إِسْمَاعِيلَ صِدْقُ الْمَوَاعِدِ
وهكذا يتصنع ابن حجر في مدائحه لملوك الدولة الرسولية ليحاكي بذلك
أسلوب العصر الشعري الذي برع فيه رجاله من أهل البديع المفرقين في فنه.

في مدائح الملك الأشرف إسماعيل:

وما لنا نشرق ونغرب في الحديث عن مدائح ابن حجر التي قالها وهو في اليمن

وأمامنا ديوانه يطفح بالعديد منها، في الثناء العاطر على ملوك الدولة الرسولية باليمن، وفيها من المدح الصريح ما لا يحتاج إلى تورية أو كناية فهو يصفهم بما وصف به سائر الممدوحين من خصال بشرية حميدة.

وكان جلُّ قصائده جاءت في الملك الأشرف إسماعيل باستثناء قصيدة واحدة قالها في ولده الناصر أحمد في رحلته الثانية إلى اليمن سنة ٨٠٦.

وهو يمجّد الرسولين ويذكر ملوكهم بالإكبار والإجلال فيقول:

من آل غَسَّانَ ساداتُ الملوكِ وما ففي مَدائِحِ حَسَّانٍ وَنابِغَةٍ هُم مَهْدُوا الشَّامَ مِنْ ظُلْمٍ وَمِنْ ظُلْمٍ مِنْ كُلِّ أَرْوَغٍ سَامِي الذِّكْرِ سائِرِهِ صَحابة الجُودِ إِنْ حَلَّ التَّزِيلُ بِهِمْ بَيْتُ ما شاءَ في أَمْنٍ وَفي دَعَةٍ أَهْلُ الفَصاحَةِ إِنْ هَزُوا سَيُوفُهُمْ خَدَّامُ بَيْتِ الإِلَهِ الحَقِّ كانَ لَهُمْ تَلَوْا حَدِيثَ العُلاَ عَنْ سَيِّدِ سَيِّدِ فَأَحْمَدُ مَلِكُ إِسْماعِيلَ عَنْهُ رَوَى عَنِ المُوَيْدِ دَاوودَ الهِزْبِ عَلاَ يَرْوِيهِ عَنْ عُمَرَ المَنْصُورِ مُتَّصِلاً مِثْلُ الكَوَاكِبِ أَنْتُمْ سَبْعَةُ زَهْرٍ زَنْتُمْ، غَلَوْتُمْ، حُمَيْتُمْ، جُدْتُمْ كَرَمًا	يُقَالُ في غيرهم ساداتُ أَقْيالٍ فِيهِمْ غَرائِبُ مِنْ بَأْسٍ وإِفْضالٍ مِنْ قَبْلُ وَالْيَمَنُ الآنَ اغْتَدَى تالي عَمَّالٍ مَكْرُمَةٍ حَمالٍ أَثقالٍ يَرِدُ بِحاراً ولا يُخَدِّعُ مِنَ الآلِ مُفارقِ الهَمِّ لا يُرْمَى بِأَوْجالٍ يَعْدُو خَباراً لَدَيْها صَرَحُ أَبْطالٍ وَحالُهُ كانَ مِنْهُمْ بِالْحَلَا حالي عَنْ سَيِّدِ سَيِّدِ سَنَدٍ بَادٍ عَلَى تالي عَنْ (أَفْضَلِ) عَنْ عَلِيٍّ خَيْرَةَ الآلِ عَنِ الْمُظَفَّرِ سُلْطانِ الْوَرَى الخالي مَنْ ذا يُساوِيكَ في إِسنادِكَ العَالي هَذا اتِّفاقٌ لِإِجْلالٍ وإِجْمالٍ أَضابْتُمْ وَهَدَيْتُمْ سُبُلَ ضلالٍ
--	--

هؤلاء ملوك بني رسول الغساسنة كما يشيد بهم ابن حجر، وقد اتسموا بصفات من العلو والحماية والكرم وتأمين السبل إلى غير ذلك.

على أن الأوصاف الحقيقية أنجدها في شخص الملك الأشرف إسماعيل الذي يقول فيه صاحبنا بعد أن يُورد له جُملاً من الشيم الحميدة:

نَامَ الرَّعَايَا وَقَلْبُ الْبَرَقِ يَخْفِقُ مِنْ رُغْبٍ بِهِ وَيَطْرَفُ النُّجْمُ تَشْهِيْدُ
وَأُمْتَتْهُمْ مِنْ الْأَفَاتِ طَلْعَةُ مَنْ أَضْحَى وَطَالَعَهُ بِالنُّصْرِ مَسْعُودُ

ويصفه بالشجاعة:

بِسِنَانٍ أَسْمَرِهِ السَّمَاءُ مُشَبَّهٌ لَكِنَّهُ لَمْ يُدْعَ مِنْهُ بِأَعْزَلِ
وَيَكَادُ أَنْ يَمْضِيَ بِأَبْصَارِ الْعِدَى مَاضِي بَوَارِقِ سَيْفِهِ فِي الْجَحْفَلِ

وبالكرم لحاجة في نفس يعقوب:

الْأَشْرَفُ الْمَلِكُ ابْنُ الْأَفْضَلِ ابْنِ عَلِيٍّ ابْنُ الْمُؤَيَّدِ حَامِي الْمَلِكِ دَاوُدَ
الْمَانِحِ الْفَضْلِ صَفْوًا فَيَضُ رَاحَتَهُ الْغَيْثُ إِنْ جَادَ تَعْبَانُ وَمَكْدُودُ

وكان نوال ابن حجر العسقلاني من كرم آل رسول الجمل الجزيل، لذا نجده لا يفتأ يذكر تلك الأيادي الكريمة عليه، وقلما تخلو قصيدة وجهها إليهم من إشارة إلى شيء من إكرام بني رسول له، فهم قد أغدقوا عليه العطايا الجليلة:

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ بَعَثْتُهَا تَضَمَّنُ شَكْرِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدِ
فَكَمْ مِنْ أَيْدٍ مِنْكَ هُنَّ مَرَّافِقِي عَلَى الدَّهْرِ إِنْ يَسْطُو. وَهُنَّ سَوَاعِدِي
قَصَرْتُ عَلَى مَمْدُودِيهِنَّ تَمَادِيحِي وَطَوَّلْتُ فِي عَلَيَّائِهِنَّ مَحَامِدِي

مركز توثيق وتحرير علوم إسلامي

قصيدته في مدح الملك الناصر:

كان تولي الملك الناصر أحمد بن إسماعيل بعد وفاة والده سنة ٨٠٣ هـ وعندما دخل ابن حجر اليمن في الرحلة الثانية سنة ٨٠٦ كان هو المتولي لزمام الحكم، وقد سبق أن أشرنا إلى دخول ابن حجر البلاد على تلك الحالة المزرية بعد تعرضه لتلف متاعه وإشرافه على الغرق، ثم نهب بعض القبائل ماله. فكان أن نظم مديحة مؤثرة في الملك الناصر مطلعها:

لَا تَقْطَعُوا بِاتِّصَالِ الْهَجْرِ أَوْصَالِي وَوَافِقُونِي فَقَدْ خَالَفْتُ عُذَالِي

وفيهما يذكر من محاسن الناصر وأخلاقه:

الناصر الملك ابن الأشرف [الملك] الـ
أوعى الملوك هدى أوهى الملوك عدى
مظهر الجيب من عيب ومن دنس
مَعْرُوف عِزًّا بِمُفْضَالِ ابْنِ مُفْضَالِ
أَوْفَى الْمُلُوكِ نَدَى فِي الْحَالِ بِالْحَالِ
حَاشَا مَعَالِيهِ مِنْ إِخْلَالِ إِجْلَالِ

ويصف شجاعته وتأمينه السبل فيقول:

أَنْسَى الَّذِينَ مَضَوْا يَوْمَ الْوَعَى وَنَدَا
أَرْضَى الْعُقَاةَ عَنِ الدُّنْيَا وَسَاكِنَهَا
أَضَحَّتْ بِعِزَّتِهِ الدُّنْيَا (تَعِزُّ) وَمَا
أُمُورُهَا بِصِلَاحِ الدِّينِ قَدْ صَلَحَتْ
سَقَى الرِّمَاحَ دَمَ الْأَعْدَاءِ مُبْتَدِرًا
عَمَّالٍ هَيْجًا، وَفِي أَلْفِ بَطَالِ (؟)
وَفِي رِضَا الْمُعْتَفَى سُخْطُ عَلَى الْمَالِ
(زَيْدُ) إِلَّا بِهَا غَايَاتُ آمَالِي
نَامَ الرِّعَايَا مَتَى مَا آسَتَقِظَ الْوَالِي
فَكَانَ أَثْمَارُهَا هَامَاتُ أَبْطَالِ

ثم يخلص من مدحه له ويستنهضه للقيام بالنظر إلى حاله، وفيها يبلغ أقصى درجات الاستعطاف فيقول:

وَالآنَ يَا مَلِكَ الْعَالِيَا قَصْدْتُكَ فِي
لِدَارِ مُلْكِكَ مُدُنُ الْأَرْضِ مَرْجَعُهَا
مَا شِئْتَ أَيْدِكَ اللَّهُ الْكَرِيمُ جَرَى
ثُمَّ يُطِنُّ فِي وَصْفِ حَالِهِ، وَمَا أَصَابَهُ فِي رَحْلَتِهِ الْمَشْؤُومَةِ تِلْكَ: إِلَى أَنْ يَذْكُرَ
عَطْفَ الْمَلِكِ عَلَيْهِ وَتَانِسَ غُرْبَتَهُ فَيَقُولُ:

أَهْلَتْنِي بَعْدَ تَغْرِيبِ النَّوَى كَرَمًا
مَلَأَتْ طَرْفِي وَكَفَى هَيْبَةً وَغِنًى
وَحَقُّ رَأْسِكَ لَوْلَا أَنْتَ مَا صَبِرْتُ
كَحَلْتُ طَرْفِي بِمِيلِ السُّهْدِ إِذْ بَعْدُوا
فَعُدَّ بِجَاهِكَ تَحْمِينِي وَتَنْصُرُنِي
يَا مَالِكِي لِمَدِيحِي قَدْرُكَ الْعَالِي
حَتَّى تَفَرَّغْتُ لِلْأَمْدَاحِ يَامَالِ (٣)
نَفْسِي عَلَى فُرْقَتِي أَهْلِي وَأَطْفَالِي (٤)
فَالدَّمْعُ مِنْ مُقَلَّتِي يُجْرِي بِأُمِّيَالِ
عَلَى عِدَائِي بِأَقْوَالِ وَأَفْعَالِ

وفي هذه القصيدة يبلغ الشاعر أقصى درجات التزلُّف والمجاملة فيصف بمدوحه بأوصاف لا تليقُ بمخلوق ضعيف فيقول:

يَا كَعْبَةَ طُفْتُ فِي تَعْظِيمِ حُرْمَتِهَا مُكَبِّراً قَدَرَهَا الْعَالِي بِإِهْلَالِ
أُزُورِهَا مُحَرِّماً مِنْ غَيْرِهَا فَإِذَا حَلَلْتُ بَدَلْتُ إِحْرَامِي بِإِحْلَالِ

ولست أدري كيف سمح للرجل علمه وفقهه أن يقول مثل هذا الكلام مع أنه
عندما ترجم للناصر المذكور في تاريخه «إنباء الغمر» عند سنة وفاته (سنة ٨٢١) قال
في حقه: كان الملك الناصر فاجراً جائراً مات بسبب صاعقة نزلت على حصنه
المسمى «قوارير» فارتاع من صوتها فتوَعَّك ومات.

مع الوزراء والأدباء في اليمن:

ليس لدينا مصدر تاريخي يرصد كل حوادث العلامة ابن حجر في رحلته إلى
اليمن، وهو لم يُعْنِ بهذا الأمر إلا فيما يتعلق بالأمور العلمية التي وقعت له من
إجازات وقراءة على الشيوخ وتلمذة عليه إلى غير ذلك.

ويفهم من قصيدة بعثها إلى أحد الوزراء بمدينة عدن أنه قد وقعت بينه وبين
هذا الوزير وحشة اضطرت علامتنا ابن حجر العسقلاني أن يكتب قصيدة
يستعطف فيها ذلك الوزير، يبدأها أولاً بالمدح كما هو المعتاد يقول:

إِلَى ابْنِ عَلِيٍّ قَدْ رَفَعْتُ قَضِيَّتِي وَأَرْجُو بِهَذَا أَنَّ قَدْرِي يُرْفَعُ
إِلَى الْأَوْحِدِ الْقَاضِي الْأَجَلُ وَمَنْ لَهُ ثَنَاءٌ يَفُوقُ الْمِسْكَ إِذَا يَتَضَوُّعُ
رَئِيسُ إِذَا مَا اسْتَبْطَأَ الْوَفْدُ جُودَ مَنْ أَتَوْهُ أَتَاهُمْ جُودُهُ يَتَسَرَّعُ
وَفِيهِ مَعَ الْقَدْرِ الْعَلِيِّ تَوَاضَعُ وَفِيهِ عَنِ الْفِعْلِ الدُّنْيَى تَرْفَعُ

إلى آخر مدح ابن حجر التي يكيلها لذلك الرجل جزافاً. إلى أن يصل إلى تلك
النقرة التي وقعت بينهما فيقول:

أَيَا ابْنَ الْكِرَامِ اسْمَعْ شِكَايَةَ مُفْرَدٍ غَرِيبٍ لَهُ فِي بَحْرِ جُودِكَ مَشْرَعُ
لَقَدْ ضَاقتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ بِرَحْبِهَا وَإِنْ ضَاقتِ الدُّنْيَا فَعَفُوكَ أَوْسَعُ
فَإِنْ لَمْ تُعَامِلْ مِنْكَ عَبْدُكَ بِالرُّضَا فَمَنْ فِيهِ بَعْدِي لِلصُّنْعَةِ مَوْضِعُ؟
لَيْنَ كُنْتَ قَدْ بُلَّغْتَ عَنِّي مَقَالَهً لِمَبْلَغِكَ الْوَاشِي أَغْشُ وَأُخْدَعُ^(٥)

رَأَوْكَ إِلَى مَا سَاءَني مُتَسَرِّعاً
وَلَوْ كُنْتَ تَرَعى الْوُدَّ مَا مِلْتَ نَحْوَهُمْ
وَكَيْفَ يُعَادِي آلَ بَيْتِكَ عَاقِلٌ
لَظَهَرَكَ أَخِي مِنْ مُحِبِّا عَدُوهُ
سَأْتِي عَلَيْكَ الدَّهْرَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ
وَقُلْ لِي إِذَا لَمْ تَنْخَدِعْ بِمَدَائِحِي
وَمَنْ يَزْرَعُ النِّعْمَا بِأَرْضِ كَرِيمَةٍ
وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا دُونَ قَدْرِكَ قَدْرُهُ
وَلَكِنَّمَا سَنَ الْكِرَامُ اسْتِمَاعَهُ
وَمَا كُلُّ مَنْ قَالَ الْقَرِيضَ أَجَادَ فِي الْ
فَهَاكَ قَصِيدُ شَجَّعْتَنِي صِفَاتُكُمْ

فَقَالُوا وَزَادُوا مَا أَرَادُوا وَأَسْرَعُوا
بِسْمِ رَعَاكَ اللَّهُ دَهْرًا وَلَا رُعُوا
وَالْ عَلِيٍّ لِلْمُؤَالَاةِ مَوْضِعٌ^(٦)
وَيُسْرَاكَ مِنْ يُمْنَاهُ أَنْدَى وَأَنْفَعُ
وَيَحْرُ امْتِدَاجِي زَاخِرُ فَيْكَ مُتْرَعُ
أَلَمْ تَتَيَقَّنْ أَنَّ مَنْ جَادَ يَخْدَعُ!!؟
سَيَحْصُدُ أَضْعَافَ الَّذِي ظَلَّ يَزْرَعُ
وَمَا يَسْتَوِي فِي الْقَدْرِ بَاعٌ وَأَصْبَعُ
وَتَعْظِيمُ مُنْشِيهِ الَّذِي يَتَصَنَعُ
سَمَقَالٍ وَلَا كُلُّ الْمُجِيدِينَ مُبْدِعُ
عَلَيْهَا فَفَاقَتْ كُلُّ مَا قَالَ أَشْجَعُ^(٧)

وهذه القصيدة من أطول ما جاء في ديوانه من مدح قالها في اليمن مما يدل على خطورة الأمر بين الرجل وتوقع الشر المحقق بصاحبنا من ذلك الوزير، كما تدل عليه القصيدة.

وكان للوزراء مكانة كبيرة عند ملوك بني رسول حتى غدا من شأنهم إصدار الأوامر الجائرة فوق حكم السلطان، وقد وقعت حادثة لبعض أدباء ذلك العصر مع بعض الوزراء تشبه تلك التي جرت لابن حجر مع ذلك الوزير فقد ذكر المؤرخ البرهني^(٨) أن الأديب محمد بن محمد بن إدريس العلوي المتوفى سنة ٨٤١ مدح السلطان الظاهر بيديعية عجيبة فأحال له السلطان على المتولي بحصن تعز بخمس مئة دينار فمطله، فهجاه العلوي المذكور وشكاه إلى السلطان فأذن له بتأديبه، وأراد قتله فشفع له الإمام العلامة ابن الخياط فقبل شفاعته على شرط أن لا يوجد في البلد فأطلقه فدلّت هذه الحادثة على عظم مكانة الوزراء في ذلك العصر، ولا يبعد أن يكون ابن حجر العسقلاني قد توجّس شراً من ذلك الوزير فاستعطفه بقصيدته تلك وهي من غرر ديوانه.

على أن مكانة ابن حجر لا تخفى على أدباء اليمن وعلمائه وقد ذكر وفادته إلى

اليمن معاصره المؤرخ البرهبي فقال في تاريخه^(٩): (الإمام العلامة عمدة المحدثين، وقدوة المحققين، حافظ العصر، ونادرة الدهر شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. وفد إلى اليمن صُحبة أمين الدين مفلح بن عبدالله تاجر السلطان الناصر في أول المئة التاسعة، واجتمع إليه جماعة من فقهاء اليمن فأفادهم واستفاد منهم). انتهى

وما كاد يستقر بمدينة زبيد حتى بعث إليه شاعر اليمن وفقهها الأديب إسماعيل بن أبي بكر المقرئ بقطع شعرية متناثرة يثني فيها على ابن حجر من ذلك قوله:

قُلْ لِلشَّهَابِ ابْنِ عَلِيٍّ بِنِ حَجَرٍ سُوراً عَلَى مَوَدَّتِي مِنَ الْغَيْرِ
فَسُورٌ وَدِّي مِنْكَ قَدْ بَنَيْتُهُ مِنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَتَيْنِ وَالْحَجَرِ

وفيه تورية باسم ابن حجر فيجيبه المذكور بقوله:

عَوِّدْتُ سُورَ الْوُدِّ مِنْكَ بِالسُّورِ فَهُوَ عَلَى الْعَلْيَاءِ بِالْحُكْمِ حَجَرٌ
يَأْمَنُ رَقِي فِي الْمَجْدِ أَنْهَى غَايَةَ بِالْحَقِّ أَغَيْتَ مَنْ بَقِيَ وَمَنْ غَبَرَ
فَضْلُ سِوَاكَ مُدَّعَى أَوْ نَاقِصُ كَسَائِهِ (إِنَّ) أَتَتْ بِلاَ خَبَرِ
لَأَنْتَ بِالصَّدَقِ إِسْمَاعِيلُ لَهُ (٩) وَصَفْتُ عَلَى كُلِّ الْوَرَى بِهِ افْتَخَرُ

وهناك قصيدة تُعدُّ من غرر الأدب اليمني كتبها سيّويه اليمن الأديب برهان الدين إبراهيم بن إسماعيل الجحافي المتوفي نحو سنة ٨١٠ يمدح فيها العلامة ابن حجر لما سمع بقدومه اليمن يقول فيها:

شُكْرِي لِسِرِّ السَّابِقَاتِ الْعِرَابِ الْأَعْوَجِيَّاتِ بَنَاتِ الْعِرَابِ
وَلَمْهَارِي الَّتِي لَمْ تَزَلْ تَخُوضُ فِي السَّبَبِ لُجَّ السَّرَابِ

وهي من نفائس الشعر، وقد أثنى عليها شاعر اليمن المعاصر الأديب أحمد بن محمد الشامي في دراسته عن أدباء اليمن، وقد تحسّر على فقدان نصّها الكامل.

وما كادت تصل القصيدة إلى يد العلامة ابن حجر حتى يجيب عليها بقصيدة على نفس الرّوي وقد ردت كاملة في ديوانه ص ٩٤ (ط الهند). ومطلعها:

أَهْلًا بِهَا حَسَنَاءُ رُودَ الشَّبَابِ
مُفْتَرَّةً عَنْ جَوْهَرٍ رَائِعٍ
جَادَتْ بِوَضَلٍ نَاعِمٍ أَنْعَشَتْ
فَأَسْكَرْتَنَا بِأَحَادِيثِهَا
فَمَا كَوُوسُ الشَّرْبِ مِلًّا طَلَى
وَمَا الرِّيَاضُ الزَّاهِرَاتُ الرُّبَا
غَنَاءُ غَنَى الرُّوضِ أَوْرَاقُهَا
فَرَأَيْتِ الْأَبْصَارَ اغْصَانُهَا
يَوْمًا بِأَبْيَ مِنْ حَدِيثِهَا
أَهْدَى لَنَا كَانُونَ أَزْهَارَهَا
قَبْلُهَا ثُمَّ تَرَشَّفْتُهَا
كَأَنَّهَا نَابَتْ قَصِيدًا زَهَتْ

وَأَفْتِ لَنَا سَافِرَةً لِلنُّقَابِ
لَكِنْ مَأْوَاهُ الشَّيَا الْعِذَابِ
بِهِ فُوَادُ الصَّبِّ بَعْدَ الْتِهَابِ
وَلَمْ نَذُقْ مِنْهُ كَأْسَ الشَّرَابِ
أَرْفَعُ مِنْهَا لِلنُّهَى بِانْتِهَابِ
جَادَهَا الْغَيْثُ بِفَرْطِ انْسِكَابِ
فَنَقَطْتُ عُجْبًا بِدَرِّ السُّحَابِ
وَأَطْرَبَ الْأَسْمَاعُ وَقَعَ الرِّبَابِ
أَحْيَا مَوَاتِ الْأَدَبِ الْمُسْتَطَابِ
فَقُلْتُ يَا بُشْرَايَ نَيْسَانُ أَبِ
وَمَا تَجَاوَزْتُ الرُّضَا بِالرُّضَابِ
مِنْ نَظْمِ (إِبْرَاهِيمَ) أَذْنَى مَنَابِ

وفيهما يخاطب الجحافي المذكور:

مَوْلَايَ هَذِي خِدْمَةٌ قَصَّرْتُ
بِتُّ بِهَا فِي لَيْلَتِي ظَامِيًا
أَضْرِبُ أَخْمَاسِي بِأَسْدَاسِهَا
أَبْتُ عَنْ مَرْجَانِكُمْ بِالْحَصَا
بِالْعَجْزِ عَنْ نَظْمٍ إِذَا طَالَ طَابِ
أَرْوَمُ تَعْوِيضَ الشَّرَابِ السَّرَابِ
وَلَا يَدُورُ النَّظْمُ لِي فِي حِسَابِ
فَاللَّهُ يُؤَلِّيكَ جَزِيلَ الثَّوَابِ

وتنبئ القصيدة المذكورة أن ابن حجر كان يحلوه تعاطي الألفاظ الشعرية مع أدباء عصره كما هي عادة الأدباء في ذلك الوقت، فهو ما يكاد يختم قصيدته السابقة حتى يلحقها بلغز منظوم على نفس روي القصيدة يقدمه إلى صاحبه الجحافي يقول فيه:

وَهَاتِ فِسْرًا: مَا اسْمُ ذَاتِ إِذَا
وَأَنْ تُبَدِّلَ مَعَ إِذَا أَوَّلًا
مَا صَحَّفُوهُ كَانَ مَأْوَى الرُّضَابِ
مِنْهُ تَرَّ لُغْزًا يَرُومُ الْجَوَابِ

وهو لغز نحوي لعلمه تترس صاحبنا الجحافي بهذا الفن.

وقد كانت الألفاظ عند الأدباء في اليمن خلال ذلك الوقت لعبة الأدباء وسلوتهم^(١٠) وهذا الجحافي - خصوصاً - كان مولعاً بهذا الجانب، فقد ذكر البرقي في ترجمته إعجابه بالألفاظ، وذكر أن ابن حجر لما قدم إليه قصيدته السابقة إجابة عنه، (ذكر بقصيدته شيئاً من اللغز فعرفه الجحافي وأجاب عليه على غير هذه القافية).

وكذا طارح الأديب إسماعيل بن أبي بكر المقرئ ابن حجر العسقلاني الألفاظ، أورد بعضاً منها جامع ديوانه.

في الشوق إلى الأحبة:

على أن ابن حجر لم يكن يطيب له المقام في اليمن وقد لاقى من المنغصات ما فيه الكفاية، وهو لا يكاد يطيق فراق أسرته التي تركها في القاهرة وحيدة تنتظر منه العون والمواصلة. وقد كتب ابن حجر في غربته تلك أروع نظم في الشوق إلى أهله وأولاده. وهو لا يفتأ يذكر ممدوحه بحنينه وشوقه ذاك. ولعل سر جمال شعره في البعض منه يعود إلى تلك الخصيصة التي تميز بها من صدق الإحساس والتعبير عنه.



يحدثنا عن فراق أحبته فيقول:

فَارَقْتُهُ فَلَقِيتُ كُلَّ تَذَلُّلٍ مِنْ بَعْدِ عِزِّي عِنْدَهُ وَتَذَلُّلِي
بِاللهِ يَا مَحْبُوبَ قَلْبِي هَلْ تَرَى بَعْدَ الْقِلَاءِ عَوْدَ اللِّقَاءِ الْأَوَّلِ؟
مَنْ لِي بِوَجْهِكَ وَالْدِّيَارِ وَثَرْوَةٍ وَرِضًا يَدُومُ لَنَا وَفَقْدَ الْعُدْلِ

ويخاطب ممدوحه فيقول له لولا سعادته بلفائه لما تجشم صعوبة الرحلة وفراق الأهل:

وَحَقُّ رَأْسِكَ لَوْلَا أَنْتَ مَا صَبَرْتُ نَفْسِي عَلَى فِرْقَتِي أَهْلِي وَأَطْفَالِي^(١١)
كَحَلْتُ طَرْفِي بِمِيلِ السُّهْدِ إِذْ بَعْدُوا فَالْدَّمْعُ مِنْ مُقْلَتِي يَجْرِي بِأَمْيَالِ

هذا المنحى الإنساني يتكرر في أكثر شعر ابن حجر ويزيده إذكاء ولوعة نزعته.

عن الوطن، ويُبْعِدُهُ وعدم تجلّده على فراق من تركهم بقاهرة المعز من صبية صغار
كَرَّغِبِ القَطاحِ سَبِ تعبير الحُطِيطَةِ.

نجد في شعر ابن حجر الإفصاح عن ذلك كثيراً، وهو يُعَلِّلُ سَبَبَ فراقه
عنهم بالسعي لهم عن أسباب الرزق :

فَوَاللَّهِ مَا فَارَقْتُهُمْ عَنْ مَلَالَةٍ وَهَلْ مَلَّ ظَامٍ مَوْرِدَا فِيهِ يَشْرَعُ
وَلَكِنْ ضِيقَ الْعَيْشِ أَوْجَبَ غُرْبَتِي وَسَعِيَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَيْ يَتَوَسَّعُوا
فَإِنْ يَسَّرَ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِلُطْفِهِ رَجَعْتُ وَمِثْلِي بِالسَّرَّةِ يَرْجِعُ

إنها ذات اليد جعلته يهيم على وجهه مخلفاً وراءه من يلوذ به ويؤنس بهم.

وهو يرى الغربة الحقيقية في فراق الخِلَانِ، لا الأوطان :

مَنْ سَرَّهُ وَطَنٌ يَوْمًا أَقَامَ بِهِ فَإِنِّي سَاءَنِي مِنْ بَعْدِهِ وَطَنِي
إِنَّ الْغَرِيبَ الَّذِي تَنَأَى أَحَبُّهُ عَنْ طَرَفِهِ لَا الَّذِي تَنَأَى عَنِ السَّكَنِ

وفي اليمن يستعيد ذكرياته عن مصر، حيث أيام الصبوة والشباب :

كَأَنِّي لَمْ أَمْرَحْ وَأَمْرَحَ مَعَ الرُّشَا بِمِصْرَ وَلَمْ أَفْرَحْ بِصَحْبِي وَأَخْبَائِي
وَلَمْ تَرْنِي عِنْدَ التَّقَاءِ حَبَائِثِي هُنَالِكَ لَمْ أَحْفَلْ بِعِلْمِي وَآدَابِي
وَلَمْ أَرْمِ عُذَّالِي وَأَحْفِظُ قَاتِلِي وَحَاجِبُهُ وَاللَّحْظُ قَوْسِي وَنُشَائِي
وَلَمْ يَكْ نَقْلُ اللَّثَمِ فِي صَحْنِ خَدِّهِ وَيَا لثَغْرِ أَوْ بِالرِّيقِ خَمْرِي وَأَكْوَابِي

وتمر به الخواطر معادة مكررة حيث يحلو له استرجار أيامه في مصر في ربيع

الأحبة والأهل :

رَفَعْتُ صَبْرِي عَنِّي إِذْ رَحَلْتُ وَقَدْ لَقِيتُ فِي سَفَرِي مِنْ بَعْدِهِمْ نَصَبًا
هَلْ عَائِدٌ وَالْأَمَانِي لَمْ تَزَلْ عَرَضًا لِلْقَلْبِ مِنْ جَوْهَرِ الْأَفْرَاحِ مَا ذَهَبَا
يَا كَامِلَ الْحُسْنِ حُزْنِي وَافِرٌ وَأَرَى وَجْدِي مَدِيدٌ وَصَبْرِي عَنْكَ مُقْتَضِبًا
أَيَّامَ أَمْسَى حَبِيبُ الْقَلْبِ مُغْتَرِبًا مِنِّي وَأَبْعَدَ مَنْ قَدْ كَانَ مُرْتَقِبًا
لَا أَبْعَدُ اللَّهُ أَيَّامًا بِقُرْبِكَ قَدْ حَلَّتْ وَلَكِنَّا مَرَّتْ فَوَاعِجِبَا

حَتَّى قَضَى اللَّهُ بِالْتَّرْحَالِ عَنْهُ فَقَدْ أَمْسَى الْحَبِيبُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُحْتَجِبًا
عَوِضْتُ بِالْبَذْرِ مَحَقًا وَالرُّضَا سَخَطًا وَبِالْوَصَالِ جَفَاً وَالْدُّرَّ مُحْشَلَبًا (١١)

نعم لم يكن ابن حجر راضٍ عن فراق الأحبة وقد استعاض بهم في اليمن
نصباً وهماً فهو لا يفتأ يصرح بِغَيْبِهِ في صفقته تلك الخاسرة عندما يذكر مصر
ولياليها:

تَرَكْتُ شَرَابَ النَّيْلِ حُلُوءًا وَبَارِدًا فَكَمْ خَذَعَةً لِي بَعْدَهُ بِشْرَابٍ
وَفَارَقْتُ مَالًا طَاقَةً لِفِرَاقِهِ فَمَا طَرَقَ السُّلُوءُ سَاحَةً بِأَبِي
وَكَمْ قَطَعْتُ عَيْسِي وَوَاصَلْتُ السُّرَى مَهَامِهِ فِي الْبَيْدَاءِ جِدُّ صِعَابٍ
بِجَاهِلٍ سَمَاهَا الْجَهُولُ مَعَالِمًا نَعَمْ لِسِقَامِي بِالنَّوَى وَعَذَابِي
وَكَمْ عَقَبَاتٍ قَدْ تَبَدَّلَ بَعْدَهَا نَعِيمِي بِأَوْطَانِي بِطُولِ عِقَابِ

وهو يتلهف العودة ويتحسر على أيامه بها في شعر لا يخلو من عاطفة صادقة
يقول:

مَتَى يَتَجَلَّى أَفْقُ مِصْرَ بِأَقْمَارِي وَأَرْوِي عَنِ اللَّقْيَا أَحَادِيثَ بَشَارِ
إِلَى مِصْرَ وَاشْوَاقًا لِمِصْرَ وَأَهْلِهَا تَشْوُقُ صَبًّا لِلنَّوَى غَيْرَ مُحْتَارِ
أَيَا وَخَشْتِي يَا مِصْرَ مِنْكَ لِبَلَدَةٍ لِدَاخِلِهَا بِالْأَمْنِ بُشْرَى مِنَ الْبَارِي
تَهْبُ نُسَيْمَاتُ الشَّمَالِ بِبَارِضِهَا فَيَنْشِقُّ مِنْهَا الْأَنْفُ جَوْنَةً عَطَارِ
مُحْسَدَةً لَا قَدْحَ فِيهَا لِعَائِبِ عَلَى أَنْ زَنَدَ الْفَضْلَ مِنْ أَهْلِهَا وَارِي
إِذَا فَاخَرُوهَا قَامَ صَارِمٌ نَيْلِهَا بِمُقْيَاسِ صِدْقٍ كَاسِرٍ كُلِّ فَخَارِ
مَرَاتِعُ لَذَاتِي وَمَلْهَى شَبِيبَتِي وَمَبْدَأُ أَوْطَانِي وَغَايَةُ أَوْطَارِي

إلى آخر تشوقه إلى مصر، وتلهفه لأهلها وهو بقدر حُبِّه لموطنه نجده قد كره
المقام باليمن حتى صرح بذلك في تورية لطيفة يشير فيها إلى مدينتي اليمن عَدَنَ
وتَعِزَّ، يقول بعد تصريحه بفقدان الصبر عن الأهل والولد:

كُلُّ اضْطِبَارِي لَمَّا كُفِّتُ مِنْهُ وَقَدْ عَدِمْتُ صَبْرِي وَعَزَمِي، حِينَ كَلَّفَنِي
لَا أَبْعَدُ اللَّهَ أَحْبَابِي الَّذِينَ شَرَوْا رِقُّ الْمُحِبِّ بِمَا اخْتَارُوا مِنَ الثَّمَنِ
وَلَا عَدِمْتُ لِيَالِي وَضْلِهِمْ فِيهَا مَرَحْتُ وَهِيَ شَبِيبَةُ الرُّوضِ كَالْغُصْنِ

طَابَتْ خَلَاتُكُم مِّنْ صَفْوَهَا فَغَدَتْ تُغْزَى إِلَى عَدَنِ دَع (؟) تُغْزَى إِلَى عَدَنِ

حديث العودة:

لِذَا كَلَهُ لَا نَسْتَعْرِبُ أَنْ يَسْتَعْجَلَ ابْنُ حَجَرٍ أَمْرَ الرِّحْلَةِ عَنِ الْيَمَنِ، وَيُجْمَعُ أَمْرُهُ
لِلتَّزْوِجِ عَنْهَا بِأَقْصَى سُرْعَةٍ فَهُوَ قَدْ مَلَ الْمَقَامَ بِهَا وَرَضِيَ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ.

بل نجده يذكر شأن العودة في ممدحه للملك بني رسول، عند أول قدومه أرض
اليمن حيث يقول مخاطباً الملك الأشرف إسماعيل:

وَرَجَائِي تَشْرِيفِي بِمَرْسُومٍ بِهِ غَضَبُ الْعَدُوِّ إِذَا بَدَأَ وَرِضَا الْوَلِيِّ

رحل ابن حجر العسقلاني عن اليمن وقد ترك أمراً لا ينسى في تاريخ الثقافة
بها، حيث خلف تاريخاً له، يذكر كلما ذكر هذا الرجل الجليل.

صنعاء: عبد الله محمد الحبشي

الهوامش:

- (١) كيف يخفى على محدث جليل - بل عالم الحديث النبوي الشريف في عصره الإمام ابن حجر - أن القسم بغير الله شرك كما ورد في الحديث: «من حلف بغير الله فقد أشرك»، إنها شطحات الشعراء، أو ذهول العلماء - العرب -
- (٢) إطلاق وصف (ملك الملوك) على غير الله جلّ وعلا بما ورد الشرع بحرمته، وجاءت أحاديث عن المصطفى ﷺ بذلك، وعقد شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب «التوحيد» باباً لذلك، أورد فيه بعض الأحاديث وأقوال علماء السلف في ذلك - العرب -
- (٣) ترخيم يا مالك.
- (٤) تقدمت الإشارة إلى حرمة القسم بغير الله.
- (٥) مأخوذ من بيت النابغة الذبياني: لئن كنت قد بلغت عني خيانة لببلغك الواشي أغش وأكذب.
- (٦) إشارة إلى حديث من كنت مولاه فعلي مولاه وفيه تورية إلى والد المدوح.
- (٧) يعني به أشجع السلمي أحد فصحاء العرب.
- (٨) أنظر تاريخ البربري ص ٣٢٣ بتحقيقنا.
- (٩) المصدر السابق ص ٣٣٩.
- (١٠) أنظر على سبيل المثال «ديوان ابن حجر العسقلاني» المطبوع في الهند سنة ١٣٠٥ هـ ففيه العديد من الألفاظ بعضها طارح فيها ابن حجر العسقلاني المذكور.
- (١١) لا يجوز القسم بغير الله - بنص الحديث النبوي الصحيح....

موقف أدباء الجزيرة من الحملة الفرنسية على مصر

١٢١٣ - ١٢١٦ هـ (١٧٩٨ - ١٨٠١ م)

يدرك الناظر في تراث الجزيرة العربية خلال العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري مدى اهتمام المؤرخين والأدباء بأحداث الحملة الفرنسية على مصر عام ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م، فقد سجل المؤرخون أخبار تلك الحملة، وأخذ الأدباء عندئذ يسهمون بشيء من نتاجهم الأدبي في ميدانها، إذ كان لمشاركتهم أثر في تصوير مواقفهم، والتعبير عن مشاعرهم، ولم يكن الأدباء حينذاك بأكثر مشاركة من المؤرخين، وإنما وجد لهم شيء من النتاج المحدود وبخاصة لدى أدباء اليمن والحجاز، إذ يغلب على ذلك النتاج الأدبي وضوح الحماس الديني، والروح الإسلامية الصادقة، فقد اضطبغت تلك النماذج جميعها بصبغة إسلامية جادة، إذ عد أولئك الأدباء هذا التدخل الأجنبي السافر اعتداءً على البلاد الإسلامية التي لم تشهد مثله من قبل^(١).

والحق أن الأدباء بهذه الأتجاه قد استطاعوا أن يصورا مواقفهم تجاه هذه الحملة، وأن يعبروا عن الأمهم وأحاسيسهم بصدق ووضوح، فقد تبين هذا الشعور الصادق في مضامينهم الأدبية المختلفة، وذلك رغم الروح التقليدية المتكلفة التي برزت في ذلك النتاج الأدبي، ويتحقق هذا القول فيما وجد من نماذج مختلفة في ميداني: الشعر والنثر، وذلك على الرغم من وفرة النماذج النثرية التي قيلت في هذا المجال، وبخاصة في ميدان الرسائل الديوانية، ومع هذا عرفت الخطابة^(٢) والوصايا^(٣)، وحملت شيئاً من مواقف الأدباء وآرائهم، إلى جانب أساليب المؤرخين الأدبية التي تمثل مواقفهم الثابتة تجاه هذه الحملة الفرنسية، فقد عبرت عن أحاسيسهم وأبانت عن مواقفهم تجاه تلك الأحداث، وذلك في مؤلفاتهم التي ينقلون فيها أخبار زمانهم ومجتمعاتهم^(٤).

ويمكن تتبع تلك المواقف الأدبية من خلال دراسة بعض النماذج الشعرية والنثرية، والأساليب التعبيرية، وذلك على الرغم من قلة تلك النماذج في ميدان الشعر التي تعد قليلة بالنسبة لبقية الألوان النثرية الأخرى. ومن ذلك النتاج الشعري قول أحد شعراء الحجاز^(٥):

أيالهف^(٦) نفسي لما قد^(٧) جرى توالي الخطوب على القاهرة
تولى الفرنج^(٨) بها بغتة وحلوا منازلها العامرة
ولكن^(٩) نرجو^(١٠) بفضل الكريم تعاد لهم كرة خاسرة^(١١)

ورغم الضعف الذي أصاب هذه الأبيات في أدائها اللغوية وحسها العروضي، ندرك وضوح موقف قائلها من هذه الحملة الفرنسية حينما تحسر على نفسه بصدق، وأشار إلى تلك المحن التي تجري في بلاد المسلمين، إنما هي من الخطوب والرزايا، إذ ظل الشاعر رغم قصوره الشعري يأنس بآماله الواسعة التي يرجو من خلالها أن يصيب الخسران والهوان أولئك المعتدين.

ويزداد موقف أدباء الجزيرة العربية وضوحاً في ميدان النثر، إذ ذكر المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي^(١٢) (١١٦٧ - ١٢٣٧ هـ): أن الناس في الحجاز قد انزعجوا لهذا الأمر، وأخذوا يستجيبون لداعي الجهاد، ويتأثرون بما يقال لهم في المواعظ والخطب، وأضاف لقوله: أن رجالاً من المجاورين لبيت الله الحرام ممن يعدون من نزلاء مكة المكرمة، ومن علماء المسلمين قد أخذوا يدعون للجهاد، وقال: بأن منهم من أخذ يرشد الناس ويدعوهم إلى الجهاد، ويحرضهم على نصرته الحق والدين، وقرأ بالحرم كتاباً مؤلفاً في معنى ذلك، فاتعظ جملة من الناس، وبذلوا أموالهم وأنفسهم^(١٣)، ومن هنا ندرك أن العلماء والأدباء قد أسهموا في تأليف النصائح، والمواعظ والخطب من أجل استلهام مشاعر الناس وإيقاظها، فلقد كان المتحمسون منهم يقومون في الناس بالخطابة والوعظ، ويذكرونهم بالمصير، ويدعونهم للجهاد، ويتحقق هذا القول في عمل محمد المغربي الجيلاني الهاشمي^(١٤) الذي كان يعظ الناس في البلد الحرام بما يلهب مشاعرهم ويجعلهم

يسهمون في تسيير الجيش وتجهيزه، حتى أن النساء اللاتي سمعن تلك المواعظ والخطب كن يسهمن بالعطايا، ويشاركن بالأموال في سبيل الله، فقد ذكر لطف الله جحاف^(١٥) (١١٨٩ - ١٢٤٣هـ): أنهم يأتين لسماع ما يمليه من أحاديث الحضر على الجهاد، فيلقين إلى الحلقة فتخاتهن وعقودهن وملبوسهن، ويقلن: ذلك الذي علينا...^(١٦). وهذا يدل على مدى تأثير الخطابة في قلوب الناس، وأن الأدباء والعلماء قد سخرُوا خطبهم لحضر الناس على الجهاد، واشعال حماسهم نحو الفرنسيين المعتدين، وذلك ما يمكن عده من مواقف الأدباء في الجزيرة العربية من هذه الحملة الفرنسية^(١٧).

ولم تكن مشاركة الجيلاني تقتصر على دعوة الناس وارشادهم في مكة المكرمة فحسب، وإنما تحقق له شيء من تلك المواقف في بلدان أخرى، فقد ذكر لطف الله جحاف: أن الجيلاني لما نزل بالصفراء^(١٨)... دعا إلى الجهاد^(١٩). وأضاف جحاف إلى قوله: أن الناس استجابوا له وأتوه بأموال واسعة^(٢٠)، ولم يقتصر اسهام رئيس المجاهدين هذا وخطيبهم على الخطابة فقط بل إنه لما أدركه الموت أوصى الناس بما فيه فلاحهم من الجهاد وتقوى الله، فقد أشار المؤرخ لطف الله جحاف كذلك إلى أن الجيلاني نفسه قد ترك قبل وفاته وصية إلى الناس، أوصاهم فيها بتقوى الله، والجهاد في سبيل الله، والصبر على ملاقات الأعداء^(٢١)، وهذه المشاركات الأدبية في ميدان أكثر تعدد من مواقف أدباء الجزيرة العربية وعلمائها الذي عدوا هذا الاعتداء الفرنسي تدخلاً في شئون البلاد الإسلامية والعربية.

وفي الحقيقة أن مواقف أدباء الجزيرة العربية من هذه الحملة الفرنسية تزداد وضوحاً في ميدان الرسائل الديوانية التي أسهم في نتائجها عدد من كتاب الدواوين في تلك الفترة وبخاصة أدباء اليمن والحجاز، فقد حفلت كتب المؤرخين حينذاك بشيء من تلك الرسائل الديوانية التي تبادلها حكام الجزيرة العربية وولاياتها من أجل هذه الحملة الفرنسية، وبخاصة أشراف مكة المكرمة وأئمة اليمن، وتعد كتب المؤرخين اليمنيين أكثر احاطة بهذه الرسائل، ومن أولئك المؤرخين اليمنيين - على سبيل المثال - محمد بن علي الشوكاني في كتابه: «البدر الطالع»^(٢٢)،

ولطف الله جحاف في كتابه: «درر نحرور العين»^(٢٣). إلى جانب بقية مؤرخي الجزيرة العربية، أمثال: ابن بشر والفاخري في كتابيهما: «عنوان المجد»^(٢٤)، و «الأخبار النجدية»^(٢٥).

ويمكن تتبع مواقف أدباء الجزيرة العربية تجاه هذه الحملة من خلال رسائلهم الديوانية ومكاتباتهم المختلفة، فقد ذكرت المصادر الموجودة بين أيدينا الآن أن المجاهدين الذين خرجوا من الجزيرة العربية من أجل قتال أولئك الأفرنج، قد كتبوا عندئذ رسائل لأعدائهم الفرنسيين يدعونهم فيها إلى الإسلام أو للحرب، إذ ذكر لطف الله جحاف في هذا الجانب أن الجيلاني زعيم المجاهدين أوئذاً قد كتب إلى النصارى كتاباً يدعوهم إلى الإيمان بالله ورسوله، فإن أطاعوا، وإلا فهو مقاتل لهم^(٢٦)، وأضاف هذا المؤرخ إلى قوله: أن هنالك رسائل متفرقة تحمل أخبار المجاهدين وتعبر عن أحوالهم، وضرب لذلك مثلاً بقوله: جاءت الرسائل إلى مَنْ بَابْنُود وبِشْر عَنبر مَخْبِرَةً^(٢٧) بوفاة الجيلاني، وطالبة من المسلمين الوصول للاطلاع على الوصية^(٢٨) التي خلفها.

وقد أفاض محمد بن علي الشوكاني في ذكر الرسائل الواردة من شريف مكة المكرمة إلى إمام اليمن حينذاك، وقال بأن شريف مكة غالب بن مساعد^(٢٩) - ١٢٣١هـ، أرسل في شهر رجب عام ١٢١٣هـ بكتاب إلى إمام اليمن المنصور بالله علي بن العباس^(٣٠) (١١٥١ - ١٢٢٤هـ)، وأضاف إلى ذلك قوله أن الشريف المذكور أرسل في طي كتابه بكتاب من سلطان الروم^(٣١)، وقد سرد الشوكاني بعد ذلك أخبار تلك الرسائل الديوانية التي ترد من مكة المكرمة إلى اليمن من أجل هذه الحملة، فقال: وصل من الشريف كتاب فيه التبشير باستيلاء المسلمين على من بالقاهرة فضلاً عن الذين منهم بسائر الأقطار المصرية وبالإسكندرية وسنذكرها هنا^(٣٢) كتاب السلطان، ثم كتاب الشريف الأول، ثم كتابه الثاني، ثم الجواب من مولانا الإمام حفظه الله تكميلاً للفائدة وتبييناً للقضية، فإنها من الحوادث العظيمة التي ينبغي التعريف بها والإعلام بشأنها^(٣٣)، وقد ذكر الشوكاني في موضع آخر بأن هنالك رسائل كثيرة^(٣٤)، وصلت من

الشريف فيما يتعلق بهذه القضية^(٣٥)، وهذه العناية الفائقة برصد أحداث هذه الحملة، وما جرى بسببها من الرسائل والمكاتبات المختلفة تدل على مواقف الأدباء الواضحة وتشير إلى غيرتهم الدينية، وحاستهم الإسلامية.

ومن الواضح أن تلك المكاتبات لم تقتصر على إمام اليمن وشريف مكة فحسب، وإنما جرى شيء منها بين إمام اليمن نفسه، والحاج يوسف باشا^(٣٦) وإلى المدينة، فقد ذكر الشوكاني أنه ورد ليوسف باشا كتاب من إمام اليمن^(٣٧)، وقال بأن هذا الباشا رد على إمام اليمن بكتاب آخر^(٣٨). وعقب الشوكاني من بعد ذلك بقوله: ثم جاءت الأخبار الصحيحة والكتب من شريف مكة وغيره في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣١٦هـ ست عشرة ومئتين وألف أن الجنود الإسلامية السلطانية أخرجت طائفة الافرنج اقماءهم الله من الديار المصرية بعد أن ضايقوهم وحاصروهم وقتلوا أكثرهم وخرج الباقون في أمان، وعادوا إلى ديارهم، وتواترت هذه الأخبار وصحت والحمد لله رب العالمين^(٣٩).

وقد عبر الشوكاني عن موقفه بقوله: فإن هذه الحادثة العظيمة اضطربت لها جميع الديار الإسلامية ورجفت عندها قلوب الموحدين، وتزلزلت بسببها أقدام كثير من المجاهدين، فالحمد لله الذي نصر دينه^(٤٠)، وهذا يدل على موقف أدباء هذه الجزيرة العربية وعلمائها من هذه الحملة الفرنسية ويشير إلى اليقظة الأدبية التي انتعشت في هذه الفترة بسبب هذه الظروف العصيبة التي هب فيها الأدباء والأمرء يذودون عن عقيدتهم وأوطانهم، ويعبرون عن مواقفهم تجاه أعدائهم بكل وضوح وصراحة.

وإذا كان محمد بن علي الشوكاني قد أرخ لحركة الرسائل الديوانية في هذا الميدان، وأشار إلى نتائج الحملة الفرنسية على مصر، فإنه قد شهد أسباب تلك الحركة، واستطاع أن يسهم بشيء من نتاجه الأدبي في ميدانها، فالواقع أن محمد بن علي الشوكاني ممن نهض بتدوين الرسائل الديوانية في هذا العهد، إذ ذكر الشوكاني نفسه أنه هو كاتب تلك الرسائل الصادرة من اليمن إلى بقية أجزاء الجزيرة العربية من أجل هذه الحملة، فقد أشار إلى ذلك بقوله: وهذا جواب

مولانا الإمام خليفة العصر المنصور بالله حفظه الله، وهو جواب عن مجموع كتابي الشريف، والمنشئ له على لسان مولانا الإمام هو الحقيز مؤلف هذه التراجم التي اشتمل عليها هذا الكتاب^(٤١)، وقال في موضع آخر: وأنشأ راقم الأحرف جواباتها عن أمر مولانا الإمام^(٤٢)، وقال كذلك: وهذه صورة جواب مولانا الإمام حفظه الله على وزير السلطنة من انشاء الحقيز أيضاً^(٤٣)، ويدل هذا الحال على مشاركة الأدباء في هذا الميدان، وأنهم قد وجدوا في ذلك اللون الأدبي سبيلاً للتعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم مما يعكس مواقفهم الأدبية تجاه تلك الحملة.

ومن تلك الرسائل رسالة الشريف غالب بن مساعد إلى إمام اليمن المنصور علي بن مهدي العباس التي يقول فيها: ... وإن^(٤٤) سألتكم عنا فنحمده سبحانه على جزيل فضله وعظيم امتنانه، طيبين بخير وعافية، ونعمة من المولى^(٤٥) وافية، والذي نبديه إلى مسامعكم العلية، وأفهامكم الذكية من الأمور الحادثة في الوجود، وجريان^(٤٦) أحكام الملك المعبود، لموجب احتياج أهل الإسلام إلى الترفهات عن نهج المهام، وترك حزم الأمور، وغفلتهم عن حفظ الثغور حتى صار ما صار من شرذمة أهل البغي والإنكار من التهجم على بلاد إسكندرية ومصر^(٤٧) القاهرة بجنود من البحر على سفائن متواترة، وهم طائفة من جمهور الفرنسة، والملة الباغية التي بفضل الله أعلامهم ناكسة لشهادتهم في أحوال المسلمين ترك الثغور^(٤٨) من^(٤٩) التحصين فهجموا على تلك البلاد فلم يجدوا لجامعهم مدافع ولا حصن راد ...^(٥٠).

وقد بعث الشريف غالب بن مساعد برسالة أخرى إلى إمام اليمن المنصور يخبره فيها بجهاد المسلمين في مصر، وأن الله قد أظهرهم على الفرنسيين، وكان لهاتين الرسالتين أثر كبير في اذكاء روح الحماس الديني عند الأئمة في اليمن، إذ يبدو أن خبر دخول الفرنسيين مصر قد أفرعهم وأحزنهم كما أن أخبار النصر التي وردتهم من مكة المكرمة من بعد ذلك قد أطربتهم وزادت في أفراحهم، لذلك صدرت الرسائل من صنعاء إلى شريف مكة معبرة عن الحالين ومظهرة موقف الأئمة والأدباء في اليمن من هذه الأحداث، ومن تلك الرسائل الرسالة التي كتبها

الأديب محمد بن علي الشوكاني على لسان المنصور علي إلى شريف مكة غالب بن مساعد، وفيها يقول: ... فإنه وصل من جنابكم العظيم ومقامكم الفخيم كتاب كريم^(٥١) يحكي ما صنعت أيدي الكفر بمصر، صانها الله عن كل نكر، فياله من حادث يبلبل الألباب، ويحلب من الأحزان ما لم يكن في حساب، فلقد أبكى وروع وأوجع وأقام وأقعد، وشتت شمل كل أنس وبدد^(٥٢). وآها له من خطب يصك مسامع الإسلام، ويحدد الخدود بفيض مدامع الأنام^(٥٣)، لا سيما وتلك ديار مطهرة عن أدناس الكفران، مقدسة عن أرجاس الطغيان، معمورة بالإيمان وعبادة الملك الديان على مرور الأزمان، فقد افتحتها سيوف حزب الله ومحت أدران كفرانها صوارم أصحاب رسول الله، فلقد أظلم الخطب، وادهم الكرب، وضائق الصدور، وغلت من الأحزان قدور، ورغب النفير إلى سبيل الله الصغير والكبير، وتشوق إلى جهاد أعداء الله كل جليل وخطير، وكيف لا وهذه نازلة قد نزلت بالإسلام والمسلمين، وفادحة قد عمت المؤمنين أجمعين لأنها في الدين. ومن بعدت عنه ديارها، فقد أحرقت قلبه وقالبه نيارها ...^(٥٤).

ثم قال بعد ذلك: ولقد كنا على عزم شن^(٥٥) الغارة، وإرسال طائفة من جنودنا المختارة ... وعند ذلك العزم المتين وافى كتابكم الأخير المشير بالفتح المبين، الحاكي لاستئصال شأفة الكافرين أجمعين، فأنشد لسان حال السرور، وحدا^(٥٦) بنا حادي الحبور الذي عم الجمهور،

هنا^(٥٧) محم^(٥٨) ذاك الأسى المتقدما فما عبس المحزون حتى تبسما فلقد انجابت ظلمات الهموم، وتفشعت غيوم الغموم^(٥٩)، وابتلجت الخواطر وقرت النواظر، وعند بلوغ تلك الأخبار أشعرنا هذه المسار الكبار بما شاع في جميع الأقطار وذاع بين البوادي والحضار، فيالها من مسرات شدت من عضد الدين، وفتت سواعد الملحدين، وقصمت ظهور الكافرين، وقلقلت معاهد المعاندين، اللهم إنا نحمدك حمداً لا يحيط به الحصر، ونشكرك على ما منحت أمة نبيك من هذا الفتح والنصر ...^(٦٠)، ولم يكتف المنصور علي بمكاتبة شريف مكة، وإنما أرسل خطاباً آخر إلى وزير السلطنة الحاج يوسف باشا والي المدينة يبين له فيه

موقفه الواضح من هذا الاعتداء على مصر، ويظهر له استعداد له لحرب أولئك الفرنسيين، ويرى أن لم الشمل، واتحاد الكلمة من أسباب النصر والظفر^(٦١)، وهذا يعكس مواقف ولادة الأمر في هذه الجزيرة العربية من تلك الأحداث، إذ برزت واضحة لدى الأدباء الذين تولوا حينذاك كتابة هذه الرسائل وتدوينها.

وإذا كانت تلك المواقف الأدبية قد تجلت في الأنماط النثرية المعهودة فإنها قد تحققت أيضاً في الأساليب التعبيرية الأخرى التي نقل بها المؤرخون أخبار هذه الحملة، فقد اتسمت تلك الأساليب بالروح الأدبية، واصطبغت بصبغة ذاتية مميزة، ولعل ذلك يتحقق في كتابات المؤرخين بهذه الجزيرة العربية من أمثال: الشوكاني^(٦٢)، ولطف الله جحاف^(٦٣)، وابن بشر^(٦٤) والفاخري^(٦٥) وغيرهم ممن تعرض لذكر هذه الأحداث، وما قاله الشوكاني في هذا الشأن: وما ينبغي ذكره هاهنا^(٦٦) أنه وصل من الشريف المذكور في عام تحرير هذه الأحرف، وهو سنة ١٢١٣هـ في شهر رجب كتاب . . . يتضمن الأخبار بالرزية العظمى، والمصيبة الكبرى والبلى التي تبكي لها عيون الإسلام والمسلمين، وهي استيلاء طائفة من الفرنج يقال لهم الفرنسيين على الديار المصرية جميعها ووصولهم إلى القاهرة وحكمهم على من بتلك الديار من المسلمين . . .^(٦٧)، وهذا يدل على احساس الشوكاني بأحداث عصره التي رآها من الرزايا العظمى والمصائب الكبرى، فالحق أن مشاعر هذا المؤرخ الأديب لتفيض بالأحاسيس الصادقة تجاه الإسلام والمسلمين.

ويشبه لطف الله جحاف معاصره الشوكاني من حيث اتصاف أساليبه التعبيرية التي نقل بها هذه الأحداث بالمسحة الأدبية والاحساس الصادق، فقد قال جحاف في صدر أحاديثه عن هذه الحملة: وفيها وردت الأخبار بدخول الفرنسة جعل الله ديارهم دارسة، وغيرهم من الافرنج الأبالسة، ديار مصر طهرها الله من الدنس، فاستولوا عليها، ومدوا أيدي الكفر إليها وأظهروا بها الفساد، وعاثوا وتسلطوا على من بها من المسلمين ولاثوا كل ذلك بضرب من الخداع والمكر والحيل والأطماع . . .^(٦٨)، ويمكن للناظر في هذه النصوص أن يدرك مواقف المؤرخين الأدباء من

هذه الحملة الفرنسية، وأن يلمح صدق الشاعر وحسن العرض، فالحق أن هذه الأساليب لا تخلو من الملامح التصويرية المناسبة التي يمكن إدراكها في بقية الألوان النثرية الأخرى.

ومهما يكن الأمر، فإن هذه النصوص السابقة التي حملت مواقف الأدباء بهذه الجزيرة العربية تجاه الفرنسيين قد اتسمت بالروح الدينية الصادقة إذ كانت معانيها تدور حول إبراز المشاعر الإسلامية^(٦٩) والدفاع عن الوطن العربي الإسلامي أمام الفرنسيين^(٧٠)، ولكنها رغم ذلك لم تسلم من التكلف البديعي، والمحافظة على الأساليب المعهودة في العصور الأدبية الضعيفة، وذلك من حيث التزام السجع، والاكثار من استخدام ألوان البديع المعروفة، ولعل ما يمكن ملاحظته في هذه النصوص أن أصحابها قد أسرفوا إلى حد ما في إطالة الدياجات، والميل الشديد إلى التفتخيم^(٧١)، ولكنهم كانوا حينها تنتابهم مشاعر الجدل يميلون إلى حد ما هذا النهج التقليدي، وينصرفون إلى التعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم، ويؤكد هذا القول ما ذكره الشوكاني في معرض حديثه عن إحدى الرسائل الديوانية التي حررها، إذ قال: هذا الكتاب عن أمر مولانا الإمام حفظه الله، وهو على غلط ما قبله من كتابي الشريف في عدم انتخاب أعلى طبقات بلاغات الكتاب، إذ المقام مقام مكاملة في رزية في الدين ومصيبة عمت المسلمين، فمعظم المراد وغاية القصد هو الإفهام بلسان الأقلام لا التأنق في تحرير الكلام على أتم نظام^(٧٢).

ولعل ما يمكن الخروج به من هذه النصوص أن أدباء الجزيرة العربية في ذلك العهد قد شاركوا إخوانهم الأدباء في مصر والشام في تصوير مواقفهم ومشاعرهم تجاه هذه الأحداث، وأنهم قد أسهموا بنصيب ما في هذا الميدان الذي يعد مجهولاً لدى كثير من مؤرخي الأدب، فقد تبين من هذه الألوان النثرية والأساليب التعبيرية وضوح الرابطة الإسلامية، وقوة المشاعر الدينية، وذلك ما يأنس له الباحث ويستحسنه في تلك الفترات العصيبة من تاريخ الأمة الإسلامية.

أبها: كلية اللغة العربية د. عبدالله بن محمد أبو داهش

فهرس المصادر والمراجع:

أولاً: المخطوطات:

- (١) عاكش، الحسن بن أحمد عاكش، «عقود الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر»، نسخة جامعة الملك سعود، المكتبة المركزية، قسم المخطوطات، رقم ١٣٣٤، تاريخ النسخ ١٣٤٦هـ.

ثانياً: المطبوعات:

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله. «عنوان المجد في تاريخ نجد»، ج ١، ط ٤، مطبعة دار الهلال للأوفست الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م (من مطبوعات دار الملك عبد العزيز ٢٧).
- (٣) الجاسر، حمد. «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية»، مقدمة تحتوي أسماء المدن والقرى وأهم موارد البادية، القسم الأول أرض، ط ١ مطبعة نهضة مصر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر الرياض.
- (٤) الجبرتي، عبد الرحمن. «تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار»، ج ٢، دار الجيل بيروت، بدون تاريخ.
- (٥) ابن زبارة، محمد محمد. «نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر»، ج ٢، مطبعة السلفية القاهرة، ١٣٤٨هـ.
- (٦) سالم، سيد مصطفى، (جامع). «نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر»، مطبعة الجبلاوي مصر، ١٩٧٤م، منشورات مركز الدراسات اليمنية (٣).
- (٧) الشوكاني، محمد بن علي. «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع»، ج ٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- (٨) الفاخري، محمد بن عمر، «الأخبار النجدية»، تحقيق عبدالله بن يوسف الشبل، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر، بدون تاريخ.
- (٩) كحالة، عمر رضا. «معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية»، دار احياء التراث العربي، بيروت، توزيع مكتبة المثنى لبنان، بدون تاريخ.
- (١٠) مردم، خليل. «أعيان القرن الثالث عشر»، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٧م.

- (١) قال محمد بن علي الشوكاني: «وهذا خطب لم يصب الإسلام بمثله...» «البدر الطالع»، ج ٢، ص ٨.
- (٢) انظر «نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر»، جمع سيد مصطفى سالم ص ٩٦، ٩٧.
- (٣) المصدر نفسه، ص ١٠٣.
- (٤) لقد اعتمدت في إيضاح هذه المواقف على كتابي «البدر الطالع» للشوكاني، و «درر نحرور العين»، للطف الله جحاف، ورغم وجود نسخة مصورة من «درر نحرور العين» في مكتبي إلا أنني فضلت الإفادة من كتاب «نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر»، جمع سيد مصطفى سالم في ميدان الاقتباس من النصوص وذلك لعدم وضوح الصورة التي في مكتبي والمأخوذة من مصورات بعثة الجامعة العربية إلى اليمن.
- (٥) قال ابن بشر في تاريخه «عنوان المجد»: إنه من: أدباء أهل الحرمين ج ١، ص ٢٥٠ ووافق المؤرخ محمد بن عمر الفاخري في تاريخه «الأخبار النجدية» وقال بأنه من: فضلاء أهل الحرمين ص ١٣٠، واتفق المؤرخان على أن هذه الأبيات قيلت في تاريخ دخول الفرنسيين مصر، وأضافا بيتاً للشاعر في هذا الشأن هو عند ابن بشر: (وقد صح ما قال تاريخه إله حكمته فاهرة) ج ٢، ص ٢٥٠ وفيه كسر، ويستقيم إذا قيل: (إله له حكمة...). وعند الفاخري: (وقد صح ما قال تاريخه إله له حكمة بالغة)، ص ٢٥٠.
- (٦) هكذا في «الأخبار النجدية»، وفي «عنوان المجد»: (بالهف)، ص ٢٥٠، والصحيح ما أثبت.
- (٧) هكذا في «عنوان المجد»، وفي «الأخبار النجدية»: (على ما) ص ١٣٠.
- (٨) هكذا في «عنوان المجد»، وفي «الأخبار»: (الافرنج) ص ١٣٠.
- (٩) كذا في الأصل، ولعل الصواب: لكنا.
- (١٠) زيادة في «عنوان المجد»، ص ٢٥٠.
- (١١) عثمان بن بشر، «عنوان المجد في تاريخ نجد»، ج ١، ص ٢٥٠.
- (١٢) من مؤرخي مصر وعلماؤها، ولد سنة ١١٦٧ هـ، تلقى تعليمه في الأزهر، وعمل ضمن كتبة الديوان إبان حملة نابليون على مصر، وتولى الافتاء الحنفي في عهد محمد علي، له مؤلفات ومشاركات في بعض العلوم، توفي سنة ١٢٣٧ هـ. انظر «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة، ج ٣، ص ١٣٣.
- (١٣) «تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار» ج ٢ ص ٢٥٠.
- (١٤) قال سيد مصطفى سالم إن لطف الله جحاف، والجبري اللذين أرحا للحملة الفرنسية على مصر لم يذكرنا ترجمة للجيلاني هذا، وإنما أشار إلى أن الجبري فقط ذكره باسم الكيلاني، وأضاف سيد مصطفى أن هذين المؤرخين: اكتفيا بتتبع أحداثه حتى استشهاده، «نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر»، ص ٩٦، وقال جحاف: إن الناس استمعوا إلى ارشاده إلى أنهج الطرائق وفعل دعاه بالقلوب ما فعل، المصدر نفسه، ص ٩٦.
- (١٥) من مؤرخي اليمن وفقهاؤها، ولد بمدينة صنعاء سنة ١١٨٩ هـ، وتلقى العلم على يد جملة من علمائها، ترجم له شيخه الشوكاني، وتلميذه عاكش، وقد وصفاه: بالذكاء والألمعية والتقوى والميل إلى العزلة والزهد. له عدد من المؤلفات الدينية والتاريخية، وله مشاركات شعرية ونثرية توفي سنة ١٢٤٣ هـ. انظر

- «البدر الطالع» للشوكاني، ج ٢، ص ٦٠، و«عقود الدرر» لعاكش، ورقة ٨١، ٨٢، و«نيل الوطر» لزيارة، ج ٢، ص ١٨٩ - ١٩١.
- (١٦) سيد مصطفى سالم، كتابه السابق، ص ٩٦ - ٩٧.
- (١٧) قال لطف الله جحاف: كان السيد محمد الجيلاني قد دعا العباد بالحرمين إلى فريضة الجهاد، فممن أعانه بالحرمين محمد باصلاح الحضرمي، فإنه تصدق في سبيل الله بخمس مئة بندق صغار مغربية، ومئتي حربة من حراب الشام، ومئتي سيف، وأربع مئة كيس حبوب الرز، وألفي نعل يتعلمها فقراء المجاهدين، ومنهم الشيخ عبد الرحمن العسيري بمهمات، جهاز ثلاث سواعي، يركبها المجاهدون وملاها ميرة ومنهم الشيخ أحمد فاس جهاز داوين في سبيل الله ومنهم الشريف غالب بن مساعد جهاز خمس سواعي في سبيل الله شاحنة ومن أهل ينبع محمد أبو العسل جهاز داوا من داواته، وثلاث سواعي أخرات من أهل ينبع.
- سيد مصطفى سالم كتابه السابق، ص ٨٧ - ٩٨.
- (١٨) قال حمد الجاسر: بأنها واد ذو قرى كثيرة... بمنطقة المدينة وسكانها بنو سالم من حرب. «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية»، المقدمة القسم الأول، ص ٦٩٨.
- (١٩) سيد مصطفى سالم، كتابه السابق، ص ٩٨، ٩٩.
- (٢٠) المصدر نفسه، ص ٩٩.
- (٢١) المصدر نفسه، ص ١٣٣.
- (٢٢) «البدر الطالع يحاسن من بعد القرن السابع».
- (٢٣) «درر تحور العين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين».
- (٢٤) «عنوان المجد في تاريخ نجد». وقال ابن بشر في هذا الشأن: (قلت قد نقلت أخذ الفرنسيين هذا لمصر من أوراق تاريخ وجدت في الطائف حين فتحها عثمان المضائفي فنقلتها باختصار...) ج ١، ص ٢٥٠، وهذا يدل على اهتمام مؤرخي الجزيرة العربية بهذا الأمر، وأن هنالك عدداً من المؤرخين الآخرين الذين أرخوا لهذه الحملة، ولم تبلغنا مؤلفاتهم.
- (٢٥) قال محمد بن عمر الفاخري: (وفيها أخذ نابليون مصر خديعة) ص ١٢٩.
- (٢٦) سيد مصطفى سالم، كتابه السابق، ص ١٠٠.
- (٢٧) المصدر نفسه، ص ١٠٣.
- (٢٨) المصدر نفسه، ص ١٠٣.
- (٢٩) تولى إمارة مكة المكرمة عام ١٢٠٢هـ، وانضم إلى صفوف الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود (١١٧٩ - ١٢١٨هـ)، ثم في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز (١٢١٨ - ١٢٢٩هـ)، نفاه محمد علي باشا إلى مصر عام ١٢٢٨هـ، وتوفي سنة ١٢٣١هـ بسلانيك.
- انظر «البدر الطالع» للشوكاني ج ١ ص ٤ - ٢٤. وانظر «أعيان القرن الثالث عشر» لخليل مردم، ص ١٢٧ - ١٣١.
- (٣٠) ولد بصنعاء عام ١١٥١هـ، تولى إمامة اليمن عام ١١٨٩هـ وظل فيها حتى سنة ١٢٢٤هـ، تاريخ وفاته أفرد له لطف الله جحاف مؤلفاً مستقلاً، انظر «نيل الوطر» لزيارة، ج ٢، ص ١٤٠ - ١٤٢.
- (٣١) «البدر الطالع»، ج ٢، ص ٩.

(٣٢) في المصدر ههنا.

(٣٣) «البدر الطالع» ج ٢، ص ٩.

(٣٤) «البدر الطالع» ج ٢، ص ٢٣.

(٣٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٣.

(٣٦) أمير المدينة المنورة ويندر جلة في العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، وصفه الشوكاني بقول: وصلت إلينا الأخبار بأنه من أعظم الأمراء في الدولة العثمانية، وأن له من الجهاد في بلاد الأفرنج ما لم يكن لغيره، وله فتوحات عظيمة. «البدر الطالع» ج ٢، ص ٣٥٧.

(٣٧) شكك الشوكاني في كون إمام اليمن المنصور أرسل بخطاب إلى الحاج يوسف باشا والي المدينة في بادئ الأمر، وقال: وصل منه في سنة ١٢١٤ هـ كتاب إلى حضرة مولانا الإمام المنصور بالله، وذكر فيه أنه وصل إليه كتاب من مولانا الإمام حفظه الله، ولا حقيقة لذلك فلعله افتعله بعض المفتعلين. «البدر الطالع» ج ٢ ص ٣٥٨، ولكن الشوكاني أفاد بأن الإمام المنصور بعث بكتاب إلى الحاج يوسف باشا بعد ما وصله كتاب منه. وقد أورده الشوكاني في كتابه «البدر الطالع» ج ٢، ص ٣٦٤، ولعل الشوكاني صادق في قوله إذ يبدو أن الحاج يوسف نفسه قد بدأ بالكتابة، ثم أجابه المنصور من بعد ذلك.

(٣٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٥٨.

(٣٩) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦٨.

(٤٠) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦٨.

(٤١) كتابه السابق، ج ٢، ص ٢٠.

(٤٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٣.

(٤٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦٦.

(٤٤) كذا في «البدر الطالع»، وفي «درر نحور العين»: فإن.

(٤٥) زاد في «درر نحور العين»: الكريم.

(٤٦) كذا في «درر نحور العين»، وفي «البدر الطالع»: وحزيل.

(٤٧) كذا في «البدر الطالع» وفي «درر نحور العين»: مصر.

(٤٨) كذا في «البدر الطالع»، وفي «درر نحور العين»: ثغورهم.

(٤٩) كذا في «البدر الطالع»، وفي «درر نحور العين»: عن.

(٥٠) محمد بن علي الشوكاني، كتابه السابق، ج ٢، ١٥، ١٦.

(٥١) لعله قبس هنا من قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِنَّ أَلْفِي إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ﴾ «النمل» آية ٢٩.

(٥٢) زيادة في «البدر الطالع».

(٥٣) كذا في «البدر الطالع»، وفي «درر نحور العين»: الأيام.

(٥٤) محمد بن علي الشوكاني: كتابه السابق، ج ٢، ص ٢١، ٢٢.

(٥٥) كذا في «البدر الطالع»، وفي «درر نحور العين»: بعث.

(٥٦) كذا في «البدر الطالع»: حدى، وقبل هذا خلاف ظاهر في لفظ الرسالة عند لطف الله جعاف في «درر

نحور العين»، والشوكاني في «البدر الطالع».

كشف الحجب والستور عما وقع لأهل المدينة مع أمير مكة سرور

- ٣ -

ثم توجه نصار إلى الحمراء، وبقي محمود ومعه اثني عشر نفرًا، فأرسل إلى الوزير، وأمره بالمسير، وقد فاز أهل المدينة بالمرابطة للذب عن جيران سيد ولد عدنان، وسارت بمآثرهم الحميدة الركبان.

فلما أتقنوا الاستعداد، وجدوا في تحصين البلاد، وكملوا عُدَدًا وعُدَدًا، وتحروا في أهبتهم رَشَدًا، أقبل العدو المخذول، وبُوم الإِدبار تحوم عليه ولا تحول، بعد أن نفته المدينة من حصونها، وأبرزته من مصونها، أعاد في غرة القعدة الحرب عوانًا، ولم يعلم أن منقار عزمه صَادَفَ صَوَانًا، فأق الصائح، الصادق الناصح، ونادى:

-
- (٥٧) كذا في «درر نحر العين»، وفي «البدر الطالع»: محى.
(٥٨) كذا في «درر نحر العين»، وفي «البدر الطالع»: العزا.
(٥٩) كذا في «البدر الطالع»، وفي «درر نحر العين»: العموم.
(٦٠) محمد بن علي الشوكاني، «البدر الطالع»، ج ٢، ص ٢١، ٢٢.
(٦١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦٤.
(٦٢) في كتابه السابق: «البدر الطالع».
(٦٣) في كتابه السابق: «درر نحر العين».
(٦٤) في كتابه «عنوان المجده»، ج ١، ص ٢٤٥.
(٦٥) في كتابه «الأخبار النجدية»، ص ١٣٠.
(٦٦) في الأصل: ههنا.
(٦٧) كتابه السابق، ج ٢، ص ٨.
(٦٨) سيد مصطفى سالم، كتابه السابق ص ٨٧.
(٦٩) المصدر نفسه، ص ٧٦.
(٧٠) المصدر نفسه، ص ٨١.
(٧١) المصدر نفسه، ص ٨٠.
(٧٢) كتابه السابق، ج ٢، ص ٢٠.

ياجيرَان خَيْرَ الْأَنَامِ، قَدْ جَرَدَ أَمِيرُ مَكَّةَ عَلَيْكُمْ جُرْدَةً، فِيهَا مَا يَنُوفُ أَلْفًا مِنَ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ وَالْأَزْلَامِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ نَاصِرُ بْنُ مُسْتَوْرٍ، لِأَزَالِ مَخْذُولًا مَكْسُورًا، وَنَزَلَ شَرْقِيَّ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، فَأَخَذَتْ أَهْلُهَا عِنْدَ نَزْوِلِهِ الْحَمِيَّةَ، وَقَدْ تَاهَبُوا لِلنِّزَالِ، وَاسْتَعَدُّوا لِلْقِتَالِ، وَاسْتَعَدُّوا لِلْقِتَالِ، وَتَوَسَّلُوا فِي رَفْعِ هَذِهِ الْمَصَائِبِ الْعِظَامِ، بِسَيِّدِ الرُّسُلِ الْكَرَامِ^(١)، وَتَضَرَّعُوا إِلَى مَوْلَاهُمْ، فِي كَشْفِ بَلَوَاهُمْ، فَنَادَاهُمْ: عِبَادِي لَا تَنَامُوا: يَنَالُ النُّصْرَ مِنْ هَجْرِ الْمَنَامِ.

فَخَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَا يَنُوفُ عَنْ ثَلَاثِينَ، وَخَرَجَ مُحَمَّدٌ وَمَعَهُ مِنْ حَرْبٍ مِقْدَارُ تِسْعِينَ، فَرَكِضَتْ عَلَيْهِمُ الْخَيْلُ وَالْأَزْلَامُ وَالرَّكَابُ، فَهَرَبَتْ أَكْثَرُ الْأَعْرَابِ، وَثَبَتَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَبَعْضُ مَنْ حَرْبٍ، وَصَادَمُوا الْخَيْلَ وَصَبَرُوا لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ، فَاسْتَشْهَدَ مِنْهُمْ تِسْعَةٌ سَارُوا إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَزُوجُوا الْحَوْرَ الْعَيْنَ، وَقَدْ أَذَاقُوا الْأَعْدَاءَ كُؤُوسَ الْحُمَامِ، أَذَلَّهُمُ اللَّهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ، وَجَمَلَةٌ مِنْ قَتْلٍ مِنْهُمْ نِيفًا وَعِشْرِينَ، وَقِيلَ ثَلَاثِينَ، مَا بَيْنَ عَبْدِ وَبَدَوِيٍّ وَمَوْلِدٍ، شَتَّ اللَّهُ شَمْلَهُمْ وَبَدَّدَ:

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نَصْرَتَهُ. إِنْ تَلَقَّه الْأَسَدُ فِي آجَامِهَا تَحِمُّهُ هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ لِكُلِّ هَوَلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُفْتَحِمٍ. وَقَدْ نَشَرَتْ الْجُرْدَةُ الْأَعْلَامَ الْمَكْسُورَةَ، وَقَصَدَتْ الْبَابَ الشَّرْقِيَّ مِنَ الْبَلَدَةِ الْمَنْصُورَةِ، وَقَدْ امْتَلَأَ أَعْلَى الْبَابِ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ السَّادَاتِ، فَلَمَّا رَأَوْا الْأَعْلَامَ رَمَوْهَا بِالرِّصَاصِ مِنْ تِلْكَ الْجِهَاتِ، فَقَالُوا الْأَذْبَارُ حَيَارَى ﴿وَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾، فَتَلَوْتُ عِنْدَ ذَلِكَ طَالِبًا مِنَ الْقَاهِرِ عَوْنًا وَانْتِصَارًا، ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾. . . ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾.

تذليل:

وَكَانَ تَمَامُ هَذَا الْحَالِ فِي أَوَّلِ الْقَعْدَةِ، وَالْوُجُودُ فِي اضْطِرَابٍ مَا بَيْنَ قَوْمَةٍ وَقَعْدَةٍ، وَالسَّاعِي فِي الْفَسَادِ، مَا بَيْنَ هَالِكٍ وَمَنْفِيٍّ مِنَ الْبِلَادِ، إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، وَالْهَوَاجِسُ فِي الْخَاطِرِ خَاطِرَةٌ، وَالْعَيْنُ إِلَى نَحْوِ الطَّرِيقِ نَازِرَةٌ،

ولسان المقال مترنم بقول من قال:

أَقْبَلَ الْمَوْسِمُ الْمُبَارَكُ فِيهِ، مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ خَلَقَ كَثِيرُ
فَدَعَوْنَا إِلَهَهُ، بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ (٢)
أَعْطَانَا خَيْرَهُمْ إِلَهَ السَّرَايَا وَاتَّخَفْنَا شَرَّهُمْ وَأَنْتَ الْقَدِيرُ

فَمَا مَضَتْ أَيَّامٌ مِنَ الْمُثُولِ بَيْنَ يَدَيِ مُصْبِحِ الظَّلَامِ، إِلَّا وَوَرَدَ الْبَشِيرُ بِمَا أَقْرَأَ
الْعَيُونَ، وَسَكَنَ هَوَاجِسَ الظُّنُونِ، وَهُوَ وَرُودُ نَجَابِ الْهَمَامِ الْغَطْرِيفِ، (أَفْنَدِينَا)
مُحَمَّدَ بَاشَا أَمِيرَ الْحَجِّ الشَّرِيفِ، وَقَدْ أُعْلِنَ بِالْبَشْرِ، لَجِيرَانٍ مِنْ انْشَقُّ لَهُ الْقَمَرُ، ثُمَّ
بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَكَانَ يَوْمَ الثَّلَاثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ الْحَرَامِ، وَصَلَ الْحُجَّاجُ
مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ آمِينَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، وَأَقْبَلَ السَّمِيدَ عِيَّ الْقَمَقَامِ، الْفَارَسِ الْهَامِ،
الْلَيْثِ الضَّرْعَامِ، بَرَكَةُ الْأَنَامِ، مِنْ صَيْرَ كُلِّ عَدُوٍّ وَانِي، وَكُلِّ صَخْرِيٍّ (٣) فَاثِي
(أَفْنَدِينَا) مُحَمَّدَ بَاشَا، بَلَّغَهُ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ مَا شَاءَ، وَحَمَاهُ بِحِمَاهِ الْمَصُونِ، وَجَعَلَ
الْأُمُورَ لَهُ مِنْقَادَةً، بِقَوْلٍ: كُنْ فَيَكُونُ، وَمَعَهُ الْمَكْرَمُ الْمُحْتَرَمُ عَلِيٌّ أَغَا شَيْخُ الْحَرَمِ،
فَلَمَّا وَصَلَ حَضْرَةَ أَفْنَدِينَا مُحَمَّدَ بَاشَا الْأَجَلِّ، وَبَوَادِي رُومَةَ نَزَلَ، طَلَعَ عَلَى الْمَعْتَادِ
لِلْمُلَاقَاةِ نَائِبَ الْحَرَمِ وَ (الْخَزِينِدَارِ)، وَ (كَتَخَذَا النُّوبِتْجِيَّةَ) وَكُلَّ (جَاوُوشِ)
وَ (بِيرْقَدَارِ)، فَلَمَّا وَصَلُوا، وَبَيْنَ يَدَيْهِ حَصَلُوا، قَامَ يَسْأَلُهُمْ عَنْ كَيْفَةِ الْحَالِ، وَمِنْ
السُّبُتْدِيِّ بِهَذَا الضَّلَالِ، فَقَامَ (الْخَزِينِدَارِ) وَوَلَّغَ فِي إِثْنَاءِ أَهْلِ الدَّارِ، وَحَطَّ فِيهِمْ
مَا حَطَّ، وَكَلَّمَا وَلَغَ انْحَطَّ، فَانْتَبَذَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ الْإِكْسِيرِ، نَائِبَ الْحَرَمِ بَشِيرٌ، وَأَتَقَنَ
جِدَالَهُ، وَكَذَّبَ مَا قَالَهُ، فَأَصْغَى حَضْرَةُ الْبَاشَا لِنَائِبِ الْحَرَمِ بَشِيرٍ، وَلِسَانُ الْحَضْرَةِ
يُنَادِي: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرَةٍ﴾.

ثُمَّ نَزَلَ حَضْرَةُ الْبَاشَا بِنِظَامِهِ إِلَى بَابِ الشَّامِيِّ، فَإِذَا النِّسَاءُ الْمَنْهُوِيَّاتُ وَاقِفَاتُ
وَدَمْعُهُنَّ كَالْمَزْنِ الْهَامِيِّ، يَنَادُونَ (؟): شَرَعَ اللَّهُ جِيرَانِ رَسُولِ اللَّهِ !! أَحْرَارُ
وَمُحَذَّرَاتُ، أَبْكَارُ وَثِيَّيَاتُ، هَتَكَ مِنْ الْأَعْرَاضِ، وَكَادَتْ عَسْكَرُهُ أَنْ تَبْلُغَ مِنَ
الْأَعْرَاضِ !!، وَلِسَانُ الْحَالِ يَنْشُدُ بِقَوْلٍ مِنْ قَالَ:

يَا غَارَةَ اللَّهِ إِنْ لَمْ تُذَرِكِي سَحَرًا فَعَجَّلِي بِالضُّحَى يَا غَارَةَ اللَّهِ

يَا غَارَةَ اللَّهِ حُثِّي السَّيْرَ مُسْرِعَةً فِي حَلِّ عُقْدَتِنَا يَا غَارَةَ اللَّهِ

فقصد حضرة الرسالة، وقد أهمل دمه وأسأله، شوقاً لعلَّ الجَنَابَ، وحُزناً على ما صار على المصونات رَبَّاتِ الْحِجَا والحجاب، ثم بعد أن زار، وتحقق ما وقع وما صار، سأل الصلحاء والأعيان، فلم يختلف فيما قاله النائب اثنان، ثم أتاه (الخزیندار) وطلب منه الإِذْنَ بالمسير، إلى الحرم المكي فمنعه وحذره أشدَّ التحذير.

ثم في يوم الخامس والعشرين، تَرَجَّى أهلُ المدينة أجمعين، عند حضرة الباشا وأربابِ دَوْلَتِهِ، ومن هو تحت شوكته وصولته، أن يقيم (الجُورَبجي) محمد سعيد المغربي (كتخدا) القلعة السلطانية، وأحمد رجب (كتخدا اليانشرية)، وعبد الله الطيار (كتخدا النوبتجية) فحينئذ تصلح إن شاء الله أحوال المدينة النبوية، فامتنع الطيار واختبأ في الدَّار، فاختر الناس عوضاً عنه (الجوربجي) عمر رشيد، وطلبوا الإِغانة من رب الطول والأيد، فَأَلْبَسَ عمر، وَأَلْبَسَ أحمد وَأَلْبَسَ محمد سعيد (الباسين)، كتخدا و (دِرْدَاراً) بِلَامِينَ، ثم رحل وقصد مكة في الحين، — أمدّه الله وأيده بالنصر والفتح المبين — :

وقد كان مسيره من الطريق السلطاني، محفوفاً بالبشر والتهاني، فأنشد لسان الحال مُتَرَنِّماً وقال:

مركز تحقيقات كويتية للعلوم الإسلامية

إِذَا اهْتَزَّتْ مَنَاقِبُ ذِي افْتِخَارٍ بِقُرْبِ مَلِيكِهِ وَعُلُوِّ دَارِهِ
فَلَنِي لَا أَزَالُ أَهْزُ عِظْفِي بِجَيْرَةِ أَحْمَدِ حَاوِي جَوَارِهِ
وأنشد وغنى، في هذا المعنى:

لَسْتُ بِطَهَ فِي جَمِيعِ النَّوَبِ وَأَنْسَخُ نُجَبَ الرَّجَا وَاحْتَسِبُ
وَادْعُهُ إِنْ مَسَّكَ الضَّرُّ الَّذِي عَجَزَتْ عَنْهُ الْأَطِبَّا نَطِبُ^(٤)

وقد وصلت مع الحج ذَرَاهِمُ للعمارة والمباشر فيها (صره أميني) سابقاً طاهر أفندي، وهي له بالجوار نعم الإمارة.

ثم بعد أيام، وهو يوم خمسة عشر شهر ذي الحجة الحرام، قلع الباب الذي وضعه أمير مكة سرور، جيران صاحب القبر المغمور بالنور، وفي هذا براءة من الله ورسوله، إلى عدم قبوله.

ثم لما كان يوم الثاني من محرم، بلغنا أن الوزير المكرم، مُدَبَّرُ أُمُورَ الجمهور بالرأي الصائب، والمفخم الدستور بالفكر الثاقب، حضرة أفندينا محمد باشا أمير الحج الشريف ووالي الشام حالاً - جعله الله في غرة الزمان هلالاً - خاطب أمير مكة في أهل المدينة المربوطين، وخاطبه أيضاً رؤساء الحج أجمعين، فأبى، ولم يرد ذلك، فأشهد عليه حضرة الباشا مَنْ مِنْ رجال الدولة هنالك، وقد صار بين الحج المصري والعربان قتال، فأراد حضرة الباشا أن يأتي به معه ويصلح له الحال^(٥)، والمتسبب في هذا القتال أمير مكة الختال، فأذعن حضرة الباشا بالإطاعة والسير معه، فغضب عليه أمير مكة ومنعه.

ثم بلغنا أنه أمره بالخروج من الطريق الشرقي، وأرسل معه مقدار الفين من كل أعرابي شقي، وأمره أن يُقاتل أهل المدينة النبوية، ويضع هاؤلاء الأعراب بالقلعة السلطانية، فحين تواتر عندهم هذا الخبر، صاروا في غاية من القلق والضجر، فجمعوا عند ذلك جمعية، ونادى المنادي: نَفِيرٌ عامٌ يا جيران خير البرية!!، فخرجوا وسدّدوا السدود، وحمل الطين والحجر للعمارة السيد والمسود، وكان في ذلك اليوم نوبة الحفير^(٧) بالمنبر النبوي الشريف، فخطبت، وحرّضت في الخطبة على القتال تحريضاً يعم القوي والضعيف، وهي هذه:

الحمد لله الذي حمده أتقن ما أرهقت به مخاذم البراعة، وأحسن ما نظمت بمشوره لبّات البراعة، أحده أن بَعَثَ سيدنا محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وأمره بقوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فدعا إلى الله سراً وجهرًا، ووفق للسبق إلى إجابته أقواماً كراماً يُسَرُّوا لليسرى، وجاهدوا في الله حق جهاده، فحققت لهم المثوبة والبشرى (بيت):

تَلَاَعَبُوا تَحْتَ ظِلِّ الرُّمَحِ مِنْ مَرَحٍ كَمَا تَلَاَعَبَتِ الْأَشْبَالُ فِي الْأَجَمِ

وأشكره أن قهر بجنوده الرحمانية جنود النفس الأمارة، والآح لمن لبس لأمة حزيه
 رايات الفلاح فأوسع في المسرة مضماره، وأتوكل عليه وأستبصره، فمنه الهداية
 وإليه الرجعى والمصير، وأستهديه واستنصره، نعم المولى ونعم النصير، وأشهد أن
 لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا مثيل له، المرجو للنوازل
 يكشفها، وللنوائب يصرفها، وللملة الحنيفة ينصرها ولا يخذلها، هكذا عوائده
 الجليلة التي نألفها يوصلها، ولطائفه الخفية التي لا تخلفها، شهادة أعدّها وسيلة
 للظفر بالسؤل، وجواباً للسؤال بالمأمول، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله،
 وصفيه وحببيه، وخليله نبي أنزل عليه في حقه ﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا
 وحي يوحى، علّمه شديد القوى﴾ نبي كساه الله صبراً وحلماً وعلماً، القائل:
 «من أخاف أهل المدينة أو كادهم، أذابه الله كما يذوب الملح في الماء»، والقائل
 منبهاً للميت والحي: «من أخاف أهل المدينة فكأنما أخاف ما بين جنبي» رؤوف
 نشر برود الرأفة والعناية على معاطف جيرانه الكرام، وعطوف سبق لإغاثتهم عند
 ضجيج صارخهم قائلاً: «لن ترأعوا لن ترأعوا» في دياجير الظلام، صلى الله عليه
 وعلى آله الموفون بعهد الله بالجهر والإسرار، البررة الأخيار، وأصحابه الجهاضمة
 الذين لم يكن نداؤهم عند اللقاء والنضال إلا نزال نزال، والقرائعة الذين احتزوا
 في نصرة الدين هام كل مبارز من الأقران الأبطال، صلاة وسلاماً دائمين ما قامت
 أئمة أسياف عساكر الإسلام مصلية في محارِب ضلوع الكفرة اللثام، وخفقت
 رايات أفراجهم بريح النصر، والدَّهر لها بسام، أما بعد: عبيد الله، إن أحسن
 الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وزاده شرفاً وإجلالاً،
 وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فمن المصائب الدينية العظمى، والبدع التي أوهنت لحماً وعظام، تلك
 الحادثة الفظيعة، والنازلة الماضية الهائلة الشنيعة، التي أضمت الأسماع، وأعمت
 الأبصار، وأذهلت العقول بانتهاك حرمة الجوار، فمننا المنسوب إلى الرسول
 والوصي والبتول، ومننا المنسوب إلى العليم العلي، والفضل الجلي، ومننا المولود
 بالدار، المتشرف بالدخول تحت هذه الأستار، والوصف المشترك بين الجميع،

التشرف بجوار المشفع الشفيع ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ أولئك الْمُقَرَّبُونَ، في جنات النعيم ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، فلم يحفظ لنا أمير مكة هذه الحرمة، ولم يرقب فينا إلا ولا ذمة، وهتك أستارا كانت بيننا وبينه وذماما، وجار علينا ولم يراع للأحاديث الواردة في حق الجوار أحكاما، ونحن معاشر المشفرين للدعاء، وللطعن في الوغا، من الذين أوجب الله لهم احتراماً، ومن الذين يقولون: ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾، ونصب منوالاً لحياكة حكاية المكر، ومداً شباكاً للنسج على ذلك المنوال، وفخاخاً لصيد الغدر، واستفرغ في السعاية جهده، واستخرج أقصى ما عنده، وتنوع في الفساد، وعثا في البلاد، وتجلد في الجلاد، فأبى الله تعالى [.....] (٨) في البر من حفر، وأن لا يحيق المكر السيئ إلا بمن مكر، فعندما ضاق الخناق، ولجَّ الكرب في السياق، وبلغت الروح التراق، والتفت الساق بالساق، وسالت الأدمع الذوايب، وشابت الأفئدة والذوائب، سمع النداء من عالم الأسرار: البدار البدار، لنصرة سيد الأبرار، قبل هتك الأستار، قبل نزول غضب الجبار، قبل أن يقال: لا تقال العثار.

فيا أيها الحاضرون ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ وما الله بغافل عما تعملون: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ تلك أشرط الساعة برزت علامة علامة ترى وطوالع لم ينتظر بعدها إلا مجيء الطامة الكبرى، فكأنكم بها كعقد جز سبطه فانتثر نثراً، سيما وأمير مكة قد أقبل يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، فالسعيد من سمع النداء فأجاب، والشقي من أبصر الحق فأرعى الحجاب، فأنهضوا وشمروا للقيام بحقوق الجوار، وابذلوا مهجكم في حفظ هذه الدار، واصبروا لقضاء من أمره بين الكاف والنون ﴿فَالصَّابِرُونَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ أولئك الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿سَيُظْلِمُهُمُ اللَّهُ بِرَدَائِ عِزَّتِهِ يَوْمَهُمُ بَارِزُونَ، وَيُنَادِيهِمْ﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿فَذُبُّوا عَنِ الْإِنتِهَافِ بَارِزُونَ﴾ في غدوكم ورواحكم، فقد ورد في الخبر عن صاحب هذا القبر الأعطر عليه السلام أنه قال: «مَنْ قَتَلَ دُونَ مَالِهِ وَرُوحَهُ فَهُوَ شَهِيدٌ».

جعلني الله وإياكم من أهل التوحيد، إن أحسن الكلام وأبين النظام كلام الله تعالى الملك العلام، والله سبحانه وتعالى يقول على لسان سيد الأنام^(٩)، ويقول به يهتدي المؤمنون: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أَعُوذُ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بالآيات والذكر الحكيم، وأمركم عباد الله بما أمر الله به من حسن الطاعة فاطيعوه، وأنهاكم وإياي عن ما نهى الله عنه من قبح المعصية فاتقوا الله ولا تعصوه، واستغفر الله العظيم، لي ولكم ولوالدي ولوالديكم، ولجميع اخواننا في الإسلام، واستمنحه بعد ذلك حسن الختام.

وهذا آخر ما تيسر جمعه من هذه الرسالة، مع غاية من الاختصار في المقالة، لضيق الوقت وخشية التطويل، وسندئلاً - إن شاء الله - بما يصدر في هذا العام، من الأمور التي يشاهدها الخاص والعام، والمرجو من يقف عليها، أن ينظر بعين القبول والإنصاف إليها، فإن رأى خللاً أصححه بقلمه، أو زللاً ستره بذيل كرمه، فقد قيل: من صَنَّفَ فَقَدْ اسْتَهْدَفَ، ومن أنصف فقد أسعف، وعلى كل حال فقد أجاد الشاعر حيث قال:

كَتَبْتُهُ مُجْتَهِدًا وَلَيْسَ يَخْلُو مِنْ غَلَطٍ
فَقُلْ لِمَنْ قَدْ لَامَنِي: (مَنْ ذَا الَّذِي مَا سَاءَ قَطُّ)؟

والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب، وكان الفراغ من تبويبها ليلة الجمعة ٩ من محرم الحرام، افتتاح سنة ١١٩٥ ألف ومئة وخمسة وتسعين من هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين.

المواشي:

- (١) التوسل إلى الله بحجة الرسول عليه الصلاة والسلام ويطاعته بإتباع أوامره واجتناب نواهيه توسل مشروع، أما التوسل بدعائه والالتجاء إليه بعد وفاته فهو من الأمور التي جاء الشرع الشريف بتحريمها.
- (٢) دعاء الله في المسجد النبوي الشريف من الأمور المستحبة، أما بين يدي الرسول عليه الصلاة والسلام -

رحلة فتح اسد الصائغ إلى البادية

من سنة ١٨١٠ إلى ١٨١٤ (؟)

[انظر «العرب» ص ١٩ ص ١٥٢ و ٦٩٧]

إن المؤلفات عن البادية وسكانها وعاداتها وتقاليدها وقبائلها وأحوالها تكاد لا تحصى. وقد اهتم بهذا الموضوع الشيق كثير من باحثي العرب من المستشرقين، ومن أشهرهم بوركهارت وموسيل وجوشان. غير أننا إذا رجعنا إلى فهارس الكتب التي تصف الحياة البدوية لا نجد ذكراً لرحلة قام بها شاب سوري يدعى فتح الله الصائغ من سنة ١٨١٠ إلى سنة ١٨١٤ (؟) تجول خلالها في بادية الشام والعراق وصحراء نجد، ووصل إلى تخوم بلاد العجم، بل تجاوزها على ما يزعم، إذ زار الأمير سعد البخاري رئيس قبائل عرب الهند، الذي كان مقيماً عند حدود الهند الشرقية، على ما يقول صاحب الرحلة.

- فالشروع السلام عليه والدعاء له لا دعاء ولا قصد الدعاء عنده.
- (٣) إشارة إلى ما لأمير الحج الشامي محمد باشا هذا من مواقف في الصراع مع بني صخر الذين كانوا مسيطرين على طريق الحج الشامي.
- (٤) في هذين البيتين من الأمور المجرمة ما هو موجب لحذفها لولا المحافظة على الأمانة العلمية بإيراد نصوص الأصل كما وردت بدون تغيير. فاللياذ والرجاء والدعاء كلها من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، والمصطفى عليه الصلاة والسلام وإن كانت حياته برزخية إلا أنه لا يستطيع أن يعمل شيئاً من الأمور التي تطلب منه الآن، وهو لا يرضى بأن يُصرف له ما هو من حقوق الله جل وعلا. فالعبادة بأنواعها كالدعاء والرجاء والخوف واللياذ من الأمور الخاصة بالله لا يجوز صرفها لغيره.
- (٥) لم يرد ذكر هذا الذي عبر عنه المؤلف بجملة: (أن يأتي به معه) ولعله القمقمجي الذي تقدم ذكره في أول الرسالة.

- (٦) كلمة (الشرقي) ليست واضحة في الأصل.
- (٧) المقصود بالخقير هنا المؤلف من قبيل التواضع.
- (٨) كلمة غير واضحة ولعلها: (إلا أن يوقع).
- (٩) لا محل لجملة: (على لسان سيد الأنام).

وتحدث الصائغ في مذكراته عن الأعراف البدوية وأتى على ذكر القبائل التي زارها، وذكر أسماء شيوخها وعدد مقاتليها. وتكلم عن الوهابيين وحروبهم وغزواتهم على عرب الشام ووقائعهم مع الدُرَيْعِي بن شعلان، شيخ عرب الرولة، وذهب إلى أنه زار الدرعية، عاصمة الدعوة الوهابية يومئذ، ووصفها كما وصف عدداً من البلدان والقرى السورية مثل معرة النعمان وحماه وحصن وتدمر والقريتين وصدد.

والغريب في هذه الرحلة أنها ترجمت إلى الفرنسية منذ أكثر من مئة وخمسين سنة على يد الشاعر الرومانتيكي لامرتين، ونشرها في الجزء الرابع من كتابه «رحلة إلى الشرق» الصادر سنة ١٨٣٥ (الطبعة الأولى). ولا يغفل لامرتين عن ذكر الأسباب التي جعلته يهتم بمذكرات السائح السوري، ويخبرنا أيضاً كيف تمّ له الحصول عليها فيقول: كنتُ نازلاً في وسط الصحراء التي تمتدّ من طبريا إلى الناصرة، وكنا نتحدث عن القبائل التي التقينا بها خلال ذلك اليوم. فأعزبتُ لدليلي عن رغبتني في التعرف بالبعض منها والعيش معها رديحاً من الزمن، وتتبع خطواتها من دمشق إلى شواطئ الفرات، لكشف اللثام عن (حضارة الصحراء). ولكن لم يبقَ لدينا الوقت الكافي لمثل هذه المغامرة التي لم يجرؤ أحد من المسافرين على القيام بها إلا رجل واحد يدعى (لاسكاريس) ولكنه مات وضاعت معه المعلومات التي جمعها عن سكان البادية خلال عشر سنوات.

ثم تحدث (لامرتين) عن (لاسكاريس) وكيف التقى بالجنرال (بونابارت) في جزيرة مالطة، عند حملته على مصر سنة ١٧٩٨، وكيف تبعه إلى الشرق إلى أن عاد إلى فرنسا مع بقايا الحملة. وبعد أن خرقت إنجلترا معاهدة (أميان) سنة ١٨٠٣ رأى (نابليون) أنه لا يستطيع أن يضرب عدوه في قعر جزيرته بسبب تفوق الأسطول البريطاني فحاول أن يقضي على اقتصادياته، واعتقد أنه يصيبه في الصميم إذا تمكن من أن يقطع عليه طريق الهند. ولأجل الوصول إلى هذه الغاية لا بُدَّ له أولاً من توطيد العلاقات مع أمراء البادية ومشايخها، فأرسل (لاسكاريس) لهذه المهمة. ونجحت مساعي جاسوس (نابليون) ولكن حين أراد أن يعود إلى

(فرنسا) علم بسقوط الأمبراطور الفرنسي، فذهب إلى القاهرة مغموماً يائساً، حيث وافاه أجله، فوضع القنصل البريطاني يده على جميع مخططاته، وخاصة على مذكراته وأوراقه، ولا يعلم أحد ما كان مصيرها. وختم (لامرتين) كلامه معرباً عن أسفه على ضياع هذه الوثائق الهامة. فقال له دليله: لعلها لم تفقد تماماً لأنه على معرفة طيبة بالشاب الذي كان يرافق (لاسكاريس) ولطالما سمعه يتحدث عن هذه الرحلة إلى البادية وعن اليوميات التي كان يكتبها بناء على طلب معلمه (لاسكاريس). وهكذا مكنت الظروف (لامرتين) من شراء مذكرات فتح الله الصائغ، وتمت ترجمتها إلى الفرنسية على يده.

ولم ينل كتاب (لامرتين) «رحلة إلى الشرق» نجاحاً كبيراً لأنه ضعيف المادة، قليل الفائدة، فسرعان ما نسيه الناس ودخلت معه مذكرات الصائغ في خبايا الزوايا.

وكان من المنتظر أن يقبل المستشرقون على رحلة الصائغ لما فيها من أخبار طريفة عن أحوال البادية وقبائلها، ووصف بعض القرى والبلدان السورية. إلا أن رئيس الجمعية الآسيوية شك في صحتها، فسكتت عنها مجلة هذه الجمعية، وكانت يومئذ لسان حال المستشرقين، ولم تتناولها بالنقد، بل إنها لم تذكرها بخير أو شر إلا بعد وفاة الشاعر (لامرتين) ويتضح من رسالة طويلة وجهها المستشرق (فولجنس فرنيل) إلى رئيس الجمعية سنة ١٨٣٨ - ولكن لم تنشرها المجلة الآسيوية، إلا سنة ١٨٧١ - أنه كان من المسلمين بصحة هذه الرحلة، ثم بدّل رأيه بعد أن عرض على أرباب الخبرة من العرب الصفحات التي جاء فيها وصف الدرعية، عاصمة الوهابيين يومئذ، وذكر الإمام الوهابي عبدالله بن سعود. وأصدرت المجلة الآسيوية حكمها الصارم في تقريرها السنوي لعام ١٨٧٢ (ج ٢٠ ص ٣٦)، جاء فيه: إن هذه الرحلة وليدة الخيال كتبها رجل عارف بأحوال البادية.

ولم يتساءل صاحب هذا الكلام كيف تم لبائع من صغار التجار - يكاد يجهل اللغة العربية الفصحى، مثل فتح الله الصائغ، يخشى البادية كما يخشاها كل

حضري من سكان المدن، لا سيما أنه كان نصرانياً - أن يكون مطلعاً أتم الاطلاع على أحوال البدو، حتى أنه تكلم عن عادة دفن الحصى أو دفن الذنوب، يكاد يجهلها حتى المختصون بدراسة البادية ولكن ذكرها قبله شهاب الدين العمري المتوفي سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م في كتابه «التعريف بالمصطلح الشريف»^(١)، فأنى له هذه المعرفة الدقيقة بالقبائل وتقاليدها إن لم يكن عاش معها رَدْحاً من الزمن. أما الأخطاء التي نددت بها المجلة الآسيوية مما حملها على الطعن برحلة الصائغ إلى الدرعية، فإن صاحبنا منها بريء كبراءة الذئب من دم يوسف، لأن المسؤول الأول عنها هو سوء الترجمة بل الترجمات العديدة (من العربية إلى الفرنسية القديمة، ثم إلى الفرنسية ومنها إلى العربية)، كما بيناه في مقال نشرته مجلة «العرب»^(٢).

ونحن لا نريد أن نُثير النقاش من جديد حول هذه الرحلة لأن العدد الكبير من القراء يكاد يجهل كل شيء عنها. بل إنه يكاد يجهل اسم فتح الله الصائغ، إذ لم يطبع كتابه إلى تاريخ هذا اليوم. وإننا سنبدل جهدنا لنشر هذه المذكرات الفريدة بعد تحقيقها، وهي بنظرنا من التراث الثقافي السوري والعربي على الرغم من المبالغات التي وقع فيها المؤلف ومن أخطائه اللغوية العديدة لأن لغته أقرب إلى اللهجة الحلبية القديمة منها إلى الفصحى. أما اليوم فإننا نكتفي بسرد وقائع هذه الرحلة وحوادثها ثم نتناولها بالنقد ليكون القارئ العربي على بينة من أهمية هذا الكتاب الذي عرفه الغرب منذ أكثر من مئة وخمسين سنة.

كان فتح الله الصائغ شاباً لم يتجاوز العقد الثاني من عمره حينما اتصل به رجل في مقتبل العمر، من أصل إيطالي يدعى (تيودور لاسكاريس) وطلب منه أن يعلمه اللغة العربية. وكان ذلك بمدينة حلب، سنة ١٨٠٩، وهي يومئذ مركز تجاري هام، ومحط قوافل الهند والأناضول. ومع أن فتح الله المذكور كان يميل إلى التجارة، ويجهل مهنة التعليم، إلا أنه كان صِفَر اليدين فرضي بالشروط السخية التي عرضها عليه (لاسكاريس) لا سيما بعد أن عرف أن المذكور من كبار الأفرنج وأشرافهم. ولكنه على الرغم من كرم محتده كان يلبس الألبسة الشرقية الشعبية الزرية، ويأكل في الأسواق.

وبعد مضي ستة أشهر عرض (لاسكاريس) على فتح الله أن يقوموا برحلة في أنحاء البلاد السورية، سعياً وراء أرباح التجارة، وأعطاه الأموال لشراء البضائع التي تصلح لسكان البادية. وشرط عليه أن يطيعه طاعة عمياء، ولا يخالفه في شيء. فقبل الصائغ هذه الشروط.

وبعد استعداد طويل للسفر غادر (لاسكاريس) وترجمانه حلب إلى سمرين يوم الخميس الواقع في ١٨ شباط ١٨١٠، على طريق القوافل، ثم قصدا مَعْرَةَ النُّعْمَان، ومنها إلى خان شيخون، ثم إلى حماه حيث سجننا، ثم إلى رستان(?) فحمص. وطابت لهما الإقامة في هذه المدينة فبقيا فيها إلى نهاية الشتاء.

وكان الصائغ على جَهْلٍ بغايات معلمه السياسية، ويتساءل ما هو مصير البضائع التي معها؟ لأن (لاسكاريس) كان يمنعه من عرضها في الأسواق. ثم اتضح له شيئاً فشيئاً أن معلمه يرمي إلى هدف سياسي، لا علاقة له بالتجارة وهو التعرف بالبدو، والاطلاع على أحوالهم. ولذا طلب (لاسكاريس) من رفيقه أن يُسَجِّلَ يومياً، على ورقة جميع ما يقع لهما من حوادث، وهو بدوره يكتب ملاحظاته في دفتر باللغة الفرنسية، مستعيناً بمذكرات الصائغ. ويعلمنا فتح الله أنه ظل يكتب يومياته مدة ست سنوات إلى يوم وفاة (لاسكاريس) في القاهرة.

وتابعا رحلتها فذهبا إلى صدد، قرية جميع سكانها من السُريان النصارى، وعرضا بضاعتها على الناس ليظنوا أن غايتها من هذه الزيارة البيع والشراء، ثم توجهتا إلى القريتين ومنها إلى تدمر بصحبة رفيق بدوي، تعهد بإيصالهما إلى قبيلة الحسنة. فترلا عند شيخها مهنا الفاضل المعروف بالملحم.

ونلاحظ أن الصائغ لا يكتفي بسرد الحوادث بل يصف أيضاً وصفاً موجزاً دقيقاً الأماكن التي زارها والرجال الذين اتصل بهم. ويصف أيضاً رحيل البدو وهودج النساء، ولا شك عندي في أنه شاهد كل ما ذكره عياناً.

وبعد أن أقاما مدة مع عرب الملحم تبين للاسكاريس - أو الشيخ ابراهيم كما تسمى عند البدو - أن الأمير مهنا وبالأولى ابنه ناصرأ يتبع سياسة خرقاء ترمي إلى

فرض سيطرته على القبائل بواسطة العثمانيين، مما تأباه الفردية البدوية ولا يتماشى مع الأهداف التي يتوخاها جاسوس (نابوليون) واتضح له بعد أن درس أحوال البادية أن الشيخ الذي يتمكن بواسطته من تحقيق مآربه هو الدرعي بن شعلان، أمير عرب الرولة. فطلب عندئذ من رفيقه - الذي تسمى عبدالله الخطيب - أن يبذل جهده للوصول إليه، على الرغم من المشقات وبُعد المسافة، لأنه كان ضارباً خيامه في الجزيرة.

وكان لا بُدَّ للشيخ ابراهيم من اطلاع ترجمانه على الغرض الحقيقي من هذه الرحلة، فأعلمه عندئذ أن الغاية منها الكشف عن أحوال البدو، والتعرف بكبار أمرائهم، وكسب صداقتهم، والسعي في جمع كلمتهم، وإبعادهم عن العثمانيين، والعمل على معرفة الصحاري، ومسالكها ومياهها، وأن الهدف السياسي هو توحيد صفوف البدو، ليكونوا عوناً لجيش كبير سيمر بالشرق ويقطع الصحراء قاصداً بلاد الهند، وإن الدرعي بن شعلان هو الشيخ الكبير الذي يمكن الاعتماد عليه لتحقيق هذه المآرب.

وتمكنت الصحبة بين (لاسكاريس) والدرعي بن شعلان، الواحد يدبر الأمور، والآخر يعمل على اتحاد القبائل. أما الصائغ - أو عبدالله الخطيب فكان يكتب الرسائل ويكسب القلوب بطيب لسانه. وتمكن بدهائه من ربط بعض كبار الشيوخ برباط عظيم، على أن يكونوا يداً واحدة مع ابن شعلان في كل الأمور، وعوناً له في خلافه مع العثمانيين والوهابيين. وتم التوقيع على وثيقة الاتحاد في الثاني عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٨١١م.

ويطول بنا الكلام إذا أردنا أن نتحدث عن جميع تحركات الدرعي وسعيه الحثيث للحصول على موافقة أكبر عدد من القبائل على هذا الحلف. فنراه يقطع الفرات، ويجتمع مع شيخ عرب البصرة، ثم ينزل على عين الوساد قرب نهر الشابور، ثم يرحل إلى جبل سنجار، وبعد إقامة قصيرة في تلك الربوع يعود إلى الجزيرة، ومنها إلى غوطة دمشق ويصطدم بغزو وهابي ما بين القريتين وتدمر.

ويتحدث الصائغ أيضاً عن لقاء (لاسكاريس) بسائح بريطاني يدعى أيضاً

الشيخ ابراهيم - وهو الرحالة (بوركهارت) وعن اجتماعه مع (اللادي ستهوب) حفيده رئيس وزراء انجلترا، ويظن أنها موفدة لتعطيل أعمال (لاسكاريس). ويتابع وصفه لتحركات الدريعي فنجده قرب حماه يحارب مع (الروم)، أي العثمانيين، جيشاً وهابياً كبيراً يقوده عبدالله الهدال، كيخيا ابن سعود (أي المشير الأول)، وأبو نقطة. ويستمر القتال أكثر من عشرين يوماً، وينتهي بانتصار الدريعي واندحار القوات الوهابية.

ويصف الصائغ هذه المعارك وصفاً شيقاً، ويتكلم عن عادات البدو عندما يطلبون النجدة من القبائل، وعن النخوة والعطفة والقتال على ظهور الجمال، وغير ذلك من أمور الحياة القبلية التي لا يجدها القاري إلا عند الخبراء بأحوال البادية، وما أقل العارفين منهم!! ولا نعلم متى كانت معركة حماه لأن الصائغ يكتفي بسرد الحوادث دون أن يذكر تاريخها. ولكن يظهر من سياق الحديث أن الغزو الوهابي كان خلال صيف سنة ١٨١٢م.

وبعد أن ربح الدريعي معركة حماه قطع الفرات، واجتاز الجزيرة، ودخل طبراق العجم(?) ثم تابع رحيله مع (لاسكاريس) والصائغ وبعض أمراء البادية إلى بلاد كرمان، ووصل إلى نهر خراسان وأرض الهندوان، وذلك بعد مسير اثنتين وأربعين مرحلة كبيرة، وحل أخيراً على الأمير سعد البخاري، وتم الاتفاق معه. ودخل أيضاً بالحلف الأمير الرديني، شيخ عرب العجم، وهو رجل من الرافضة لا يأكل مع أهل السنة.

وهكذا توصل الدريعي إلى تحقيق مآرب (لاسكاريس) فتم على يده اتحاد معظم القبائل العربية من بر الشام إلى حدود الهند، وتحالفت معه ضد (الأروام) أي الأتراك، واتفقت على مساعدة الجيش الكبير الذي سيمر بالشرق عبر الصحارى، وينوي السيطرة على طريق الهند.

ويذكر الصائغ في نهاية كتابه أسماء القبائل التي دخلت في هذا الحلف وأسماء شيوخها وعدد المقاتلين، فكان المجموع خمساً وأربعين قبيلة تعد نحو ألف ألف نفس.

وعاد الدرعي إلى طبراق بغداد (؟) بعد أن تحالف مع عرب العجم، ثم سار مع رفقاته قاصداً بر الشام، إذ أتته رسالة من عبدالله بن سعود يطلب حضوره إلى الدرعية. فتشاور القوم فيما بينهم، وتم قرارهم على تلبية دعوة الوهابي، وإرسال وفد يضم الدرعي وبعض أقربائه والصائغ وعدداً من العبيد. أما (لاسكريس) فرأى أنه من الأنسب أن يبقى مع سائر أفراد القبيلة.

ويتابع الصائغ وصف رحلته فيتحدث عن وصول الوفد إلى الدرعية ونزوله في ضيافة الإمام الوهابي، الذي كان حاقداً على الدرعي، فاستقبله استقبالا سيئاً، ثم أمر بالحوطة عليه وعلى أعضاء الوفد. وبعد أخذ ورد تم الصلح بين الطرفين، على أن يكون (الدرعي سلطان الشمال) وابن سعود (سلطان القبلة) وعلى أن يكونا روحين في جسد واحد)، كما جاء في مذكرات الصائغ. فتمكن عندئذ صاحب الرحلة من التنزه في الدرعية فوصفها ووصف أسواقها ونساءها، وأتى أيضاً على وصف العاهل الوهابي ومجلسه وأحواله. وقد ذكرت مجلة العرب تفاصيل رحلة الصائغ إلى الدرعية بناءً على الترجمة التي قام بها المستشرق (فرنيل) من الفرنسية إلى العربية^(٣)، وهي مشبعة بالأخطاء كما بيناه على صفحات هذه المجلة.

وقبل أن يغادر الوفد عاصمة الوهابيين وصل العلم إلى ابن سعود أن قوات محمد علي خرجت من ينبع، وتوجهت إلى المدينة لاحتلالها. فلم يأبه العاهل الوهابي بهذا الخبر.

أما (لاسكريس) فقد سرَّ جداً بنتائج رحلة الصائغ إلى الدرعية، إذ أصبح طريق الهند ممهداً أمام جيوش (نابوليون) ورأى أن التوفيق كان حليفه وأن بوسعه العودة إلى فرنسا لاطلاع الأمبراطور على نجاح مهمته. فذهب مع فتح الله الصائغ من حلب إلى اسلامبول (استنبول)، وهناك علم بانكسار القوات الفرنسية في روسيا. ثم تابعت الأخبار المشؤومة وهوى (نابوليون) من على عرشه فسافر (لاسكريس) إلى إزمير لمقابلة الجنرالين (سافاري) و (اللمان)، وبناءً على شورهما طلب الحماية البريطانية ليأمن على حياته من شرَّ العثمانيين، وذهب وحده إلى القاهرة حيث وافاه أجله. فوضع القنصل البريطاني (سالمط) يده على جميع

مخلفات العامل الفرنسي، بما فيها مذكراته وأوراقه.

أما الصائغ فقد علم بوفاة (أبيه الروحي) أثناء إقامته مع والدته باللاذقية. ثم أتته رسالة من (دُروفيتي) قنصل فرنسا في الاسكندرية، يطلب حضوره. فلبى الطلب وحاول عبثاً أن يحصل على أوراق معلمه فلم ينل من القنصل البريطاني إلا الإهانة والطرده.

وهكذا انتهت رحلة الصائغ التي طالت - على زعمه - سبع سنوات. وقد عرضناها عرضاً سريعاً لا يعطي إلا فكرة خاطفة وغير كاملة عن محتوياتها. والواقع أن المخطوطة المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس تقع في مئة وثلاثين ورقة أي مئتين وستين صفحة، وكل صفحة فيها نحو ثلاثة وعشرين سطراً. ولو أردنا أن نذكر جميع ما جاء فيها من حوادث وأخبار لطال بنا الكلام. إنما الغاية من هذا المقال التنبيه إلى أهمية هذا الكتاب والحث على نشره على الرغم مما جاء فيه من مبالغات وتمويه وأخطاء تاريخية كما سنراه، لأنه في الوقت نفسه وثيقة هامة عن أحوال بادية الشام وعن بعض القرى والبلدان السورية في أوائل القرن التاسع عشر.

أما قصة (لاسكاريس) فليست وليدة الخيال، وإن كان الخيال لعب بها حتى أصبحت موضوع شك المؤرخين. والواقع أن فرنسا كانت تطمع بالاستيلاء على مصر من قبل قيام ثورة ١٧٨٩، فزارها عدد من سياحها ووصفوها، ومن أشهرهم (فولنه) الذي تجول في الشرق من سنة ١٧٨٣ إلى سنة ١٧٨٥ وكتب كتاباً قيماً عن وضعه الجغرافي والسياسي والعمراني وقال عن مدينة الاسكندرية: إن تحصناتها الحربية عديمة الوجود^(٤). وعندما أبحرت القوات الفرنسية متوجهة إلى مصر، فقد هذا الكتاب من الأسواق. وبعد أن استولى (بونابارت) على الحكم أرسلت السلطات الفرنسية الجنرال (سَبَسْتِيَاني) سنة ١٨٠٢^(٥)، و (فانسان بوتان)، سنة ١٨١٠، للكشف عن الوضع العسكري في الشرق^(٦). ولعل القرار على مهمة (لاسكاريس) صدر عن نفس الدوائر الفرنسية العالية.

وهنا يقف المؤرخ وقفة الحائر إذ لا يجد أي وثيقة تؤكد صحة ما ادعاه (لاسكاريس) بناءً على ما ذكره الصائغ، من أن (نابوليون) أوفده إلى الشرق ليكسب صداقة أمراء البادية. ولم أجد في المخابرات القنصلية الفرنسية الخاصة بمدينة حلب ذكراً للاسكاريس، مع أنه أقام في هذه البلد أكثر من سنة، وكانت تأتيه الأموال منها، على ما يقول الصائغ. ولكن ليس من عادة الدوائر الجاسوسية أن تعطي تعليقات بالطرق الرسمية، ولا يمكن أن تكون هذه القصة من ابتداء الصائغ، فأنى لشاب سوري لا يحسن غير البيع والشراء أن يكون عارفاً بالسياسة العالمية وعلى علم بأسماء عدد من كبار الشخصيات الفرنسية المقيمة في الشرق. حتى أنه تحدث عن وصول الجنرالين (سافاري) و (اللمان) إلى إزمير بعد سقوط نابوليون؟ ولا شك في أن رحلة الصائغ قد لعب بها الخيال، ولكنها ليست وليدة الخيال ولا يمكن لأي ناقدٍ قرأ هذه المذكرات، واطلع على دقة الوصف فيها لبعض القرى السورية والأماكن الأثرية والحياة البدوية إلا أن يُسلمَ بحكمنا هذا. ولعل (لاسكاريس) أوهمه أنه كان موفداً من قبل (نابوليون) لأنه تكلم عن هذه الرحلة في مقال صدر بعد وفاته^(٧)، ذكر فيه بعض حوادث نوه بها الصائغ أيضاً. ولعل بعض الشخصيات السياسية الفرنسية طلبت من (لاسكاريس) أن يقوم بالتمهيدات الأولية لكسب صداقة أمراء البادية، إذ بقي في مصر عدد من الفرنسيين بعد إخفاق الحملة اعتمدوا الإسلام، وخدموا أصحاب البلاد، منهم (الكولونيل ساف) المشهور بسليمان باشا وهو الذي أعاد تنظيم جيش محمد علي^(٨). والحقيقة أن قصة (لاسكاريس) من الألفاظ التاريخية التي لم تجد حلاً إلى هذا اليوم. وتفيدنا رسالة وجهها قنصل فرنسا بالاسكندرية إلى الوزارة الخارجية بباريس، بتاريخ ٢٣ نيسان ١٨١٧ أن السائح (بوركهارت) - الذي اكتشف خرائب بتر - كتب ترجمة حياة (لاسكاريس) بعد وفاته بالقاهرة^(٩). ومن المؤسف أنني لم أجد أثراً لهذه الترجمة، ولعلها لم تطبع، إلا أنها تدلنا على أن الرحلة السويسري - البريطاني كان على اتصال وثيق بجاسوس (نابوليون) وينظر إليه نظرة النَّدِّ للند. ونعلم من مذكرات الصائغ أن (لاسكاريس) التقى فعلاً بالشيخ إبراهيم، صاحب «الرحلة إلى الجزيرة العربية»، عندما زار (لادي ستنوب).

ومتى سلمنا هذه الأمور الأساسية وهي أن قصة (لاسكاريس) ليست وليدة الخيال وأنه رَحَلَ فعلاً مع ترجمانه فتح الله الصائغ إلى البادية وأتصلاً بعدد من شيوخ القبائل، اتسع علينا مجال النقد لتبين الصحيح من الخطأ في مذكرات الصائغ، لأنه شَوْه الحقيقة وتحدث بأمور هي من نسج خياله، إلا أنه صدق أيضاً في أمور كثيرة فأفاد إفادة جمة.

وأول ما تجب الإشارة إليه هي الأخطاء التاريخية العديدة في هذه الرحلة. فالصائغ يعلمنا أنه غادر حلب مع (لاسكاريس) قاصداً حماه يوم الخميس الواقع في ١٨ شباط سنة ١٨١٠ وأنه ابتدأ بكتابة يومياته بعد نهاية الشتاء. وتابع تسجيل مذكراته مدة ست سنوات إلى تاريخ وفاة (لاسكاريس) ومعناه أنه مات سنة ١٨١٦، والواقع أنه توفي سنة ١٨١٧^(١٠).

ويذكر الصائغ أيضاً أنه بعد رحلته الأولى إلى تدمر وبر الشام ذهب إلى دمشق، وكان ذلك بتاريخ ٢٣ كانون الأول سنة ١٨١٠. ثم اتصل بالدريعي ابن شعلان وتمكن من إحضار معلمه الشيخ إبراهيم إلى مخيم الدريعي في خريف سنة ١٨١١. وأثناء ذلك قامت بعض القوات الوهابية بغزوة على عرب الشام فتبعها الدريعي ورجع المعركة ضد القائد الوهابي الشهير بابي نقطة. إلا أن أبا نقطة حاكم عسير تهامة توفي قبل هذا الغزو بسنتين، قتله الشريف علي حمود قائد عرب اليمن، عندما اندلعت نيران الحرب بين الوهابيين واليمنيين^(١١) ويذكر الصائغ من جديد أبا نقطة ويزعم أنه قاد حملة على بر الشام، وكان معه يومئذ عبدالله الهدال، كيخيا ابن سعود، وذلك خلال صيف سنة ١٨١٣. وكان النصر أيضاً حليف الدريعي. ويتحدث من جديد عن أبي نقطة عند زيارته الدرعية، ويزعم أنه تناول معه طعام العشاء، ولكنه لا يذكر تاريخ هذه الزيارة، إلا أننا إذ تتبعنا سياق الحديث نعلم أن ذهابه إلى عاصمة الوهابيين كان بعد سفره إلى أطراف الهند واتحاد الشيخ الرديني مع الدريعي خلال صيف سنة ١٨١٤. وفي الوقت نفسه يعلمنا أن خبر زحف القوات المصرية على المدينة بلغ ابن سعود عند نهاية هذه الزيارة، ومن المعلوم أن الجيش المصري احتل المدينة المنورة في شهر تشرين الثاني سنة ١٨١٢.

وبعد أن نَجَحَتْ مساعي (لاسكازيس) ذهب إلى (استنبول) قاصداً فرنسا. ويُستدلُّ من سياق القصة أنه سافر خلال شتاء ١٨١٥. ولكن الصائغ يخبرنا أنه علم هناك باندحار القوات الفرنسية في روسيا، ثم تابعت الأخبار المشؤومة وبلغه تراجع (نابوليون) وعودته مكسوراً إلى باريس. ومن المعروف المشهور أن هذه الحوادث جرت في شتاء سنة ١٨١٣.

فيتضح من هذا النقد السريع أنَّ الصائغ خبط بالتاريخ خبطَ عَشْوَاء. وإذا أضفنا إلى ما تقدم مغامراته العديدة المزعومة والأخطار التي مرَّ بها وكاد يذهب ضحيتها وسفره إلى طبراق العجم ووصوله إلى حدود الهند وحديثه عن أثواب الحيات وهو أشبه بقصص ألف ليلة وليلة أصبح من اليقين لدينا أنه تساهل تساهلاً شديداً بالأمور التاريخية وأن الناقد على حق إذا شك في صحة أقواله، ونسب عدداً منها إلى الخيال.

ولكن، (لعل له عذر وأنت تلوم) والواقع أن الصائغ كان يكتب يومياته على (ورقة طيارة)، على حسب تعبيره، وإن هي إلا مذكرة للشيخ إبراهيم تسهل عليه تسجيل الوقائع. وما أظن أنَّ صاحبنا كان يفكر يوماً بوضع كتاب عن رحلته، لأنه كان لا يحسن اللغة العربية. ولكنه احتفظ بمذكراته، وعندما عرض عليه (لامرتين) شراءها قام عندئذ بتحريرها باللهجة الحلبية، متتبعا سير الحوادث، والدليل على ذلك أنه كثيراً ما يضع علامة على بعض صفحات المخطوطة تشير إلى أن الحادث الذي ذكره يجب أن يقدم أو يؤخر. ولا عَجَب إذا أخطأ بالتواريخ لأنه أراد باديء بدء سرِّد قصة أبيه الروحي (لاسكازيس) فكتب ما علق بذاكرته دون اهتمام كبير بالأمانة التاريخية، لا سيما وأنه وضع كتابه بعد مضي نحو خمس عشرة سنة على رحلته، فذكر القائد أبا نقطة لأن حاكم عسير تهامة كان مشهوراً بقوته وجسارته وأخطأ باسماء الاعلام والانساب. وكان على جهل بالتاريخ العربي والإسلامي فظن أنَّ قبر النبي في مكة، وزعم أن الإمام سعود نهب أم القرى عند فتحها. وجمع به الخيال فسرد حوادث من الصعب تصديقها مثل رحلته إلى بلاد كرمان، ووصوله إلى نهر خراسان وأرض الهندوان، بعد مسير اثنين وأربعين

مرحلة كبيرة، ثم نزوله على نهر عظيم اسمه جيستان (يبعد عن حدود الهند نحو عشرين ساعة فقط بالقرب من بلد آخر بلاد العجم يسمونها المتونا). فجميع تفاصيل هذه الرحلة الكبيرة، ذهاباً وإياباً، حصرها الصائغ في ست صفحات، مع أن من عادته الإسهاب، مما يجعلنا نشك في صحة هذه الرواية، والغرض منها إعلام القاريء أن الطريق أصبح ممهداً أمام جيش (نابوليون) من بر الشام إلى حدود الهند.

وهناك نقطتان أساسيتان أثارتا بنوع خاص شكوك المؤرخين، ولا بُدَّ لنا من التحقيق عنهما: الأولى معركة حماء والثانية الرحلة إلى الدرعية.

وصف الصائغ معركة حماء وصفاً رائعاً، وذكر عدد المقاتلين، فزعم أن الجيش الوهابي كان يضم نحو مئة وخمسين ألف مقاتل، أما عرب الشام فإن جميع القبائل التي أنجدت الدريعي لا تزيد على ثمانين ألف مقاتل، يضاف إليهم جنود الجيش العثماني الذي تصدَّى أيضاً للغزو الوهابي.

ولكن هل وقعت هذه المعركة حقاً؟ يعتقد الدكتور منير العجلاني أن الإمام سعود قام فعلاً بغارة على أطراف الشام سنة ١٢٢٥ هـ. ووقعت معركة كبيرة مع عرب هذه الناحية^(١٢). إلا أنه يظن (أن أعداد المقاتلين أعداد مبالغ فيها كثيراً، وأما المعركة، فيترجح عندنا، بغلبة الظن، أنها وقعت: يقول ابن بشر في أخبار سنة ١٢٢٥ إن الإمام سعود سار في شهر ربيع الثاني إلى الشام^(١٣). إلا أن الغارة التي تكلم عنها ابن بشر قام بها سعود، أما معركة حماء فلم تكن بقيادته، ووقعت على ما يذكر الصائغ بعد هذه الغارة بسنتين. وعندما عرض المستشرق (فرنيل) على ذوي الخبرة من العرب وصف رحلة الصائغ إلى الدرعية، علّق الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي على هذه الغزوة بقوله: (هذا كلام غير معقول، ما كسرت جيوش الوهابي عند حماء إذ كان العرب بعضها مع بعض، اللهم ...)^(١٤)، وهذا معناه أن الشيخ الحنبلي يسلم بإمكان وقوع مثل هذا الغزو، إلا أنه لم يكن بقيادة سعود.

ولدينا شاهد على وقوع هذه المعركة الكبيرة في كتيب لمؤلف فرنسي يدعى

أوغست دي نرسيا، طُبِعَ سنة ١٨١٨، يقول فيه: ولما وقعت الحرب بين قبائل
عترة والفدعان غطت خيام الفتيين المتقاتلتين جميع المساحة بين سلمية وتدمر . . .
واننا نؤكد أن عدد المتحاربين في معركة السلمية [قرب حماه] التي وقعت سنة
١٨١٢ زاد على أربعين ألف فارس يحملون الرماح إلا أن العدد الذي ذكرناه أقل
بكثير مما ذهب إليه بعض الأناس المعروفين بصدقهم وبعد نظرهم، وذلك لأننا
نخشى أن تنسب إلينا المغالاة في الأمور). ومن البديهي أن ما يقوله الكاتب
الفرنسي لا يعني أن القتال كان بين الوهابيين وعرب الشام لأن الفدعان فرع من
قبائل عترة. ولكن عنوان الكتاب يدل على أن حديث المؤلف له علاقة بالغزو
الوهابي (نبذة عن البدو وعن الملة الوهابية، ص ١٨).

أما رحلة الصائغ إلى الدرعية فهي التي أثارت بنوع خاص شكوك المستشرقين،
وسار على خطاهم بعض المؤرخين العرب^(١٥) دون الرجوع إلى المصدر الأول أي
مذكرات فتح الله الصائغ. وقد سبق وأثبتنا في مقال نشرته مجلة العرب^(١٦) أن
المسؤول عن الريبة التي تحوط بهذه الرحلة هو سوء الترجمة بل الترجمات. وليس في
الإعادة إفادة إنما نكتفي ببعض الأمثلة ليكون القارئ على بينة من صحة كلامنا.



كلام فتح الله الصائغ:

— (وركبنا وكان عددنا اثني عشر نفرًا لا غير وهم الدريعي وابنه سعدون وابن
أخيه الأمير هجري وابن عمه جبل الدريعي واثنين آخرين من أوجه العرب
وأنا لله عبد وخسة عبيد لا غير كل واحد على هجين).

تعليقنا: هذا كلام الصائغ دون زيادة أو نقصان، ولا نجد في المخطوطة
عبارة تشير إلى هذه السلطة الواسعة التي كان يتمتع بها الدريعي، بناء على
كلام المستشرق فرنيل.

— (وقرب العصر . . . توجه الدريعي ومن معه إلى مواجهة [ابن سعود] من
غير طلب إذن، لأن ما في عادة، فدخلنا إلى المحل الذي جالس فيه. وكان
عنده جمع كبير من خواصه فسلمنا عليه، كل واحد منا وحده، من غير أخذ

يده ولا تقبيل أذنيه، على حسب عوايد العثماني، بل من دخولنا كل واحد
يؤثر بيده ويقول: السلام عليك يا ابن سعود ويجلس. فقط العبيد قائمون
على أرجلهم . . . عمره نحو خمس وأربعين سنة بذقن سوداء . . . وبيده
محجان من شجر المحلب).

تعليقنا: شتان ما بين كلام الصائغ وترجمة فرنيل !

— (والشيء الذي ينقص [سكان الدرعية] يجلبه لهم أهالي ينبع بحر إلى مكة،
كرسي اليمن، محل الذي يخرج مبالغ القهوة منها، لا مكة الذي بها قبر
محمد . . . فأهالي مكة [مخا] يجيبوا اللوازم الناقصة للدرعية . . . لأن كل
يوم اربعاء يوجد بازار بالدرعية).

(نساهم غير محسنات أكثرهن سمر غامقات، والبيضاء كمثل السمراء في
بلادنا . . . يخرجن للطريق مغطاين بمشالح سود إلى فوق رأسهن).

ترجمة فرنيل عن الفرنسية وتعليق الشيخ الحنبلي عليها:

— (ثم وصلنا إلى كرسي المملكة الوهابية . . . والمسافرون، غير الفقير، أحد
عشر وهم الدريعي بن شعلان، شيخ الرولة، وكان يحكم على القبائل
الشمالية والشرقية جميعها من حدود الهند إلى البصرة وحد نجد، ومن العراق
والجزيرة والحماة إلى الشامين وحوران والجليل).

يقول الشيخ الحنبلي: (الدريعي شيخ عرب الشام، ولا يحكم على جميع
عربان الشام، كيف يحكم على ما ذكره هذا الكذاب، وفي القبائل الشمالية
والشرقية والشمالية نحو من سبعين حاكماً مثل الدريعي).

— (ولما جاء المساء نظمنا ملابسنا، ثم حضرنا لمقابلة الملك. فرأينا رجلاً كان
عمره خمساً وأربعين سنة، في عينيه عبوس واتساع . . . وفي يده قضيب
ملك، كأنه علامة ملكه. وكان جالساً في صدر قاعة واسعة مفروشة
بالخضر والبسط الفاخرة، وأكابر مملكته واقفون بين يديه).

تعليق الشيخ الحنبلي: (ليس بقضيب بل مشعاب، وليس علامة الملك بل ينقله العام والخاص. لا يرون الوقوف بين أيديهم وعلى رؤوسهم، بل خادهم ومخدومهم سواء في الجلوس).

— (وفي كل يوم اربعاء يجيء أهل مكة واليمن ويقايضونهم على المتاجر بإبلهم وغنمهم وليس لها متجر سوى هذا السوق).

تعليق الشيخ الحنبلي: (لم يصدق . . . في قوله إن أهل المدينة وأهل مكة واليمن يأتون إلى الدرعية في كل اربعاء للسوق).

(وتخرج النساء في الأزقة بغير براقع، إلا أنهن يغطين رؤوسهن بالمشلح الأسود، وهذا غير ملبح، وأغلبهن قبيح في غاية السمرة).

تعليق الشيخ الحنبلي: (لم يصدق [في كلامه] عن خروج النساء).

بوسعنا أن نعطي أمثلة عديدة على سوء الترجمة، مما حمل الشيخ الحنبلي على القول عند قراءتها: (لا أرى هذا الرجل إلا كذاب مزور أشربط)^(١٧). والواقع أنه صدق في أمور عديدة وجاء كلامه موافقاً لتعليق منتقده، إنما أصدر الشيخ الحنبلي حكمه على أقوال لم يذكرها الصائغ في كتابه. ونراه على صواب أيضاً، خلافاً لما قاله مُكذِّبه، حين ذكر أن العاهل الوهابي حرّم لبس الحرير في بلاده. يقول حافظ وهبة: «وأمر [سعود] . . . بترك لبس الحرير والذهب»^(١٨). وكذلك أخطأ الشيخ الحنبلي في تقديره لما أخذه سعود من الحجرة^(١٩).

ثم يظهر من كلام الصائغ أن المقابلة لم تكن مع سعود بل مع ابنه عبدالله، ولي العهد. فالصائغ يقول لنا: إنه رأى رجلاً كان عمره خمساً وأربعين سنة، أسمر اللون. أما سعود فكان يومئذ في الخامسة والستين من عمره، وكان أبيض البشرة.

ولا شك في أن الصائغ وقع في أخطاء عديدة، فكتب (مكا) بدلاً من (مخا) وزعم أن قبر النبي في مكة، وأن سعوداً نهب هذا البلد، فخلط بين مكة والمدينة. وهنالك أيضاً مجال للشك في صحة الكتاب الذي أرسل به عبدالله بن سعود إلى

الدريعي بن شعلان، ولكن علينا ألا ننسى أن الرسالة موجهة إلى شيخ بدوي يجهل الكتابة والقراءة ولعلها صيغت عمداً بأسلوب يفهمه أهل البادية. ولكني أميل إلى الظن أن الصائغ سجّل في مذكراته وصول كتاب من الوهابي إلى ابن شعلان ولما عرض عليه (لامرتين) شراءها صاغ الكتاب بانشائه العامي البدوي. ولا عجب إذا أخطأ في نسب عبدالله بن سعود فإن خلطه بين مكة والمدينة يكفي لإظهار قلة معرفته بالأمور العربية.

أجل إن الصائغ لم يكن حريصاً على الأمانة التاريخية، لأنه أراد فقط أن يكتب قصة رحلة، فنمّق وزاد، واتخذ أسلوباً روائياً، فشوّه الحقائق أحياناً. وعلى الرغم من هذه الأخطاء، فإن في كتابه من الفوائد الجمّة والأوصاف الدقيقة، والمعلومات الشيقة ما يجعله مرجعاً لكل من يهتم بالبادية وأحوالها، بل بالدعوة الوهابية لأنه تكلم مراراً عنها وعن عادات سعود وأحواله. وإني أميل إلى تصديقه عندما يتحدث عن الدرعية، لأن الشكوك التي أثارها هذه الرحلة متأتية عن سوء الترجمات، كما بيناه.

ولكي يكون نقّداً نزيهاً وشاملاً علينا الآن أن نظهر محاسن هذا الكتاب، وهي عديدة، بعد أن نوهنا بمطاعنه وأخطائه. وأول ما يسترعي النظر هو وصفه الدقيق السريع لكثير من الأمكنة، مما يدل على أنه رآها حقاً. ومن ذلك كلامه عن حمام طبعي قرب قرية صدد، قال: (كان مسيرنا أربع ساعات لطرف الشرق منحرف لجهة الشمال، فوصلنا ووجدنا عمارات قديمة وكثيراً من الخراب. ثم وجدنا مخدعاً بقدر أوضه [غرفة] كبيرة لم تزل قائمة، عمارته على الطريقة القديمة بحجار كبيرة جداً، تهدم منها فقط قسم من الحائط من جهة الباب، فسدّ نصفه. فدخلنا الغرفة، ووجدنا طاقة من جهة الشرق طولها نحو ذراع وعرضها كذلك، بناؤها قديم جداً، ويخرج من تلك الطاقة بخار عظيم بكثرة...) (المخطوطة، ورقة ١٠).

ولنقرأ أيضاً وصفه لقرية صدد: (وثاني يوم قمنا دورنا بالضيعة ووجدناها ضيعة عظيمة، تحوي على مئتين بيت، جميعهم نصارى سُريّان، من غير واحد

مخالطهم. صنعتهم شغل العبي والمسالخ. بها خمس كنائس وخمسة قسوس، كل واحد له كنيسة. ماؤها جاري من عينتين، وعندهم قليل من البساتين لأنهم كلهم مشغولون بصنعتهم. وهم يزرعون قليلاً من الحنطة والشعير، ومحصولهم يكفيهم نصف السنة فقط، والسبب أن كل زرعهم يسقى من العين لأن الأمطار عندهم قليلة، وأكثر السنين لا تسقط الأمطار كلياً. أما الماء فإنها يتقاسمون بها بالساعة، (المخطوطة، ورقة ١٠).

ويقول واصفاً القريتين: (إنها ضيعة [قرية] كبيرة جداً يحقُّ لهم أن يسموها القريتين . . . بها نصارى سريان قُدُم، نحو عشرين عائلة فقط، وبها إسلام مقدار مئتين وخمسين عائلة . . . وهذه الضيعة حصينة، من دأيرها حيطان ملتحمة وبيوت في بعضها، وما لها غير باب واحد فقط، وسبب ذلك خوفهم من العربان أن يسطوا عليهم ليلاً . . . ثم لها ماء كافية لهم جارية ونبعها بعيد عن [القرية] نحو خمس ساعات من محل يقال له شعب اللوز، ولها بساتين وكروم عنب، وزرعهم سقي على الماء يقتسمونها بالساعة الرملية) (المخطوطة، ورقة ١٢).

وبؤسنا أن نعطي أمثلة كثيرة من هذا النوع كوصفه آثار تدمر، ومغارة كبيرة قرب هذه المدينة وكلامه عن ريح السموم، إنما أهم ما جاء في هذا الكتاب — باعتقادنا — هو حديثه عن عادات البادية وتقاليدها وقبائلها، فهو حديث الشاهد الأمين الذي يتكلم عما رآه وسمعه، وعرفه بالخبرة والمشاهدة. ويطول بنا المقال إذا أردنا أن نعطي أمثلة على كل ما ذكرناه، إذ علينا عندئذ أن نستشهد بعدد كبير من الصفحات، لأن الصائغ تعرض لنواح عديدة من حياة البادية، مثل الرحيل في حالة السلم، والنساء في الهودج، وأمامهن الفرسان الخيرون بالضرب والطعن (ورقة ٢١)، والرحيل السريع في حالة الطوارئ، فتجدُ القبيلة بالسير المداوم، من غير نزول ولا راحة، بل النوم على ظهور الجمال والأكل كذلك، والنساء تعجن وتخبز على ظهور الجمال أيضاً (ورقة ٦٣). ويتكلم عن مكانة المرأة في المجتمع البدوي وتكريمهم لها (ورقة ٥٨)، وعن الطب البدوي (ورقة ٥٧) والخوة (ورقة

(٢٣) والنخوة (ورقة ٨٩) والعطفة (ورقة ٩٠)، بل إنه يفرد فصلاً خاصاً لعادات البادية (ورقة ١١٤ وما بعدها). ويحدثنا أيضاً مطولاً عن مراسيم الزواج فيقول: (ركبنا جميعاً وكل لبس أفخر الذي عنده، وراح العريس معنا لتراه العروس، فإن أعجبها أعطت كلامها وإن لم تَرْضَ ما صار شغل، مثل طرائق الافرنج وكانت العروس من خلف الستار تنظر العريس فأعجبها وقالت إلى أمها: قد أعجبني العريس. فصار لنا خبر برضا الفتاة . . .). ثم تم الاتفاق على المهر وصار الوعد إلى ثلاثة أيام. وفي اليوم الثالث الذي هو يوم الوعد، (زَيَّنُوا رؤوس الناقات بالحشيش الأخضر، وزينوا العبد والعبدة واركبوهما على الأفراس وركب نحو خمس مئة خيال، وساقوا الجمال أمامهم، بالغناء الحربي وإطلاق النار. وكذلك نحو مئتين امرأة كلهن مزيّنات، والغنم تُسَاق أمامهن، والعبدة راكبة معهن. أما سائر النساء فكنّ ماشيات بالغناء والتهايل والزراغيط. وأمام الجميع خيالٌ ناشر زنار أبيض على رمح، كأنه علم، وينادي: هذه راية بركز بن هديب(*)). ومشت امرأة أمام الغنم، ويدها آنية من الفخار تصنع فيها بخور البان كل الطريق وكان أمام الجميع حامل الراية البيضاء، وبعده النوق، وبعده النوق البواردية المشاة، وبعدهم الخيالة، وبعده الخيالة المرأة التي بيدها البخور، وبعدها الغنم، وبعده الغنم العبدة راكبة، وبعده العبدات النساء، وبعدهن الأولاد، ومعهم حمل يحمل الحوائج من غير حزم موضوعة على ظهره، من رأسه إلى ذنبه، الحاجة فوق الحاجة، حتى الجزمات كانت مربوطة بالخيطان ومدلاة على جوانب الحمل، وعلى ظهره فوق الحوائج ولد من أكابر القبيلة ينادي: أخذ الله نيران الخصوم، كسر الله قوات عدونا، ونصرنا الله على من يعاديننا، والأولاد ترد عليه آمين). (ورقة ٨٠ - ٨١) ويتابع الصائغ وصفه فيعلمنا أن من عادة البدو في مثل هذه المناسبة أن يقع شبه حرب بين أهل العريس وأهل العروس: (فاستقام الحرب نحو ساعتين من الزمن، ووقعت الجرحى من الطرفين، وأخيراً انتصر خيالة أهل العريس وهجموا على بيت بركز(*) وأخذوا الفتاة وسلموها إلى النسوان. ثم حضر الجميع وشربوا القهوة فإذا أقبل علينا نحو امرأة يقال لها حبابات العروس ليذهبن معها، ومعهن ثلاثة جمال: الواحد عليه هودج العروس

المزين بالجوخ الأحمر، والمرصع بالودع الأبيض، وأنواع الخرز، وريش النعام
والمرايا الصغيرة، وعلى الثاني البيت والعواميد، وعلى الثالث أواعي البيت . . .
(ورقة ٨١).

والحقيقة أن الصفحات التي جاء فيها وصف حفلة زواج ابن الأمير بركز(*) من
أحسن ما كتبه الصائغ في رحلته. ويمثلها بالدقة كلامه عن العادات المتبعة عند
البدو، حين طلب النجدة في وقت الحرب، قال: ابتداء الدريعي بتدبير أموره
لصد الغارة الوهابية، فأحضر (ناقة بيضاء وسودها بشحوار الدست، وربط في
رقبته شقة بيت شعر سوداء، وأركب عليها فتاة لابسة السواد، ومسودة أيضاً
وجهها، ومعها عشرة رجال تدور على القبائل وتدعوهم إلى معونة الدريعي.
وكانت كلما وصلت إلى قبيلة تقول: الفزاع الفزاع يا أهل الخيل، يا أصحاب
المرؤ والنخوة، يا من يبيض عرض هذه الناقة ويغسل سوادها، هذه شقة بيت
الدريعي المزعج يخرب، يا أهل الحشيمة والغيرة، انهجوا انهجوا، ترى ربكم
ذبحهم الوهابي وعدمتوهم، يا سامعين الصوت صلوا على النبي، أولكم محمد
وأخركم علي) (ورقة ٨٨).

ويصف أيضاً الحرب على الجمال فيقول: (وكان الوهابيون نحو عشرة آلاف
منهم خيالة ومنهم مراديف أي كل اثنين على جمل، ومنهم مضاعف أي أربعة
رجال على جمل بأربع بواريد قتيل ظهورهم إلى بعضهم فوق الجمل، الواحد من
الأمم، والواحد من خلف، والآخر على جانب، والرابع على الجانب الثاني.
وهم عاملون لهم مقاعد من عشب مثل الكراسي مربوطة بحبال. وعندهم أكلهم
مشترك بينهم وهو جراب طحين وجراب تمر، وعكّة سمن . . . يأكل كل واحد
منهم كمشة [قبضة] طحين يعجنها بالسمن ويعمل منها ثلاث قطع مثل الحوزة
ويأكلها ويأكل معها بعض التمرات، ويشرب شيئاً من الماء أو الحليب، حيث
معهم جود^(٢٠) لأجل الماء مربوطة تحت بطن الذلول، النتيجة كمثّل القلعة لا
يحتاجون إلى شيء أبداً) (ورقة ٨٣).

ويتحدث الصائغ عن الحرب مع الوهابيين، وعن سلاح البدو يومئذ، فنعلم

أن السيف والرمح كانا من الأسلحة التي يكثر استعمالها في البادية، وأن منهم من كان يلبس الخوذة وقميص الزرد، أما الأسلحة النارية فإن الدارج عندهم البارودة ذات الفتيل، (لأن عادة العربان لا تحوي (تفنك) بقداحة لأجل أولاً قليل من يأخذ لهم من هذا الصنف للبيع، ثانياً بسبب غلاء أسعارهم، ثالثاً إذا انعكسوا ليس عندهم من يقوم بتصليحهم، رابعاً بسبب الخطر لأنهم دائماً يرحلوا وينزلوا وتبقى (التفنك) مرمية بين حوائجهم، وبأيدي النسوان والأولاد . . .) (ورقة ٣٨).

ومن أغرب ما جاء في مذكرات الصائغ عن أعراف البادية عادة (دفن الحصا)، ويكون ذلك بعد الصلح التام وصفاء القلوب بين خصمين عنيدين وعدوين لدودين طال الخلاف بينهما، وجرى عليهما بسبب ذلك الأمور العظام. وعندئذ ينسى كل واحد منهما ما مضى، ولا يطالب بثار أو مال. ويعلمنا الصائغ كيف تتم عملية دفن الحصا إذ شاهد ذلك عياناً بعد أن رضي الدريعي بالصلح مع مهنا الفاضل، شيخ قبيلة الحسنة، قال: (فأمر الدريعي بالقهوة فقال مهنا: يا ابن شعلان، ما نشرب قهوتك إلا حتى نتصالح ونتصافح ونطمر الحصوات. وحالاً قام مهنا والدريعي وأشهرًا سيفيهما، وقبّل كل واحد منهما سيف الآخر، ثم إنهما تصافحا، وصار كل من يقبل الآخر من الحاضرين، وابتدأت النساء تهاهي وتزلفن. ثم أخذ مهنا سبع حصوات من الأرض وحفر مقدار نصف ذراع في الأرض، وأمسك الحصوات بيده وقال: يا دريعي هذا حقك وحق طمرناه إلى الأبد، ودفن الحصوات في الحفرة ورد التراب عليها، وداسها برجله وتفل هو والدريعي عليها، بعد الطمر. ثم جلسا وأمر [الدريعي] بالقهوة، ولم يُسمع بعد ذلك كلمة واحدة فيما يخص ذلك. فتعجبنا أنا والشيخ إبراهيم (لاسكاريس) من ذلك، من حيث ما كنا بعد شفنا هذه النكتة ولا سمعنا بها. فسألنا عنها فأخبرونا أن ذلك من عوايدهم. ومعنى السبع حصوات هي الفتن السبع التي صارت ضد الإمام علي بالكوفة بعد محمد. وعلامة الطمر أنه شيء مات ولا عاد يذكر، والتفل فوقه معناه على الشيطان خزاه الله لأنه هو محرك الشر بالعالم) (ورقة ٧٩). ويتكلم الصائغ مرة أخرى عن طمر الحصوات، بمناسبة صلح آخر: ففرح الناس عندئذ

(وأيقنوا بالصلح الأكيد حيث عندهم متى انطمرت الحصوات كان صلح حقيقي من غير انتفاض قطعاً) (ورقة ٩٥).

ويظهر أن هذه العادة طاعنة بالقدم، إذ تكلم عنها، كما ذكرناه أعلاه، شهاب الدين العمري في كتابه: «التعريف بالمصطلح الشريف»^(٢١)، ووصفها أيضاً ابن ناظر الجيش في «تثقيف التعريف»^(٢٢) والقلقشندي في «صبح الأعشى»^(٢٣) ولا نعلم أن أحداً من المختصين بالبادية وأحوالها أتى على ذكرها. واعتقادنا أنها زالت اليوم أو أنها آخذة بالزوال. إلا أن ذكرها بقي محفوظاً عند بدو الأردن، فهم يقولون: (حفار ودفان عليهما إدامة، إلى يوم القيامة).

ولا يسعنا هنا أن نعدد جميع محاسن كتاب فتح الله الصايغ، لأنه على الرغم من أخطائه التاريخية وغلوه مؤلفه وثيقة حية عن بلاد الشام وباديته. وعلاوة على ذلك ذكر الصائغ عدداً من الحوادث قد نطعن بصحتها لولا ورودها أيضاً في مصادر موثوق بها. ومن ذلك حرب الدريعي مع سليمان باشا والي بغداد، على إثر غدر العثماني به، وإيداعه السجن، ولم يطلق سراحه إلا بعد أن فدى نفسه بالأموال الطائلة. فتأهب عندئذ للحرب، وهاجمت القوات البدوية الجيش العثماني، وأرغمته على التراجع والهرب، ووضعت السيف في رقاب العراقيين، ونهبت بغداد، وغنمت أضعاف ما خسرت (مذكرات الصائغ، ورقة ٤٥). وقد ذكر أيضاً هذا الحادث الخطير عبدالله فيليبي في كتابه: تاريخ نجد^(٢٤).

وهذا التنويه بكتاب الصائغ لا يعني أنه مُنَزَّه عن الأخطاء، أو أن صاحبه صدق في كل شيء. وقد تكون قصة (لاسكاريس) وسعيه في توحيد القبائل البدوية لقطع طريق الهند على (انجلترا) من مبتدعات هذا الرجل الغريب الشأن. ولكن مغامرات (الكولونيل لورنس) تعلمنا أن مثل هذه الأمور لا يستحيل وقوعها إذا ساعدت على تحقيقها الدوائر الجاسوسية. ولكنها ليست وليدة خيال الصائغ، وإن كان صاحبنا زاد فيها ونمق، إذ نراه يتحدث عن البدو وأحوالهم بدقة ومعرفة، وسعة اطلاع، لا تتأتى إلا لرجل عاش في البادية وعرفها واختبر أحوالها.

باريس، المركز القومي للبحث العلمي د. يوسف شلح

- (١) انظر الهامش رقم ٢١.
- (٢) العرب ج ٩، ١٠، ١٩، ١٤٠٥، ص ٦٩٧ وما بعدها.
- (٣) العرب ج ٣، ٤، ١٩، ١٤٠٤، ص ١٥٢ وما بعدها.
- (٤) فوله: رحلة إلى مصر وسوريا، ص ٢٨ (بالفرنسية)، تحقق جان غوليه، باريس، ١٩٥٩.
- (٥) الاب لامنس، تاريخ سوريا، ج ٢، ص ١٢٨ (بالفرنسية)، بيروت، ١٩٢١.
- (٦) ج.م. كُري، الرحالون والكتبة الفرنسيون في مصر، (بالفرنسية)، ج ٤، باريس، ١٩٦١. وقد اغتال العلويون بوتان سنة ١٨١٥.
- (٧) ميشو، كتاب التراجم العام (بالفرنسية)، مادة لاسكاريس، ص ٢٩٧.
- (٨) فيليب حتي، ادوار جرجي، جبرائيل جبور، تاريخ العرب (مطول)، ج ٢، ص ٨٥٢، دار الكشاف، بيروت، ١٩٦١.
- (٩) المخابرات القنصلية رقم ١٩، سنة ١٨١٧، ورقة ٢٠٠، باريس، الوزارة الخارجية (بالفرنسية).
- (١٠) كما جاء في المخابرات القنصلية المذكورة في هامش ٩. والغريب أن الصائغ يذكر اسم القنصل البريطاني الذي وضع يده على أوراق (لاسكاريس) أي (مستر سالط) إلا أن المذكور لم يتسلم مهام وظيفته إلا سنة ١٨١٧.
- (١١) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص ١٦٨، القاهرة ١٩٦٩، عبدالله فيلبي، تاريخ نجد، ص ١٢٤، المكتبة الأهلية، بيروت (دون تاريخ).
- (١٢) منير العجلاني، تاريخ بلاد العربية السعودية، ج ٣، ص ٦٥، دار الكاتب العربي، بغداد (دون تاريخ).
- (١٣) منير العجلاني، المصدر نفسه، ص ٢٣، فيلبي، تاريخ نجد، ص ١٢٧، وأخطأ ميخائيل مشاقه في تاريخ هذه الغارة فزعم أنها كانت سنة ١٨١٧ وأن الجند الحجازي الذي أم الشام أرسله محمد بن عبد الوهاب (انظر: بلاد الشام في القرن التاسع عشر، دراسة وتحقيق سهيل زكار، ص ١٠٠، دار حسان، دمشق، ١٩٨٢-١٤٠٢).
- (١٤) العرب، ج ٣، ٤، ١٩، ١٤٠٤، ص ١٦٢.
- (١٥) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المصدر نفسه، ص ٢٧٤.
- (١٦) انظر هامش رقم ٢.
- (١٧) العرب، ج ٣ و ٤، ١٩، سنة ١٤٠٤، ص ١٥٤.
- (١٨) حافظ وهبة، الجزيرة العربية في القرن العشرين، ص ٢١٦، القاهرة، ١٣٦٥-١٩٤٦.
- (١٩) منير العجلاني، المصدر نفسه، ص ٥٣.
- (٢٠) لعل صواب الاسم (برجس).
- (٢١) الجود: أوعية من جلد لحفظ الماء.
- (٢٢) شهاب الدين العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٦٥ وما بعدها، القاهرة، ١٣١٢.
- (٢٣) ابن ناظر الجيش: «تثقيف التعريف» مخطوطة الاسكوريال، ورقة ٩٧ و ٩٨، انظر أيضاً مقالنا بالفرنسية: «دفن الذنوب عند العرب»، مجلة تاريخ الديانات، نيسان-حزيران ١٩٥٩، ص ٢١٥ وما بعدها.

المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية

إذا استحق العلامة الشيخ حمد الجاسر جائزة الدولة التقديرية في الأدب فذلك عن كفاءة وجدارة، فهو الرجل الذي وهب حياته للحرف، فأعطى الكثير الكثير، ووفى لشعبه وبلاده فاستحق أن يكافأ بالحُب والتقدير، ولعل أهم كتبه الموسوعية كتابه القيم «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» الذي حذا فيه حذو مؤلفي معاجم البلدان القدماء في تتبع أسماء البلدان والأماكن والبقاع، وترتيبها وفق الحروف الأبجدية، فكان للمنطقة الشرقية حصة الأسد، إذ خُصص لها أربعة أجزاء، صدر منها ثلاثة، ولعل ذلك عائد إلى أهميتها قديماً وحديثاً، فقد بدأ منذ العصر الجاهلي قطنتها قبائل عربية كثيرة، نزحت إليها من جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية، وتركت بصماتها على كل بقعة فيها، حيث وعى الشعر العربي أسماء كثيرة للأمكنة والبقاع المنتثرة فيها، فمن الدهناء إلى الصَّمان إلى صحراء البياض إلى وادي المياه، إلى غيرها من الصحاري والواحات الغنية بالمياه والجنى والثمار والعشب والكلأ، كل هذه المناطق تزخر بمراجع بقيت أسماؤها حية في ذاكرة الشعر العربي، حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من تاريخنا الأدبي والحضاري، وحتى استأثرت بعناية الجغرافيين منذ القدم، أما أهميتها في العصر الحديث فتعود إلى كونها تحوي أضخم احتياطي (بترولي) على سطح الكرة الأرضية كما قرر الخبراء، وقد استرعت اهتمام الكتاب والباحثين مؤخراً لاسيما الغربيين - لموقعها (الاستراتيجي) وتدفق (البترول) بغزارة في أراضيها.

(٢٣) القلقشندي: «صبح الأعشى في صناعة الإنشاء» ج ١٣، ص ٣٥٢ وما بعدها، دار الكتب السلطانية، القاهرة، ١٩١٨.

(٢٤) عبدالله فيليبي، «تاريخ نجد» ص ١٢٣.

وكان لمجهوده القيم، وإطلاعه الواسع على المؤلفات القديمة المخطوطة والمطبوعة، ودواوين الشعر العربي دور بارز في تجسيد الصورة الواقعية عن أهمية هذا الإقليم منذ القدم، بالإضافة إلى قيامه برحلات ميدانية للوقوف عن كثب على تلك المواضع والأماكن التي ذكرها الشعراء والمؤلفون القدماء، مما مكنه للقيام بدراسة مقارنة في تحديد الأمكنة وتصحيح الأسماء التي حدث فيها تغيير أو تصحيف وتحريف.

وبين يديّ فصل كتبه الأستاذ الجاسر عن القطيف ونشره في جريدة «اليوم» في عددها (٤١٧٧) الصادر بتاريخ ١٢/٨/١٤٠٤ هـ وهو من ضمن مادة حرف القاف [من المعجم] الذي توقفت أجزاءه الثلاثة عند ذلك الحرف، وكُنْتُ كُتِبْتُ منذ صدور ذلك العدد بعض الملاحظات تعليقاً على ذلك المقال، إلا أن ما كتبه فَقَدْ مَنِي فلم أُعْثَرُ عليه، وصرفتني شواغلُ عنه، وقبل فترة وجيزة عثرتُ عليه بين تلافيف أوراقِي وكتبي، وقد تحدثت مع أستاذنا الجاسر أثناء لقاءاتي به بفندق (انتر كنتنال) في أبها عن تلك الملاحظات فطلب مني أن أوافيه بها، وإني إذ أُبْدي إعجابي بروحه العلمية، ومنهجه في البحث للوصول إلى الحقيقة، حين طلب من المعنيين بهذا الموضوع أن يُبْدُوا آراءهم متطعاً إلى الاستفادة مما لديهم من معلومات، وبتصحيح ما هو في حاجة إلى التصحيح استمبحه العفو في إبداء هذه الملاحظات:

١ - إن الأستاذ الجاسر حين أورد المعلومات عن مدينة القطيف كان عليه أن لا يقتصر على النقل في معلوماته الجغرافية بل يضيف إليها ما طرأ عليها من تطور لا سيما في العهد الحاضر، فكتاب «دليل الخليج» كتب من قبل نحو من سبعين عاماً، ورغم أنه كان يصور واقع البلاد في ذلك الحين بدليل أن المؤلف ج . م . لوريمر في معلوماته الجغرافية الدقيقة كانت مسجلة من واقع المشاهدة، فالأبعاد بين كل مدينة وضاحية وقرية لا يمكن أن تكون مجرد نقل، وكذلك وصف المظاهر العمرانية، وإحصاء المباني والأكواخ، وتقدير عدد السكان، أما الآن فقد اختلفت الصورة عما قبل وتباينت، حتى كادت أن تَنَمَّجِي تلك المعالم القديمة،

وكان ينبغي للأستاذ الجاسر بصفته جغرافياً متخصصاً أن يفعل كما فعل لوريمر في نقل الصورة الحاضرة التي عاصرها وشاهدها عن كتب.

٢ - إن هناك تحريفاً في بعض الأسماء في كتاب «دليل الخليج» نتيجة لنقل الكلمات من الحروف اللاتينية إلى الحروف العربية، ونتيجة لجهل المترجم بأسماء الأماكن وغيرها وقع في تحريف فظيع أبعده عن الاسم الحقيقي، فعلى سبيل المثال قرية (القُدَيْح) التي ترجمها إلى (قوديه)، والتي وردت في موضعين أحدهما في تحديد موضع عين الجوهريّة في قوله: (الجوهريّة تقع على بعد ميل ونصف غرب شمال قرية قوديه) والثاني في تحديد عين أم المجالي (أم المجالس) حيث ذكر (أنها تقع بين قريتي العوامية والقوديه). والواقع أن اسم القوديه لا وجود له، وقد أدركنا أن الخطأ نشأ من جهل المترجم، فهذا الاسم هو تحريف عن اسم قرية (القُدَيْح) المعروفة، وقد نشأ الخطأ من نطقه بالحروف اللاتينية، حيث أن حرف الحاء لا وجود له فيها، فينطق (هَاءاً) فكتبت كلمة قديح هكذا (QODAIH) إلا أن المترجم - سامحه الله - نطقها (قديه) ونقلها إلى العربية هكذا دون معرفة سابقة بنطقها الصحيح، وجاء شيخنا الجاسر فنقلها على علاتها دون أن يبحث عن الحقيقة وكما يقال في (قديه) يقال في (سدين) تحريف عن صَدَيْن، وهي العين المشهورة بعذوبتها والتي تقع بقرية الجارودية، والتي هي أعذب عين في واحة القطيف، ولا يبعد أن اسمها كان في الأصل (صَدَاءُ أَوْ صَدَاءَاءُ) وهي العين التي يضرب بها المثل في عذوبة الماء: (ماء، ولا كصداء)^(١) وقد أخطأ المترجم حين أبدل الصاد سيناً، فحرف الصاد لا يوجد له مقابل في الحروف اللاتينية. وهناك بعض الأسماء المحرفة كعين القشورية، ووردت (القشيرية) ومدارس وجراري والصحيح نطقها بالألف واللام والشويكية وصحتها (الشوكية) وعين أم المجالي والصحيح (أم المجالس)، وأعتقد أن كثيراً من الأسماء وردت محرفة نتيجة لجهل المترجم، وكان عليه أن يتأكد من صحتها وضبط ألفاظها وذلك لا يتأتى إلا بالقيام بجولة ميدانية في تلك المناطق التي كتب عنها لوريمر.

وهناك بعض الملاحظات سجلتها أثناء قراءتي للمعجم في أجزائه الثلاثة التي

صدرت، أثبتتها هنا لصلتها بالموضوع:

٣ - ذكر في مقدمة المعجم أن هذه المنطقة تُعرف قديماً باسم البحرين ثم أطلق عليها اسم الأحساء حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري ثم المنطقة الشرقية. والواقع إن هذه المعلومات غير وافية ودقيقة فالمعروف الذي أثبتته الدراسات والآثار أن أقدم اسم عرف لهذه المنطقة هو (ديلمون) كما في النصوص السومرية والأكدية والاشورية، وهي تعني جزيرة أوال، والسواحل المقابلة لها حتى القرن السادس قبل الميلاد، ثم عرفت باسم قطيف أو خط أو هجر في العصر الهيليني والسلوقي ثم باسم البحرين قبيل الإسلام وبعده ويشمل كلاً من القطيف وهجر (الأحساء) وأوال، ثم استأثرت جزيرة أوال بهذا الاسم حين استولى عليها الفرس عام ١٠٣١هـ ولم يطلق على الأحساء والقطيف اسم (الأحساء) إلا في العهد التركي حين اعتبرت القطيف قضاءً تابعاً لسنجق الأحساء ثم أطلق عليها اسم مقاطعة الظهران بعد اكتشاف (البترو) ثم المنطقة الشرقية عام ١٣٧٠هـ حين جعلت الدمام عاصمة لهذه المنطقة.

٤ - يقول الأستاذ الجاسر في مقدمة المعجم ج ١ ص ٦٢ ما نصه: ولما لم يُؤلف فيما أعلم من الكتب ما يعالج هذا الجانب (ويقصد الجانب التاريخي) باستثناء كتاب «تحفة المستفيد في تاريخ الأحساء في القديم والجديد». فقد رأيت إيراد لمحة مختصرة عن تاريخ هذه البلاد. وقوله في نفس المقال المنشور بجريدة «اليوم»: (ولكن المؤلف لم يُغنَ بالناحية التاريخية كثيراً وله العذر في ذلك، فالطريق ليس مُمهّداً)، بينما ذكر في مقدمته لكتاب «ساحل الذهب الأسود» ما نصه: إن مؤلفه جمع معلومات قيمة ليس من السير جمعها، ولم يقف ذلك الجهد عند الجمع بل تجاوزه إلى الترتيب والتنسيق ومحاولة إيجاد صورة متكاملة الأجزاء لتاريخ هذه البلاد، فبرز مؤلفاً يضم من المعلومات التاريخية المنسقة ما لا يضمه غيره مما ألف في موضوعه على قلة ما ألف) فكيف نوفق بين ما قاله أمس وما قاله اليوم؟

٥ - قال في المقدمة التاريخية ج ١ ص ٦٣ (والعبيد هو فترة من عصور ما قبل

التاريخ) والواقع أن العبيد مكان لازمان، ويقع في الجهة الجنوبية من العراق، وهو الموضع الذي اكتشفت فيه تلك الآثار الموهلة في القدم لأول مرة، ولعدم معرفة علماء الآثار هوية أولئك القوم الذين خلفوا تلك الحضارة نسبت تلك الآثار إلى ذلك الموقع ونسبوا إليه أيضاً ما وجدوه من نظائر مماثلة اكتشفوها في مواقع أخرى^(٢).

٦ - إن الأستاذ الجاسر بعد أن ذكر بعض الآثار الموجودة في المنطقة أورد نبذة من تاريخها منذ بداية العهد الإسلامي، دون أن يذكر لمحة عن تاريخها ما قبل الإسلام، فلم يذكر شيئاً من تاريخها في عهد الإغريق والجرهانيين والفرس، ثم سيطرة القبائل العربية عليها أيام ملوك الطوائف، ثم بعد قيام الدولة الساسانية وسيطرتها عليها أول الأمر إلى أن تحررت بانضوائها تحت لواء الإسلام، كما أن هناك فجوة كبيرة حين انتقل من حكم القرامطة رأساً إلى حكم العيونيين وبين انقراض دولة القرامطة وبين قيام الدولة العيونية نحو من ٨٨ سنة قامت فيها حكومات، فقد أطاح بدولة القرامطة آل بويه سنة ٣٧٨هـ فاستولى الأصغر بن أبي الحسن الثعلبي على الأحساء سنة ٣٩٨هـ واستمرت دولته متوارثة في أعقابه حتى تغلب عليهم بنو عُقَيْل، وفي منتصف القرن الخامس ضعفت دولة بني عُقَيْل فتغلب عليها أمراء محليون، فسيطر ابن العياش على القطيف كما استقل أبو البهلول بجزيرة البحرين (أوال)، وتحتفظ ~~عبدالله~~ للسيطرة على الأحساء عام ٤٦٦هـ فتمت له السيطرة على منطقة البحرين بأسرها وأسس دولة العيونيين.

٧ - جاء في تحديده لقرية الأجام بأنها تقع في طرف الواحة في شهاها الغربي ص ٩٧ وفي مكان آخر ص ١٨٦ يقول بأنها غير بعيدة عن الساحل. والصحيح أنها تقع إلى الغرب موازية لمدينة القطيف، وهي واحة صغيرة منفصلة عن الواحة الأم، بحوالي كيلين، وهي بعيدة عن الساحل بحوالي عشرة أكيال.

٨ - ذهب الأستاذ الجاسر ص ١٦٣ ج ١ إلى أن المسعودي حدد موضع أفان^{٤٥٤} تحديداً واضحاً، وهي على تحديده الأرض الواقعة بين مدينة القطيف والدمام

المتاخمة لساحل البحر، وتقع عنك إلى جانبها الشمالي الشرقي، وعمران مدينة الدمام اتصل بجانبها الجنوبي، وكان فيها نخل وعمران قديم... الخ) وهذا غريب من استاذنا الجاسر وكان الأوفق أن يقول: أن المسعودي ذكر موضعاً سماه أفان، ربما ينطبق وصفه حسب رأينا على موضع كذا وكذا، وعند الرجوع إلى كتاب المسعودي «التنبيه والاشراف»^(٣) نجده يصف موقع أفان بأنه سبخة طولها سبعة أميال، على بعد يومين من ساحل البحر، وفيها ماء ونخيل، وأن الخليفة العباسي المعتضد أرسل العباس الغنوي لمحاربة القرامطة، فأراد العباس بعد ارتحاله من الأعياء (الاعباء) أن ينزل بأفان، ولكن أبا سعيد الجنابي سيقه إليها فغور ما وراءه من المياه، واستطاع أن يلحق بهم هزيمة فادحة، حيث أسر العباس وأكثر من كانوا معه، ومن سياق القصة يفهم أن جيش الغنوي نزل أولاً بالأعياء (المعروفة الآن بالعباء)^(٤) وهي تقع إلى الشمال تليها سبخة الرياس في الاتجاه إلى القطيف، وهي سبخة كبيرة، ينطبق عليها وصف المسعودي وتقع فيها واحة (أبو معن (والدريدي)^(٥))، وهناك حدثت المعركة. فأين منها سبخة الدمام التي تبعد عنها كثيراً، والتي تقع على ساحل البحر مباشرة ولا يتجاوز عرضها نصف ميل، ثم إن الزراعة فيها كانت حديثة العهد خدانة وجود الآبار (الارتوازية) في المنطقة، وكانت صحراء ساحلية لا يوجد فيها عمران ولا زراعات حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي كما ذكر لوريمر، وكلما يوجد فيها بقايا قلعة كبيرة وأخرى صغيرة^(٦) أقيمتا لأغراض دفاعية. على أنه بعد أن كرر هذا الرأي في مواضع أخرى من كتابه في الحديث عن سيئات عاد أخيراً في الجزء الثالث ص ١١٢٥ في كلامه عن العباء فذكر أن السبخة (أفان) المذكورة في كلام المسعودي هي المعروفة الآن بسبخة الرياس.

٩ - ذكر في حديثه عن قرية أم الحمام أن هذا الاسم غير لقبحه بطريقة التصحيف فصار أم الحمام بالحاء المهملة. والواقع أن هذه القرية كان يطلق عليها سابقاً أم الحمام وكنيت به لكثرة الحمام فيها، حيث كانت تزرع أراضيها بمختلف الحبوب، ويدرس الحصاد بالأراضي الجبلية في القرية، إلا أن مخلفات التبن كانت

تنتشر في طرقاتها بفعل الرياح مكوّنةً أكواماً من الكناساة (الخمام)، فمر عليها عابر سبيل واشمأز من تلك الأوساخ وقال: إنها لا تستحق هذا الاسم، بل يصدق عليها (أم الخمام) فصحف الاسم فعلق الاسم بها منذ ذلك الحين إلا أن أحد علمائها وهو المرحوم الشيخ منصور المرهون قام بإحياء اسمها القديم، وصارت معروفةً به حديثاً.

١٠ - ذكر في حرف الباء (باب الشمال) ونقل ما جاء في كتاب «دليل الخليج»، إلا أنه عقب بقوله: (لست على ثقة من صحة هذا الاسم. فقد تكون الترجمة خاطئة) ولو بحث عن حقيقة هذا الاسم أثناء تردده على مدينة القطيف لعرف أنه حيٌّ من أحيائها، وما زال معروفاً بهذا الاسم حتى الآن طبقاً لما ذكره مؤلف «دليل الخليج».

١١ - ذكر في تحديد قرية البحاري بأنها تقع جنوب قرية القُدَيْح، والواقع أنها تقع في الشرق الجنوبي منها.

١٢ - ذكر موقع البَدْرَانِي بأنه أرض تقع غرب القطيف. وتحديد على وجه الدقة أنه يقع إلى الجنوب الغربي من مدينة القطيف، إلى الغرب من سَيْحَةِ الجارودية، حيث يمر طريق قديم عبر قرية الخويلدية ثم قرية الجارودية وهناك يتجه غرباً إلى الصحراء وهو طريق القوافل المتجهة إلى الأحساء ونجد سابقاً.

١٣ - ذكر في تحديد قرية التُّوبِي بأنها تقع بين مدينة القطيف وبين قرية الجارودية.

وهذا خطأ، والصحيح أن قرية التُّوبِي تقع إلى الغرب من مدينة القطيف، ويحدها من الشمال سيحة البحاري، ومن الجنوب سيحة الخويلدية، وتمتد سيحتها إلى البر من الناحية الغربية.

١٤ - الحُلَيْلَة. ذكر أنها قرية بالأحساء شمال شرقي الهفوف، ولم يذكر بأن هناك قرية صغيرة تقع بين القُدَيْح والحَبَاكَة، بجوار عين الحُلَيْلَة، وتتنسب إليها بعض العائلات من سكانها سابقاً ومن علمائها الشيخ حسن بن ربيع الذي نرح

إلى تاروت وقطن الربيعية فنسبت إليه .

١٥ - ذكر في حديثه عن الخبر أنها كانت قرية صغيرة قبل نزوح الدواسر إليها . والمعروف أن موضعها كان امتداداً للصحراء وأن أول من عمرها هم الدواسر حين نزحوا من البحرين عام ١٣٤١ فبنوا فيها أكواخاً واستقروا فيها . ويلاحظ أن الأستاذ الجاسر ذكر أنهم يدعونها أي الأكواخ (برستيات) واحدها (برستي) حسب لهجتهم التي تبدل الجيم ياء إذ كان الأصل (برستجاب) جمع (برستج) وهي كلمة غير عربية شائعة في المنطقة . كما أنه لم يشر إلى أصل كلمة الخبر، وما وقع فيها من تحريف، حيث تنطق بضم الخاء وفتح الباء والصحيح أن تنطق بفتح الخاء وكسر الباء جمع خبرة بفتح أوله وكسر ثانيه وهي الخبراء ومعناها مستنقع الماء أو التي ينبت حولها من العشب وشجر السدر والاراك كما تذكر معاجم اللغة .

١٦ - بعد أن ذكر الأستاذ الجاسر روايات المتقدمين وآرائهم في كلمة الخط استنتج أن مدينة الخط هي القطيف .

وحسب استنتاجي من أقوال المؤرخين والجغرافيين القدماء أن الخط والقطيف اسمان مترادفان إذا قصد بهما المنطقة الساحلية أما إذا قصد بهما مدينة بعينها فالقطيف كما يبدو - تعني الزارة وما حولها أما مدينة الخط فهي التي بنى اردشير بن بابك^(٧) مؤسس الدولة الساسانية في موقعها القلعة^(٨) وضواحيها . وهذا التفريق يوضحه خبر تغلب بني عبد القيس على بلاد البحرين واقتسامها فيما بينهم ، حيث نزل بنو جذيمة بن عوف الخط وأفناءها وبنو نكرة من لكيز القطيف وما حولها ، وبنو حفص صفوى . الخ^(٩) واعتقد أن اسم القطيف لم يطلق على المدينة الحالية إلا بعد خراب الزارة عام ٢٨٣ هـ حيث انتقل إليها مركز الثقل ، فأصبح لهذه المدينة منذ ذلك التاريخ اسمان : هما الخط والقطيف .

١٧ - ذكر الأستاذ الجاسر ص ٦٣٩ ج بأن الخويلدية مؤنث خويلد تصغير (خالد) والصحيح أن الخويلدية نسبة إلى خويلده تصغير خالدة مؤنث خالد . أما

عين القشورية لا (القشيرية) كما ذكر لوريمر - فهي بسيحة الجارودية، وإن كانت تسقي بعض نخيل الخويلدية.

١٨ - ذكر اسم الخضيرية الواقعة في طرف سيهات الجنوبي الغربي، واسمها الصحيح الخضرية بدون تصغير.

١٩ - ذكر أن اسم العين الشهيرة في صَفْوَى (دَارْيُوس) مرتين ص ٥٦٦ و ص ٩٧٧ واسمها المتداول (داروش)^(١٠) ويقال أنها سميت باسم الملك الفارسي داريوس اودارا (٥٢١ - ٤٨٥ ق. م) لنزوله فيها.

٢٠ - ذكر اسم الدالوة، وعدّها من قرى الأحساء وهناك في القطيف عين تسمى الدالوة، تقع في سيحة الجش على مقربة من البلدة.

٢١ - ضبط الأستاذ الجاسر تنوره (رأس تنورة) بضم التاء المثناة الفوقية، ولا أعرف مصدر هذا الضبط، والمعروف المتداول على السنة الناس (تنوره) بفتح التاء وضم النون المشددة وكأنه مؤنث تنور.

٢٢ - ذكر في تحديد قرية الزُّور بأنها تقع بين بلدة تاروت وقرية سنابس والواقع أنها تقع إلى الشمال من قرية السنابس، بينما بلدة تاروت تقع في الجهة الغربية بعيدة عنها.

٢٣ - ذكر في تحديد مدينة سيهات بأنها تقع جنوب مدينة القطيف غرب بلدة عنك بقربها، والواقع أنها تقع جنوب بلدة عنك، وكلتاها تقعان على الساحل مباشرة. وفي الوقت الحاضر لا يفصل بينهما سوى الطريق المؤدّي إلى مدينة الدمام.

٢٤ - جاء في تحديد ضاحية (الشريعة) بأنها تقع على بعد مئة ياردة غرب وسط مدينة القطيف، والصحيح أنها تقع إلى الجنوب من القلعة وشرق سوق القطيف أما الآن فقد التهمت الأسواق ولم يبق منها سوى القليل من البيوت.

٢٥ - ذكر في ص ٩٧٢ أن نهر مُحَلْم أصبح مجهولاً وكذلك الصفا. وهذا ما

انتهى إليه تحقيقه في مادة (الصفاء) إلا أنه عندما تحدث عن بلدة صَفْوَى وذكر ما جاء في كتاب «ساحل الذهب الأسود»^(١١) عقب بقوله: إن هذا غير صحيح، فنهى محلم في منطقة الأحساء وهي بعيدة عنها، فكيف نوفق بين قوله الأول وقوله الأخير؟ مع أن الأستاذ الجاسر يعرف كل المعرفة أن اسم هجر يطلق على القطيف والأحساء قديماً، فمن الجائز أن يكون اسم صفوا مشتق من نهر الصفا لاسيما إذا أخذنا في الاعتبار أن عين داروش القوية التي تتفرع منها سبعة أنهر تتوسط بلدة صَفْوَى وأنها تسقي معظم نخيل القرية.

٢٦ - ذكر في ص ١١٦٩ ج ٣ أن العقربية إحدى القرى التي نشأت في عهد النفط، وهي من قرى مدينة الخبر وتقع جنوبها بنحو سبعة عشر كيلاً).

وتصحيحاً لهذه المعلومات نذكر أن العقربية هي أحد أحياء مدينة الخبر وتقع في الجهة الغربية منها ولا توجد فواصل بين أحيائها. ولا تتجاوز المسافة بين ساحل مدينة الخبر والعقربية سوى ثلاثة أكيال إلى أربعة، فمن أين استقى تلك المعلومات؟

٢٧ - ذكر في تحديد قرية عنك بأنها تبعد عن القطيف بنحو خمسة عشرة كيلاً وشرق بلدة سيهات بنحو خمسة أكيال.

ولا أعرف كيف بنى هذا التحديد، فبلدة عنك لا تبعد عن مدينة القطيف سوى أربعة أكيال سابقاً، وكانت تبعد عن سيهات بنحو كيلين وقد التهم العمران هذه المسافة. ففي الوقت الحاضر لم يبق من تلك المسافة بينها وبين القطيف سوى ثلاثة أكيال تغطيها غابة من النخيل. أما المسافة بينها وبين سيهات فقد أنمحت والتصقت بها، ولا يفصل بينها وبين سيهات سوى شارع الشاطئ (الكورنيش) وهو الطريق المؤدي لمدينة الدمام، ومن الملاحظ أن مدينة الدمام اتصلت بسيهات من الناحية الجنوبية بعد دفن البحر، والعمران في طريقه لالتهام تلك الأراضي القليلة التي أُعدت لتكون مناطق سكنية، ثم إن المسافة بين مدينة القطيف وبين مدينة الدمام سابقاً لا تتجاوز ١٨ كيلاً فكيف ببلدة عنك التي هي أقرب بلدة ساحلية لمدينة القطيف.

٢٨ - ذكر في الهامش عند الاستشهاد بشعر جعفر الخطي :

واجتازت المزن العشار فطبقت بالسقي من عنك إلى بنكات
أن ناشر الديوان ذكر أن بنكات من قرى القطيف . واستدرك الأستاذ الجاسر
بأنه فاته ذكرها . والواقع أنه لا توجد بالقطيف في الوقت الحاضر قرية بهذا الاسم
وهي من القرى التي اندرست .

٢٩ - جاء في مادة (العين) ذكر (عين أبو لوزة) بأنها في الجهة الجنوبية من
الأحساء) ومن الجائز أن تكون هناك عين بهذا الاسم ، ولكن العين المسماة (أبو
لوزة) هي موجودة أيضاً بالقطيف بهذا الاسم ذاته ، وهي المعروفة بالحمام المقام
عليها قبة قديمة بناها الأتراك وهي التي استحم فيها الأستاذ الجاسر وشوى سمكه
بقربها ، كما حدثنا بذلك في قصة من ذكريات أيام شبابه . وهذه غير عين الحباكة
(الحباكة) التي تبعد عنها إلى الشرق بنحو مئة متر . وعين الحباكة مكشوفة وكان
يوجد بمجراها الشرقي مبنى لاستحمام النساء .

٣٠ - جاء في صفحة ١٢٢٨ ذكر عن (صديين) وصفها مؤلف دليل الخليج
بأنها عين من عيون القطيف تقع وسط قرية الجارودية وتروي زراعتها ، وقد عقب
الأستاذ الجاسر بقوله : وقد يكون الاسم محرفاً . والصحيح أنها معروفة بهذا الاسم
وهي المشهورة بعذوبة مائها بل ~~تعتبر أعذب عين في واحة القطيف~~ ، وقد سبق أن
تحدثنا عنها آنفاً .

٣١ - ذكر في حديثه عن (الفرضة) أقوال المتقدمين واختلافهم في تعيين
موضعها ، هل هي قرية بالبحرين أو بهجر ؟ وهذا غير مستغرب فاسم البحرين
واسم هجر كانا يطلقان على هذه المنطقة الممتدة من البصرة إلى عُمان ، فإذا ذكرها
ال بعض بأنها قرية بالبحرين أو بهجر فيعني نفس المنطقة ، كما لو أطلقت قبل نحو
من خمسين عاماً بأنها في الأحساء حيث كان اسم الأحساء يشمل المنطقة الشرقية
بأسرها ، والواقع أن اسم الفرضة والقلعة مترادفان فهما ~~لُسمي~~ واحد ، وقد سميت
بالفرضة لكونها محط السفن كما تقول معاجم اللغة ، وسميت بالقلعة لأنها حصن

منيع يشرف على البحر والنسبة إليها فُرُضي، وإن كان المتداول في كتابة وثائق العقود القديمة أن يعرف البائع أو المشتري إذا كان من سكنة القلعة بأن فلان الفلاني من أهل الفرضة. وهذه الوثائق ما تزال موجودة ولديّ نماذج منها.

٣٢ - ذكر تمر التعضوض الذي اشتهرت الفرضة بكثرته فيها، ووصف بأنه تمر أسود حُلُو. وهذا الوصف ينطبق على نوع من التمر يسمى (الخُنْيزي) بضم أوله وفتح ثانيه ويوجد في القطيف بكثرة، وهو أحد الأصناف الثلاثة لتمر القطيف (البكيرية والخنيزي والأبيض) والأبيض يدخل فيه بقية الأنواع، ويعتبر تمر الخنيزي الأجود صنفًا والأعلى ثمنًا. وهذه الأصناف جرى على أساسها تحديد استيفاء الزكوات وكذلك اتفاقات الضمانات بين الملاكين والفلاحين.

٣٣ - ذكر في مادة (فسا اردشير) بأن مدينة الخط هي القطيف. أو الزارة . . (الخ).

والواقع أن مدينة الخط - كما سبق أن تحدثنا عنها سابقاً - غير مدينة القطيف أو الزارة كما يفهم من أخبار الردة في التفريق بينهما وكذلك أخبار اقتسام بني عبد القيس بلاد البحرين فيما بينهم حين تغلبوا عليها، وأعتقد أن مدينة الخط هي قلعة القطيف التي بناها أردشير الأول مؤسس الدولة الساسانية وسمّاها (فسا أردشير) كما يحدثنا بذلك الطبري في تاريخه^(١٢) وهي إحدى ثمان مدن بناها اردشير نفسه في مناطق متفرقة، ويبدو أنه بناها لتكون قلاعاً دفاعية، إلا أن قلعة القطيف تحولت إلى منطقة سكنية لمناعتها، ومازالت بعض الأسماء الفارسية عالقة بها حتى قبل أن تهدم، كالدَّرَوَازَةِ التي يطلق على كل بوابة فيها وكذلك اسم (الخان) الذي كان يسمى به أحد أحيائها.

٣٤ - ذكر في الملحق (تصحيح واستدراكات) قرية الحريف (تصغير حرف) وهي فعلاً من القرى الصغيرة التي اندرست، وكانت تستقر على منطقة جبلية كسائر قرى الواحة، وهي تقع إلى الشمال الشرقي من بلدة القُدَيْح على بعد ثلاثة أكبال، وهي على الجانب الأيمن من الطريق المؤدي إلى العَوَامِيَّة، وقد استخدمت

سابقاً لتجفيف التمور وقت صرام النخل، أما الآن فقد أُقيمت فيها إنشاءات تابعة لوزارة الصحة.

هذه ملاحظات عُنْتُ لي وأنا أتتبع ما كتبه أستاذنا الجاسر في معجمه عن المنطقة الشرقية، وقد تركزت على المدن والمناطق المأهولة، وأنا أعترف بأن معلوماتي عن المناطق الصحراوية لا تؤهلني للمناقشة، وقد ينبري من هو أعلم مني بهذه المناطق فيناقش ما كتبه باستدلال علمي، أو يكتشف أخطاءً وقعت عن غير قصد، أو نتيجة اجتهاد، والمجتهد - كما يقول الفقهاء - إن أخطأ فله حسنة، وإن أصاب فله حسنتان، وقد قال الأستاذ الجاسر في استهلال مقدمة المعجم: (لن يبلغ المرء الكمال في أي عمل من الأعمال، مهما بلغ من القوة عقلاً وعلماً وعملاً، والأعمال - في هذه الحياة تنمو وتقوى بتظافر العاملين وتعاونهم على كر العصور).

هذا هو منطق الباحث الحق، لذلك قمت بتسجيل هذه الملاحظات، وأنا على ثقة من تقبله لهذه المناقشة، فالعالم الباحث الحق من لا يعتد برأيه، ولا يداخله الغرور مهما بلغ من العلم، أو أوتي حظاً من المعرفة، بل يكون شعاره: (الحق أحق أن يتبع) وهذا ما لمست في علامة الجزيرة الشيخ الجاسر أثناء لقاءاتي به، وهو الذي دفعني إلى كتابة هذه الملاحظات، وكنت أود لو استأنس برأيي أو رأي أهل الخبرة قبلاً لتجاني تلك الأخطاء ومع ذلك فإن هذه الملاحظات لا تنقص من قيمة الكتاب العلمية أو من جهد المؤلف، فهو عمل كبير لا يقابل إلا بالشكر والتقدير، وحسبه هذه المكانة المرموقة التي يتبوأها، وهذا الحب الكبير الذي يكنه له أبناء الوطن جميعاً، والذي انتظم في إكليل غارٍ مضافور على جبينه أينما حلّ وارتحل في هذا الوطن الغالي.

القطيف: محمد سعيد المسلم

العرب: للكاتب الكريم الشكر الجمل ولصاحب المعجم تعليق في جزء رجب إن شاء الله.

الهوامش:

(١) جاء في لسان العرب مادة (صداء) أن هذا المثل أول ما نطقت به قذور بنت قيس ابن خالد الشيباني وكانت زوجة لقيط بن زرارة فتزوجها بعده رجل من قومها فقال لها يوماً: أنا أجهل أم لقيط؟ فقالت: (ماء ولا كصداء) أي أنت جميل ولست مثله، فذهب مثلاً.

علي جواد الطاهر و "معجم المطبوعات"

[نشر الاستاذ الدكتور يحيى الساعاتي في جريدة (الرياض في ١٤٠٦/٢/٧ هـ وما بعدها) دراسة مركزاً لمعجم المطبوعات العربية السعودية، الذي قام بتأليفه الأستاذ المحقق الدكتور علي جواد الطاهر، والذي يعتبر بحق أوفى مؤلف عن الحركة الثقافية في هذه البلاد خلال ما يزيد على نصف قرن من الزمان، أي منذ قيام الدولة السعودية الميمونة بقيادة الإمام عبد العزيز - رحمه الله - إلى منتصف العقد الأول من القرن الخامس عشر. وتري «العرب» أن تقدم لقرائها ما نشره الدكتور الساعاتي عن ذلك الكتاب القيم الذي تعز «العرب» بكونها نشرته في ٥٦ حلقة في نحو خمسة عشر عاماً ابتداءً من الجزء السابع من السنة الخامسة (محرم ١٣٩١) إذ من القراء من لا يطلع على ما ينشر في الصحف اليومية، ولأن هذه الدراسة التي قام بها الدكتور الساعاتي تعتبر بالنسبة لهذا الكتاب من حيث الشمول والعمق والأصالة فريدة في موضوعها].

إن الحديث عن الحركة الفكرية في بلد من البلدان وإصدار أحكام عن مدى تطورها أو تخلفها، لا يمكن أن يتأتى إلا من خلال متابعة مسار حركة النشر فيها، لمعرفة توجهات الاسهامات العلمية والثقافية فيها، ونشاطها أو خموها على مدار السنين، ومن هنا فإن الحكم القاطع، أو محاولة التقويم دون استناد على معرفة شاملة بالنشاط الفكري، يعتبر أمراً غير مقبول، نظراً لقيامه على الافتراض، أو

- (٢) راجع كتاب منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد لسليمان سعدون البدر.
- (٣) ص ٣٤١ ط دار الصاوي بمصر. مركزية تكملة علوم
- (٤) تحريف من اللهجة العامة الداريجة بأدغام حرفي الخلق (الهجرة والعين).
- (٥) أنظر الخريطة رقم ٢٠٨ - ١ أبحاث جيولوجية مختلفة اصدار وزارة المالية والاقتصاد الوطني.
- (٦) دليل الخليج ص ١٨٨١ ط ثانية.
- (٧) امتد حكمه من ٢٢٦م إلى ٢٤١م وقد بنى ثمان مدن منها مدينة الخط ببلاد البحرين.
- (٨) تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٤ ص ٣٠١.
- (٩) تبسّطت في الأدلة على هذا الرأي في كتابي الجديد (واحة على ضفاف الخليج) الذي سوف يظهر في سلسلة (هذه بلادنا) التي تصدرها الرئاسة العامة لرعاية الشباب.
- (١٠) عاد مرة أخرى ص ١٢٢٥ في حديثه عن العيون فذكر اسمها المتداول (داروش).
- (١١) قال مؤلف الكتاب عند ذكر صفوى (ولعل اسمها في الأصل مقتبس من نهر الصفا الذي يتخلج من نهر محلم): ص ٥٤.
- (١٢) ج ١ ص ٤٨٠ طبعة مؤسسة الأعلمي ببيروت.

عشوائية المتابعة، كما أن دراسة جانب محدد من جوانب المعرفة لا يعطي صورة كاملة عنها، إذا لم تربط بالجوانب الأخرى ذات العلاقة القريبة بها التي تؤثر وتتأثر بمضامينها، ونعين على كشف قضايا فكرية يتصل بعضها ببعض.

هذه النظرة التي تقوم على ترابط المعارف وتأثر بعضها ببعض، كانت المنطلق الذي تبناه الدكتور علي جواد الطاهر عندما أراد دراسة الأدب في المملكة العربية السعودية، حينما جاء إلى الرياض ليعمل في التدريس بكلية الآداب في جامعة الملك سعود، ويوضح الدكتور الطاهر هذه القضية عندما يقول: (.. ورغبت أن أكتب عن هذا الأدب، أو أن أدرسه وقد عهد إليّ تدريس الأدب الحديث في الكلية، ولكن المسألة ليست رغبة، إنها مسئولية فمن المعقول إذاً أن أبدأ بالبداية، والبداية تقتضي عملاً مكتيباً منهجياً، أي حصر الآثار الصادرة من دواوين وغيرها، وبدأت، ولكن أين؟ ليس هناك من مكان يجمعها أو يجمع أكثرها، وما عليك إلا الجد والصبر، وهذا ديوان، وهذه قصة، وتلك مقالات .. ولكن هذه لا تكفي للدراسة، وانها لو اجتمعت - فرضاً - لديك لا تفي بالغرض، فلا بد لك من الإلمام بالتاريخ .. والفقه .. وكل شيء، فليس الأدب منقطعاً عما حوله ..).

ووجد الدكتور الطاهر نفسه التي انشغل عن القضية الأساسية التي أرادها، وهي دراسة الأدب ليشغل بأمر متتابعة النتائج الفكري في المملكة، الذي تحول إلى حب وهواية، ثم إلى رسالة وواجب، وفي سبيل ذلك تحمل الكثير من العناء والجهد والتعب، ومع مرور الأيام تجمعت لديه حصيلة وافرة، ونبعت في رأسه فكرة إصدار معجم للمطبوعات في المملكة، فقد كان يشعر كما يقول: (بأهمية معجم للمطبوعات خاص بكل بلد عربي، فلقد مضى العهد الذي يمكن أن يعمل فيه شخص واحد معجماً لكل البلدان، وأشير كذلك بأهمية عمل المعجم الخاص مبكراً، كي يمكن الاستدراك عليه، ولكي يحصر ما يمكن حصره من مؤلفات الحاضر، قبل أن تصير ماضياً).

وكانت الخطوة التنفيذية عندما نشر الحلقة الأولى من عمله على صفحات مجلة

«العرب» في الجزء السابع من السنة الخامسة (محرم ١٣٩١) تحت عنوان (معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية)، وتوالت الحلقات لتصل إلى ست وخمسين حلقة، جاءت في أكثر من ثمان مئة صفحة، موزعة على أجزاء تتصل أحياناً وتنقطع حيناً، نشر آخرها في الجزء الرابع من السنة السابعة عشرة (ذي القعدة ١٤٠٢هـ)، وإذا عرفنا أن المرحلة الأولى من إعداد المعجم بدأت في عام ١٣٨٣هـ، وهي السنة التي جاء فيها الدكتور الطاهر إلى الرياض، فإن مجموع السنوات التي قضاها في إعداد ونشر هذا العمل بلغت تسع عشرة سنة.

وبعد توقفه عن نشر حلقات المعجم في العرب، نشر الدكتور الطاهر قصة المعجم تحت عنوان (الخاتمة - أو المقدمة الثانية) في عدد (الربيعان ١٤٠٣هـ) بمجلة «العرب»، ثم نشر في عدد رجب وشعبان من عام ١٤٠٣هـ) المقدمة الثالثة، التي تضمنت ردوده وتعليقاته على بعض الذين كتبوا عن المعجم مثل الدكتور منصور الحازمي، والدكتور ناصر السويدان، والأستاذ محمد الحمدان.

وفي عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) صدر للدكتور الطاهر المعجم بتعزيد من جامعة بغداد، وقامت بنشره المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، والمكتبة العالمية في بغداد، وجاء في مجلدين الأول في ٦١٨ صفحة والثاني في ٧٤٠ صفحة من القطع المتوسط وقد جعل عنوانه «معجم المطبوعات العربية: المملكة العربية السعودية».

وبصدور المعجم منشوراً في عمل مستقل يضع الدكتور الطاهر بين أيدي القراء ثمرة جهده وكفاحه الطويل الشاق، الذي دلل به على حبه وإخلاصه للمهمة التي حملها على عاتقه متطوعاً، دون أن يقصد من ورائها الحصول على مقابل مادي أو شهرة أو كسب معنوي، وهنا يكمن مقدار البذل والعطاء الذي منحه هذا الانسان للحركة الفكرية في هذه البلاد.

والمعجم الذي نتحدث عنه هنا يبدأ بقائمة للرموز والمختصرات التي تعبر عن المراجع التي استقى منها معلومات، أو التي رجع إليها فيشير إلى اختلافات فيها بينها. ويعقب ذلك المقدمة التي بدأ بها الحلقات التي نشرها سلسلة في مجلة

«العرب»، وضمنها بعض التوضيح والشرح للأهداف والأسس التي بني عليها المعجم، ثم المقدمة الثانية وهي الخاتمة، وفيها عاد إلى الحديث بشكل مسهب عن الدوافع التي دفعت به إلى وضعه، والمشاكل والصعوبات التي واجهها، والمصادر والأشخاص الذين استفاد منهم.

فقد كان أدب الحجاز الذي جمعه محمد سرور صبان ونشره عام ١٣٤٤هـ، أول كتاب من المملكة العربية السعودية يتصل به الطاهر حيث اقتناه كما يقول: (بعيد الدراسة الثانوية) (سنة ١٩٤٠م) ومن خلاله وقف على نماذج من أدب هذه البلاد، وتتسع الدائرة، فيشارك في «المنهل» بعد تخرجه في دار المعلمين العالية في بغداد مباشرة، بعد عام ١٩٤٥م - ١٩٤٦م.

ثم كان مجيئه إلى الرياض في عام ١٣٨٣هـ وهنا (يرى الدنيا أوسع كثيراً مما رآها، وتزداد هذه السعة إذا تصفح جريدة أو قرأ كتاباً أو ديواناً، وزار مكتبة).

وفي الرياض يقرأ التيارات الأدبية لعبدالله عبد الجبار..

وشعراء الحجاز في العصر الحديث للسامي.

وشعراء نجد المعاصرون لعبدالله بن ادريس.

ويتوالى اتصاله بالتنتاج المحلي بدايته الأدب...، ثم يلتقي ببعض الأدباء، ويتجول في مكتبات، وتفتح له كتب التراجم، من مثل دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام لعبدالله عبد الجبار، ومشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، آفاقاً أرحب للاتصال بالمعارف الأخرى.

ويتنقل بين مخازن بيع الكتب في الرياض، وله حديث شيق في هذا الصدد ننقله بنصه من المقدمة الثانية حيث يقول: (وكانت مكتبات البيع - في البطحة (البطحاء) خاصة - باباً مهماً يمكن أن يعد مهماً جداً، لما يعثر فيه المرء على خبايا يسمع بها ولم يرها في مكتبة خاصة. وفي البطحاء مكتبات كثيرة، أكبرها: «النهضة» وهي تعنى بالكتب الحديثة، وأكثر الحديثة عربية مستوردة من مصر ولبنان. وربما كان هذا في الأسباب التي هيأت لي فيها فرصة اقتناء دواوين محمد

حسن عواد. ولكن فيها مكاتب صغيرة كثيرة، لا تعدم أن تجد فيها - على غير تصميم - كتباً قديمة لا توجد في غيرها. وقد تعددت إليها الزيارات مصحوبة «بالدفاتر».

وتميزت مكتبة نسيت اسمها ولن أنسى رسمها، فهي على يسار القادم من المطار، واجهتها صغيرة، لا تثير اهتماماً، يديرها اثنان لعلهما أخوان. إذا دخلت فيها وجدت مستطيلة على وجه لا يتناسب مع عرضها، وقد توزعت فيها الكتب على غير نظام ذات اليمين وذات الشمال، وفي الوجه، كما أقيمت في الوسط منضدة مستطيلة تحمل الكتب في بطنها وعلى ظهرها.

كنت أكثر الزيارة لهذه المكتبة، ولم يكن صاحبها - أو صاحبها - يعبان كثيراً بالداخل - أو الداخلين - فاستغل الفرصة وأملأ ألواحاً من الدفتر. وكنت أحتال على وجودي المتكرر فيها - أو أسوغه - بشراء كتاب في كل مرة أدخل فيها بغير أن تكون لي حاجة إلى هذا الكتاب، وبغير أن تكون للكتاب نفسه قيمة علمية أو أدبية، ذلك هو الغالب في الكتاب المشتري، وإلا فقد تجد كتاباً مهماً مثل كتاب حسين بن غنام: «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام» طبع على نفقة المكتبة الأهلية بالرياض، باسم: تاريخ نجد المسمى...، والكتاب مصدر أساسي لا غنى لباحث - أو معجم - عنه.

ورأيت ذات يوم في مكتبة قريبة منها، بين الكتب المعروضة تعليقاً كتاباً كنت أود اقتنائه، ولم يتيسر لي تحقيق المطلب، هو كتاب عثمان بن بشر: «عنوان المجد في تاريخ نجد»، وكنت مصمماً على شرائه، فمددت يدي إليه وأنزلته، فرأيت أن صاحب المكتبة قد كتب عليه سعراً - بدا لي غير معقول (٨٠) ريالاً. فاستكثرت المبلغ في ساعته، وقلت في نفسي: إن حاجتي إليه مكتوبة فقط: تاريخ الطبع ومكانه وعدد الصفحات، وأخرجت (الدفتر) لأنقل هذه الحاجة المحدودة، فثقل ذلك كثيراً على البائع، ولعله قال (كلمة رأيتها غير لائقة به (وبي) وسحب الكتاب من يدي، فتألمت في حينه، ومازالت آثار الألم على أن الحق معه.

وفي (الشميري) مكتبة حديثة، اقتنيت منها (قلق) أبو أحيمد...، وفي (دخنة) مكتبة فيها مطبوعات قديمة مهمة، قد تكون هي المكتبة الأهلية التي نشرت عدداً من الكتاب، ودأبت على ذكرها على الأغلفة الأخيرة منها.

وفتحت في السنوات الأخيرة مكتبتان جديدتان في (البطحاء)، نسيت اسم إحداهما على سعتها ولعلها في مواجهة الشميري، وقد يكون اسمها (مكتبة الرياض)، وأذكر اسم الثانية وهي (مكتبة النصر الحديثة)، لأنها مكتبة يتولى صاحبها - أو صاحبها - الطبع أو إعادة الطبع (في بيروت)، ومما أعادت طبعه كتب فؤاد حمزة: «قلب جزيرة العرب» و«في بلاد عسير» و«البلاد العربية السعودية» وهي نادرة، ونشرت كذلك القسم الأخير من كتاب ابن كثير: «البداية والنهاية»، وقد ظل هذا القسم مخطوطاً حتى نشرته (مكتبة النصر الحديثة) في مجلدين بعنوان «نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم».

ويمكن أن يستدل من نشوء هاتين المكتبتين، ومن الثانية خصوصاً على تقدم خاص في عالم الكتاب.

وكنيت أبحث - بوجه خاص - عن دواوين محمد حسن عواد وأحمد قنديل، وقد حصلت على عدد لا بأس به من آثار الشاعر الأول، ولم أحصل على أي من دواوين الثاني. أما الثالث - من الشعراء الثلاثة - حمزة شحاتة - فقد علمت جيداً أنه لم يطبع شعره في ديوان، ولا يريد أن يطبعه...».

ولم يكتف بما وجدته في الرياض... فسافر إلى المنطقة الغربية عام ١٣٨٥هـ، (ولكنه لم يطل الإقامة (الإجازة) ولم يفد كثيراً، لأن سفره وقع في رمضان، ثم أن مكتبة الشيخ محمد حسين نصيف بجدة لم تكن مفتوحة، ولأنه عني خاصة بمخطوطات مكتبة شيخ الاسلام في المدينة، ومع هذا فقد أمكنه أن يلتقط بعض الأسماء من مكتبات البيع، وأن يقتني بعضاً منها، مثل كتاب «صحيح الأخبار» لابن بليهد، وقصة «فكرة» لأحمد سباعي...».

وربما كانت الفائدة الكبرى في مكتبة المدينة المنورة العامة، فقد وجدت فيها

بعض كتب كنت أطمع أن أراها، مثل قصة «التوأمان» لعبد القدوس الأنصاري
— أول قصة في الأدب السعودي فيما هو معروف.

ولا بد من ذكر مديرها (الخيارى) بالخير، لما سهل من مغلق الأمور، وما فتح
من باب كان مسدوداً..

أما (المنطقة الشرقية) فقد زارها زيارة عابرة، وكان له في كتابي محمد جابر
الأنصاري «لمحات من الخليج العربي» وعبد الرحمن العبيد «الأدب في الخليج
العربي» ما يسد مكاناً كبيراً من المساحة اللازمة، زيادة على أحاديث جرت مع
القليلين الذين رأهم من أبنائها في الرياض — وليس الذي وجدته فيها بذي بال أو
دلالة على نهضة، وكان في ديوان محمد سعيد الخنيزي «النغم الجريح» ما يشير إلى
شاعرية مبدعة، ولكن الشاعر الشاب لم يثن. ثم إن كتاب عبدالله علي الخنيزي
عن أبي طالب كان مدار حديث الناس في السعودية، مثار سخف في أحيان غالبية.
ولم يقع في يدي كتاب محمد سعيد المسلم (ساحل الذهب الأسود) إلا
متأخراً..).

وظل الطاهر دؤوباً وهو مستقر في الرياض يطالع الصحف اليومية، يستل منها
ما قد يكون من أخبار عن إصدارات جديدة، أو ما قد يعثر عليه في ثنايا السطور
عن الترجمة للأعلام.

ثم ودعها، كما يقول في عام ١٣٨٨/ ١٩٦٨ م عائداً إلى بغداد، ومعه عدد كبير
من الدفاتر المشحونة بالمؤلفين والمؤلفات على غير نسق، وفي بغداد شغل بالحياة
والتدريس وإعداد المؤلفات.

وبين فينة وأخرى يعود إلى المعجم .. ثم شرع ليصنف أوراق الدفاتر على
حروف الهجاء للمؤلفين .. ، فأخرج المكررات، وعندما فرغ من الترتيب الأولي،
اتصل بـ «العرب» .. وجرى الاتفاق ونشرت الحلقة الأولى في عدد (محرم
١٣٩١ هـ).

وكان الدكتور طاهر على يقين من أن هناك خطأ، وهناك فوتاً، وهناك سهواً،

لذا فقد جعل على رأس الحلقات التي نشرها في أعوام ١٣٩١هـ، ١٣٩٢هـ، ١٣٩٣هـ، ١٣٩٤هـ عبارة نصها: (رجاء أن ما يديه القارئ من الملاحظات وإكمال النقص وتصحيح الأخطاء يقابل من كاتب البحث ومن «العرب» بالقبول مقروناً بالشكر والتقدير).

ولكن كما يشير هو ذاته فقد كانت الاستجابة ضعيفة.

وقد أفاده وهو بعيد عن المكان الذي يرصد نتاجه الفكري مجموعة من الأعمال البليوجرافية، التي صدرت من مثل «معجم المطبوعات السعودية» لشكري العناني، «والأدب العربي في المملكة العربية السعودية»: بليوجرافيا مختارة، «وحركة التأليف والنشر في المملكة العربية السعودية» لكاتب هذه السطور، فأخذ يكمل النقص، ويستدرك الفائت مع النص على المصدر الذي استفاد منه.

وإذا كانت المقدمة الثانية توضح مسار المعجم، والمصاعب التي عمل على تجاوزها، والأشخاص الذين أمدوه بمعلومات، والأعمال التي أفاد منها في التصويب والتصحيح والاستدراك، وقصة نشره على صفحات مجلة «العرب».

فإن المقدمة الثالثة كانت تضم تعقيبه، وردوده، على بعض الذين كتبوا عن المعجم، وهو في شكله الأول عندما كان ينشر في «العرب» من مثل الدكتور الحازمي والدكتور السويدان، والأستاذ الحمدان، واستغرقت المقدمات الثلاث الصفحات من ١١ إلى ١١٠، وأعقبها بالتمهيد الذي تحدث فيه حديثاً مستفيضاً عن الطباعة والصحافة والكتاب قبل العهد السعودي، وشغل هذا التمهيد الصفحات من ١١١ إلى ٢٢٢، وجاء حافلاً بالمعلومات عن تلك الفترة التي لازال الحديث عنها يحتاج إلى الكثير والكثير.

أما المعجم فيبدأ من الصفحة ٢٢٣، وقد جعل مداخله بأسماء المؤلفين وبعض الهيئات النشرة، من مثل الرابطة والرئاسة، كما أنه يتحدث في السياق الهجائي عن بعض الجوانب الثقافية، من مثل الصحف، حيث عرض لها تحت هذا المدخل. وتختلف مادة المعجم هنا عن المادة التي نشرها في مجلة «العرب» فرغم أنه

حافظ على البنية الأساسية له كما نشرت في «العرب»، إلا أنه كان يعقب ويورد ملاحظات استفادها فيما بعد تضيف جديداً أو تظم تعديلاً.

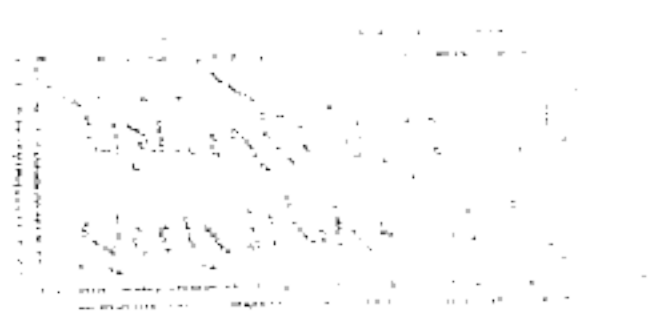
ويختلف منهج الدكتور الطاهر في معجمه عن المناهج المتبعة في الأعمال البيليوجرافية، التي تُعدُّ من قبل المهنيين المتخصصين في المكتبات الذين يلجأون عادة إلى استخدام رؤوس موضوعات محددة تتوزع عليها المداخل، ولمثل هذا الاستخدام فائدته، إذ أن بواسطة تجمع الأعمال المتقاربة من مثل الشعر، والقصة، والتاريخ... إلى غير ذلك، وهي بذلك تيسر للقارئ الوصول إلى حاجته بسهولة.

كما أنه يختلف عن العمل البيليوجرافي المهني في ناحية أخرى، تتمثل في التعريف بالمؤلفين تعريفاً مطولاً، عندما تتوفر له المعلومات، فقد تحدث عن خالد الفرج في قرابة ثلاث صفحات، ثم عرض لأعماله بعد ذلك، وهو هنا دون شك يقدم معلومات مفيدة لا يمكن توفرها في العمل البيليوجرافي المهني.

ويقترّب المعجم في بعض نواحيه من العمل المهني، ويتمثل ذلك في استخدام الطاهر للإحالات، فهو يحيل من الخجدي إلى محمد سلطان، ويحيل من طاهر كردي إلى محمد طاهر كردي وهكذا...

ولا تعني الإشارة إلى اختلاف المنهج الذي سار عليه الدكتور الطاهر عن منهج المهنيين التقليل من شأنه فهو في واقعه موسوعة للحركة الفكرية في هذه البلاد، لا يستطيع وضعها غير إنسان يملك مثابرة وصبر وحب الدكتور على جواد الطاهر..

(للبحث صلة) الدكتور يحيى محمود ساعاتي



المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية

- ١٠ -

حرف اللام

اللَّـبَا

جاء في كتاب «المُحَبَّر» لمحمد بن حبيب^(١) ذُو اللَّبَا: صنم لعبد القيس بالْمُشَقَّر سدنته منهم بنو عامر. ومثل هذا في «معجم البلدان». ولم أر لهذا الصنم ذكراً في كتاب «الأصنام» لابن الكلبي والمُشَقَّر سيأتي الكلام عليه.

لَبْدَاء

من مياه آل مرة في سلوا، بقرب حدود قطر.

لَبْن

بفتح اللام والباء وآخره نون: جَوٌّ مِنْ جَوَاء الصَّيَّان قال ذو الرُّمَّة:
حتى إِذَا وَجَفَتْ بُهْمَى لَوَى لَبْنٍ وَأَبْيَضَ بَعْدَ سَوَادِ الْخَضِرَةِ الْعُودُ
وجفت: أي ذهبت به - بالْبُهْمَى - الريح^(٢).

وهذا الجول لا يزال معروفاً. وفي سنة ١٣٢١ - أغار الملك عبد العزيز آل سعود، وجابر المبارك الصباح على قبيلة مُطَيْر، بقيادة فيصل الدويش، في جَوِّ لَبْنٍ، فهزمت القبيلة، وغنمت أموالها^(٣). وذكر مقبل الذكير أن هذه الواقعة حدثت في شوال سنة ١٣٢٠ وفصلها بما ملخصه: أن ابن رشيد سار غازياً ونزل حفر الباطن ثم سار قاصداً بوادي الكويت فأغار على (عُريب دار) قرب الكويت وأخذ إبلهم وبيوتهم، ثم رحل ونزل الباطن فتخوف ابن صباح وكان فيصل الدويش قد

مال إلى ابن رشيد فكتب ابن صباح إلى ابن سعود يستنجد به فلبى طلبه وأقبل معه من الجيش ما ينوف على خمسة آلاف مقاتل، فوصل الكويت فجهز ابن صباح ابنه جابرا فاتَّخَذَ جيشاًهما وسارا قاصدين ابن رشيد، وكان قد رحل من موضعه وسار جنوباً، وكان سلطان الدويش قريباً منهم، فأغاراً عليه في موضع يُسَمَّى (جَوْلَبَن) في الصَّمَّان، فحصل بينهم قتال شديد، أبلت فيه قبيلة مطير بلاءً حسناً، ولكنها غَلِبَتْ في النهاية، فأخذهم القوم، وحصل منهم حلال كثير، وقتل من الطرفين عدد غير قليل، لأن مطيراً في تلك الوقعة استبسِلوا وقاموا مقاومة عنيفة وكان حلالهم بين أيديهم فدافعوا عنه مدافعة شديدة ولكن القوة التي هاجتهم تفوقهم عدداً وعدة، وقتل يومئذ عَمَّاش الدويش وابنه.

وذكر الأستاذ عبدالله بن خميس أَنَّ جَوْلَبَن يدعى جَوْلُ عَمَّاش^(٤).

اللُّبْدَةُ

بضم اللام وإسكان الباء بعدها دال فهاء - : من مياه آل مُرَّة، بمنطقة الدكاكة، في الرُّبْع الخالي.



قال في «معجم ما استعجم»: لَحْظَةُ عِلْمٌ بِجُوفِ اللَّهَابَةِ - ماءٌ لبني تميم، قال أوفى بن رز أحد بني مرة بن فُقيِّم:

وَأَغْنَتْ رِمَاحَ الْقَوْمِ عَنَّا سُيُوفُنَا بِلَحْظَةِ إِذْ هَزُّوا الْوَشِيحَ الْمُقَوَّمَا

وفي «معجم البلدان»: لَحْظَةُ: مَأْسِدَةٌ بِتِهَامَةٍ، يُقَالُ: أُسِدُّ لَحْظَةً، كَمَا يُقَالُ: أُسِدُّ بَيْشَةً.

قال الجَعْدِيُّ:

سَقَطُوا عَلَى أُسْدٍ بِلَحْظَةِ مَشْبُو حِ السَّوَاعِدِ بِأَسْلِ جَهْمِ

انتهى. فلعل الاسم يقع على موضعين.

أما كلمة (بجوف اللهابة) فأرى صوابها (بجَوُّ اللهابة) إذ اللهابة أبارُ تقع في جَوُّ واسع.

اللَّحْيُ

بفتح اللام وسكون الحاء المهملة بعدها ياء - : هما لَحْيَان : جبيلان يقعان في الجنوب الغربي من القليب، جنوب العُيَيْنَة (عُويْنَة كَنْهَل) في جنوب وادي المياه (الستار قديماً) يدعى أحدهما اللَّحْيُ الرِّيَّان، وهو الشرقي منها، والثاني: اللَّحْيُ العطشان.

اللَّدَامُ

بكر اللام وفتح الدال المهملة بعدها ألف فميم، ويغلط بعضهم فيسقط اللام من الاسم فيقول (دام) ظنا أنها (ال) التعريف.

وهو جبل يقع شمال بلدة عَيْنِ دَارٍ، شرق الأطولَة، في منطقة الحَبَل، ويقع غربه جبل فَرْزَان، وفي جنوبه جبل يدعى الأمغر، ويرتفع اللَّدَام عن مستوى سطح البحر مئتين وخمسة عشر متراً، ويقع بقرب خط الطول: ٢٩/٤٩° وخط العرض ٢٠/٢٦°.

وجاء في كتاب «دليل الخليج» اللَّدَامُ: جبل يقع على مسافة ٤٠ ميلاً إلى الشمال الغربي في قاع دَوْحَة رحيم و ٥٠ ميلاً جنوبي غربي مدينة القطيف، وشمال شرقي الهفوف بطول عدة أميال من الشمال للجنوب، وعلى مسافة ٦٠ ميلاً بأقصى الشمال - قِمَّتَانِ باسم جبلي الفرز وجبل اللدام وعلى مسافة أقل من خمسة أميال من الحبل والبياض والجوف وأبو الدلايس وجو السعدان. انتهى.

لَصَاف

بفتح اللام والصاد المهملة وسيأتي في كلام ياقوت اشتقاق الاسم - : وهو اسم منهل من مناهل الصَّمان القديمة.

ففي «معجم ما استعجم»^(٥): كانت لَصَاف لإياد وفيها يقول عَبْدُ بَاجِر:

إِنْ لَصَافٍ لَا لَصَافٍ فَاصْبِرِي إِذْ حَقَّقَ الرُّكْبَانُ مَوْتَ الْمُنْذِرِ

كانت من منازل تلك القبيلة قبل أن تنتقل إلى خارج الجزيرة قال ياقوت^(٦):
قال أبو عبيد السكوني: سِنْدَادُ مَنْزِلٍ لِإِيَادٍ نَزَلَتْهَا لَمَّا قَارَبَتِ الرَّيْفَ، بَعْدَ لَصَافٍ
وَشَرْجٍ وَنَاطِرَةٍ، وَهُوَ أَسْفَلُ سَوَادِ الْكُوفَةِ، وَرَاءَ نَجْرَانَ الْكُوفَةِ — انْتَهَى يَقْصِدُ
سِنْدَادَ.

وقبيلة إِيَادٍ انتقلت من شرق الجزيرة قبل الإسلام بعد أن انتشرت فروع ربيعة
من عبد القيس وبكر بن وائل وغيرهما. ثُمَّ حَلَّتْ تِلْكَ الْبِلَادَ قَبِيلَةُ بَنِي تَمِيمٍ
فَأَزَاحَتْ أَكْثَرَ سُكَّانِهَا مِنْ رَبِيعَةٍ، سِوَى عَبْدِ الْقَيْسِ. وَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَفُرُوعُ تَمِيمٍ
مُنْتَشِرَةٌ فِي تِلْكَ النُّوَاحِي، وَلَمَّا ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ «بِلَادِ الْعَرَبِ»^(٧) أَنَّ الْقُرْعَاءَ مِائَةً
بِأَسْفَلِ الصَّمَانِ قَالَ: ثُمَّ بَجْنِبِهَا مِمَّا يَلِي قَلْجًا لَصَافٍ وَفِيهَا يَقُولُ الرَّاجِزُ:
يَأَلَيْتَ عَنَّا وَبَنِي مَنَافٍ وَالنَّهْشَلِيِّينَ عَلَى لَصَافٍ
قَدْ ارْتَمَيْنَا حَجَرِي قَذَافٍ

ولهم يقول أبو المَهْشُوشِ الْأَسَدِيُّ:
قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُكُمْ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ فَإِذَا لَصَافٍ تَبَيَّضُ فِيهَا الْحُمْرُ
وليس لبني نهشل غيرها، وغير القممية وهي بطن قَلْجٍ، فوق الجفر — انتهى.
وقال^(٨): وَالْقُرْعَاءُ وَاللَّهَابَةُ وَلَصَافٍ وَطَوِيلَعٌ وَمَا حَوْلَهُنَّ يُسَمَّيْنَ الشَّاجِنَةَ، وَهِيَ
دُونَ الصَّمَانِ، فِي أَسَافِلِهِ. انتهى.

وقال ياقوت في «معجم البلدان»: لَصَافٍ بوزن قَطَامٍ، كَأَنَّهُ مَعْدُولٌ عَنْ
لَا صِفَةٍ، وَتَأْنِيثُهُ لِلْأَرْضِ أَوْ الْبَقْعَةِ يَكْثُرُ فِيهَا اللَّصَفُ^(٩)، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: اللَّصَفُ
شَيْءٌ يَنْبِتُ فِي أَصْلِ الْكَبَرِ كَأَنَّهُ خِيَارٌ، وَقَالَ اللَّيْثُ: ثَمَرَةُ شَجَرَةٍ تَجْعَلُ فِي الْمَرْقِ وَلَهَا
عَصَارَةٌ يَصْطَنَعُ بِهَا الطَّعَامُ — وَلَصَافٍ وَثْبَرَةٌ: مَاءَانٌ بِنَاحِيَةِ الشَّوَّاجِنِ فِي دِيَارِ ضَبَّةَ،
قَالَ الْأَزْهَرِيُّ^(١٠) وَقَدْ شَرِبْتُ مِنْهَا، وَإِيَاهُمَا أَرَادَ النَّابِغَةُ حَيْثُ قَالَ:

بِمُضْطَجِبَاتٍ مِنْ لَصَافٍ وَثْبَرَةٍ يَزُرُّنَ إِلَّا، سَيْرُهُنَّ التَّدَافُعُ

وقال أبو عبيد الله السُّكُونِي: لَصَافَ مَاءَ بِالْقَرَبِ مِنْ شَرَجٍ وَنَاطِرَةً وَهُوَ مِنْ مِيَاهِ
إِيَادِ الْقَدِيمَةِ وَقَدْ صَرَفَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ:

إِنْ لَصَافًا لَا لَصَافَ قَاضِرِي إِذْ حَقَّقَ الرُّكْبَانَ هُلَكَ الْمُنْدِرِ

وقال أبو زياد: لَصَافَ مَاءَ بِالذُّوِّ لَبَنِي تَمِيمٍ، وَقَدْ بَلَغَ مُضَرَّسٌ بْنُ رَبِيعٍ
الْأَسَدِيُّ أَنَّ الْفَرَزْدَقَ قَدْ هَجَا بَنِي أَسَدٍ فَقَدِمَ الْبَصْرَةَ، وَجَلَسَ بِالْمَرْبَدِ يَنْشُدُ هَجَاءَهُ
الْفَرَزْدَقَ، فَبَلَغَ الْفَرَزْدَقُ ذَلِكَ فَجَاءَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ:
أَسَدِيُّ أَنَا، قَالَ: لَعَلَّكَ ضَرِيسٌ؟ قَالَ: أَنَا مُضَرَّسٌ، فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ: إِنَّكَ بِي
لَشَبِيهَةٍ فَهَلْ وَرَدَتْ أُمُّكَ الْبَصْرَةَ؟ فَقَالَ: لَمْ تَرِدِ الْبَصْرَةَ قَطُّ وَلَكِنْ أَبِي، قَالَ
الْفَرَزْدَقُ: مَا فَعَلَ مُعَمَّرٌ؟ قَالَ مُضَرَّسٌ: هُوَ بِلَصَافٍ حَيْثُ تَبْيَضُ الْحُمُرُ، فَقَالَ
لَهُ الْفَرَزْدَقُ: هَلْ أَنْتَ مَجِيزٌ لِي بَيْتًا؟ قَالَ مُضَرَّسٌ: هَاتِهِ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ:
وَمَا بَرِئْتُ إِلَّا عَلَى عَتَبِهَا عَرَاقِيئُهَا مُذْ عُقِّرْتُ يَوْمَ صَوَارٍ

قَالَ مُضَرَّسٌ:

مَنَاعِيشُ لِلْمَوْلَى تَظَلُّ عُيُونُهَا إِلَى السَّيْفِ تَسْتَبْكِي إِذَا لَمْ تُعْقِرِ
فَتَزْعُ الْفَرَزْدَقُ جُبَّتَهُ وَرَمَى بِهَا عَلَى مُضَرَّسٍ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا هَجُوتُ أَسَدِيًّا قَطُّ.
أَرَادَ الْفَرَزْدَقُ بِقَوْلِهِ: (مَا فَعَلَ مُعَمَّرٌ؟ قَوْلُ) ^(١١) نَهْشَلِ بْنِ حَرْيٍّ يَهْجُو بَنِي فُقْعَسٍ
حَيْثُ قَالَ:

ضَمِنَ الْقَنَانُ لِفُقْعَسٍ سَوَاتِيهَا إِنَّ الْقَنَانَ لِفُقْعَسٍ لَمُعَمَّرُ
وَأَرَادَ مُضَرَّسُ قَوْلَ أَبِي الْمُهَوَّشِ الْأَسَدِيِّ يَرُدُّ عَلَيْهِ:

قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُكُمْ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ فَإِذَا لَصَافٍ تَبْيَضُ فِيهِ الْحُمُرُ
فَتَرَفَعُوا مَذَحَ الرِّثَالِ (؟) فَأَنَّمَا نَجْنِي الْهَجِيمُ عَلَيْكُمْ وَالْعَنْسَبُ
عَضَّتْ تَمِيمٌ جِلْدَ أَيْرِ أَبِيكُمْ يَوْمَ الْوَقِيطِ وَعَاوَنْتَهَا حَضَجَرُ

وَهِيَ أَبْيَاتُ كَثِيرَةٌ. انْتَهَى.

وقال البكري في «معجم ما استعجم»: لَصَافٍ بفتح أوله وكسر الفاء وآخره
مبنى: ماء لبني تميم، ثم أورد بيتي أبي المهوش في هجوهم، غير منسويين.

وأورد في «النقائض» خبر هجو ضابيء بن الحارث البرجمي بني عبدالله بن هذلة
من بني دارم، وأن عثمان - رضي الله عنه - قضى لبني هذلة على ضابيء بِجَزْ شَعْرِهِ
وخمس إبله وانحدروا من المدينة إلى لَصَافٍ فحبسوه عند أمهم، فأطلقتة، فأخذ
ضابيء ثامة بن عبدالله بن هذلة، بإثبيت، فضربه وشججه، فاستعدوا عليه عثمان،
فأمر به فحبس - في خبر طويل.

وقال جرير^(١٣):

وَأَجَرُ مُطَرِّدِ الْكُعُوبِ كَأَنَّهُ مَسْدٌ يُنَازِعُ مِنْ لَصَافٍ جَرُورًا
الإجزار: أن تطعن الرجل ثم تخلي الرمح فيه، والجرور: البئر البعيدة القعر التي
تسنى بغير.

ولصاف: ماء لبني نهشل.

وقال الفرزدق يهجو فقيماً ونهشلاً^(١٤):

إِذَا حَلُّوا لَصَافٍ بَنَوْا عَلَيْهَا بُيُوتَ الثُّلُومِ وَالذُّلَّ الطَّوِيلِ
وبنو فقيم وبنو نهشل بطنان مشهوران من تميم.

وقد بقيت لَصَافٍ من مياه بني تميم إلى عصرنا، فهي الآن من مياه الجبلان
وهاؤلاء وإن كانوا معدودين من قبيلة مُطَيْر، إلا أن من المتواتر بين النسابين أنهم
من بني تميم أصلاً. وتعدُّ لَصَافٍ - من الطَّوَال، طَوَال مُطَيْر، وهي آبار بعيدة
القعر، هي واللهابة والقرعاء، وتعرف لَصَافٍ الآن باسم اللَّصَافَةِ.

اللَّصَافَةُ

- بكسر اللام وفتح الصاد المهملة بعدها ألف ففاء مفتوحة فهاء - من هَجَرَ
قبيلة مُطَيْر، لِلْجِبْلَانِ المعدودين منهم وإن كانوا في الأصل من بني تميم - وتقع

واللصافة هذه كانت تعرف قديماً باسم لَصَاف - كما تقدم - وكانت من مياه بني تميم في العهد الإسلامي، والجبلان يرجع أصلهم إلى بني تميم، لأن قبيلة مطير كغيرها من كثير من قبائل العرب في هذا العهد - تضم فروعاً من قبائل مختلفة الأصول.

واتخاذ اللصافة هجرة - بعد أن كانت منهلاً غير مسكون، حدث في عشر الأربعين من القرن الماضي. ولكن الاستقرار فيها لم يستمر.

وتعدُّ اللصافة من الطوال - طوال مطير - لأنها بعيدة القعر، يبلغ رشاؤها نحواً من أربعين باعاً.

وللصافة ذكر إبان نشوء الدولة السعودية في دورها الأول، فقد مهدت وقعة اللصافة وتسمى وقعة الشَّيْطِ الموضع المعروف شرق اللصافة - لإزالة حكم بني خالد عن الأحساء، والاستيلاء على تلك البلاد.

وملخص الخبر - كما ورد في تاريخي ابن غنام وابن بشر^(١٥)، أن سعود بن عبد العزيز سار في سنة سبع ومئتين وألف غازياً، يريد بني خالد، فلما اقترب منهم وجد آثار الجيوش والخيل، غازية، ولم يكن يعلم بما أحدثه براك وجماعته. وذلك أن براك بن عبد المحسن تولى رئاسة بني خالد والأحساء بعد مقتل أبيه عبد المحسن بن سرداح رئيس بني خالد^(١٦)، فنهض بهم غازياً وورد ماء (اللسافة) وأغار على سُبَيْع، وأخذ منهم إبلاً كثيرة.

فلما علم بذلك سعود استشار من معه: هل يقتفي آثار براك وبني خالد، أو يقصد أهلهم ومحالهم وليس عندهم من يحول دونهم ويدافع عنهم؟

فأشاروا عليه بأن يعتمد إلى أهلهم فيصحبهم ويعود منتصراً غانماً. فأبى سعود عليهم ذلك. ورأى أن الأولى ملاقات هؤولاء ومقاتلتهم.

فسار حتى وصل ماء اللصافة، وأقام يترصد بني خالد وينتظر عودتهم، فلما

بدت طلائعهم أسرع إليهم بعض فرسان يناوشونهم القتال، فظنهم بنو خالد بعض الاعراب الغازين، فطمعوا فيهم ووثقوا من النصر، فلما تلاحم الفريقان، هجم عليهم الجيش، فلم يلبثوا أن انهزموا، وجَدَّ كل منهم يطلب النجاة لنفسه.

فتبعهم المسلمون وأخذوا يقتلون فيهم قتلاً ذريعاً، حتى قتلوا منهم ست مئة في يوم واحد غير من قتلوه وهم يقتفون أثرهم^(١٧)، وأخذوا ما معهم من الخيل والإبل: وكانت الخيل مئتين، مختلفة النوع واللون. انتهى ملخصاً.

وتعتبر اللصافة من أطيب المناهل، لتوسط موقعها في المراتع المفضلة عند أبناء البادية في الصمان، وشرق الدهناء، على مقربة منها. وكذا ما بقربها من المياه كاللهابة والقرعاء.

وكما هُجِيَتْ لصاف (اللصافة) قديماً فإن اللصافة لم تسلم من ذلك، فقد تعرض لذكرها حنيف بن سعيدان — من شعراء العامة في عهدنا — فرد عليه شاعر من أهلها بما لا داعي لذكره، وكما قيل (وما زالت الأشراف تُهَجَى وتمدح).

وتقع اللصافة في أعالي الشَّيْطِين، في مفيض شبيب فيصل، شمال القرعاء، بقرب خط الطول: ٤٧/٤٦° وخط العرض: ٢٥/٤٠°.

لَطِيْطٌ

— بفتح اللام وكسر الطاء المهملة بعدها مثناة تحتية ساكنة فطاء مهملة أيضاً — : ماء يقع في الجهة الشمالية من الرُّبْع الخالي الشمالي الغربي، شرق جنوب المليحة الشرقية. وغرب ماء هقشة.

ويبعد عن يبرين نحو مئة كيل، وهو من موارد آل مُرَّة.

وفي أحد البيانات الرسمية: لطيط: هجرة لآل عازب وآل مهدية من آل مُرَّة، بمنطقة حَرَضٍ انتهى. وما أراه سوي ماء من مياههم.

لَبَاء

— بالفتح واسكان العين المهملة بعدها باء موحدة فألف ممدود — : في «معجم

البلدان»: اسم لسبخة معروفة بناحية البحرين، بحذاء القطيف، على سيف البحر، فيه (؟) حجارة مُلَسَّ، سُمِّيتَ بذلك لأنها لَعِبَ فيها كلُّ واد، أيَّ سال، وتنسب إليها الكلاب والنسبة إليها لَعْبَانِي - كالنسبة إلى صنعاء صنعاني - قال مُزَرَّد:

وَعَالًا وَعَامًا، حِينَ بَاعَا بِأَعْتَرٍ وَكَلَبِينَ لَعْبَانِيَّةً، كَالْجَلَامِدِ

وقال المهلبي: قوله (لعبانية) يعني نَوْقًا شَبَّهَهَا فِي صَلَابَتِهَا بِحَجَارَةِ اللَّعْبَاءِ. وكلام المهلبي هو المفهوم من خبر قصيدة مُزَرَّد، وهي في «المفضليات»^(١٨).

وتعريف ياقوت للعباء هو نص كلام الأزهري في كتاب «تهذيب اللغة»^(١٩) ففيه: اللعباء سبخة معروفة بناحية البحرين، بحذاء القطيف، وسيف البحر. انتهى. ونقله الحازمي في كتاب «البلدان» بنصه منسوباً إليه. وهو في كتاب نصر. وفيما بين القطيف والجُبَيْل أرض واسعة بقرب ساحل البحر، تدعى (الْعَبَاء) يرى بعض الباحثين أنها هي اللعباء التي تقدم ذكرها. وأرى أنها ما كان يعرف قديماً باسم (الأعباء) وورد مصحفاً في بعض الكتب (الأعناء) وقد تقدم ذكر ذلك في موضعه من هذا الكتاب.



في «معجم البلدان»: بالضم ثم السكون والباء موحدة، فُعِلَ مِنَ اللَّعِبِ، مقصور - : هو موضع في ديار عبد القيس، بين عُمَّانَ والبحرين، عن الحازمي. انتهى. ومثله في كتاب نصر.

وإذا صح هذا فالموضع غير لَعْبَاء التي بقرب الْقَطِيف، إذ تلك في شمال البحرين وهذه في جنوبه.

لَعْلَعُ

في «معجم ما استعجم» بفتح أوله، واسكان ثانيه، بعده لام مفتوحة، وعين مهملة مثلها: موضع مذكور في رسم العذيب، وهو مؤنث لا يُجْرَى، وفي رسم

صبلع ما يدل أنه جبل . قال ابن ولاد: لعلع : من آخر السواد إلى البر، ما بين البصرة والكوفة، وقال غيره: لعلع : بطن فلج، وهي لبكر بن وائل وقيل: هي من الجزيرة . وقال أبو عبيدة: كانت بكر بلعلع في أول الإسلام، من غير أن يكون أسلم أهل نجد ولا أهل العراق، فأجذبت لعلع، ووُصفت لهم الشيطان بالخصب، وهي من منازل بني تميم، وبينهما مسيرة ثمان، فأتوا الشيطان في أربع، وسبقوا كل خبر، وقتلوا بني تميم أبرح قتل، قتل منهم ذلك اليوم ست مئة، وأخذوا أموالهم، فيقال: إن بكرا أتاها كتاب رسول الله ﷺ، فأسلموا على ما في أيديهم .

وقال رُوَيْشِد بن رَمِيض العنزي^(٢٠):

ما كان بين الشيطان ولعلع
لنسائنا إلا مناقل أربع
وقال المسيب بن علس:

قطعوا المزاهر واستتب بهم
عند الرجيل للعلع طرق
وقد ورد في شعر قرواش بن حوط الضبي، ما يدل على أن لعلع من ديار بني ضبة^(٢١)، قال:

سيعلم مسروق ثنائي ورهطه
إذا وائل حل القطاط ولعلعا
يعني وائل بن شرحبيل بن عمرو الضبي، وكان أسيراً، فخبروه فاختر قرواشاً .
وقال المتلمس:

فلا تحسبني خاذلاً متخلفاً
ولا عين صيد من هوائ ولعلع
قال: وعين صيد: هناك قريب من لعلع . وقال أبو ذؤاد وذكر صحاباً:
فحك بذي سلع بركه
تخال البوارق فيه الذبالاً
فروى الضوافه من لعلع
يسح سجالا ويفرى سجالا^(٢٢)
ولعلع: داني من ذي قار، يدل على ذلك قول رؤبة:

أَقْفَرُ مِنْ أُمِّ الْيَمَانِ لَعْلَعُ فَبَطْنُ ذِي قَارِ قِفَارٌ بَلْقَعُ

وقال في «معجم البلدان» لعلع: بالفتح ثم السكون، واللعلع في لغتهم: السراب ولعلع: جبل كانت به وقعة لهم، قال أبو نصر^(٢٣): لعلع ماء في البادية وقد وردته وقيل: لعلع منزل بين البصرة والكوفة، وقال العزيزي: من البصرة إلى عين جمل ثلاثون ميلاً، وإلى عين صيد ثلاثون ميلاً، وإلى الأخاديد ثلاثون ميلاً وإلى أقر ثلاثون ميلاً وإلى سلمان عشرون ميلاً وإلى لعلع عشرون ميلاً. وقال المسيب بن علس الضبي:

بَانَ الْخَلِيطُ وَرَفَعَ الْخُرُقُ ففؤادُهُ فِي الْحَيِّ مُغْتَلِقُ
مَنَعُوا كَلَامَهُمْ وَنَائِلَهُمْ يَوْمَ الْفِرَاقِ وَرَهْنَهُمْ غَلِقُ
قَطَعُوا الْمَزَاهِرَ وَاسْتَبَّ بِهِمْ يَوْمَ الرَّجِيلِ لِلْعَلْعِ طُرُقُ

وإلى بارق عشرون ميلاً وإلى مسجد سعد أربعون ميلاً، وإلى المغيثة ثلاثون ميلاً، وإلى العذيب أربعة وعشرون ميلاً، وإلى القادسية ستة أميال، وإلى الكوفة خمسة وأربعون ميلاً. انتهى.

وأورد في «النقائض»^(٢٤) لجرير:

وَلَوْ شَهِدْتُ يَوْمَ الْوَقِيطَيْنِ حَيْلُنَا لَمَّا قَاظَتِ الْأَسْرَى الْقِطَاطَ وَلَعْلَعَا
الْقِطَاطَ وَلَعْلَعُ: واديان معروفان، كانت الأسرى فيهما.

النصوص المتقدمة واضحة الدلالة على أن لعلع في سواد العراق، بين البصرة والكوفة، وأنه كان من بلاد بكر بن وائل، وأنه يبعد عن الشَّيْطَيْنِ الواقعين شرق الصمان مسيرة ثمان ليال للابل، قطعها البكريون في أربع - كما في قول رشيد بن رميض العنزّي:

وَمَا كَانَ بَيْنَ الشَّيْطَيْنِ وَلَعْلَعٍ لِنِسْوَتِنَا إِلَّا مَنَاقِلُ أَرْبَعٍ
- وتقدم في رسم الشيطان.

إلا أن القول بأنه في بطن فلج - وهو وادي الباطن الذي فيه الحفَرُ - دعا إلى

ذكره، إذ الاسم قد يُسمَّى به موضعان فأكثر. ثم إن صلة الموضع بالشَّيْطَانِ تدعو إلى الإشارة إلى موقعه.

لَيْمَةُ

بضم اللام وفتح الميم بينهما ياء ساكنة - : جبل يقع شرق بلدة النُّعَيْرِيَّة، وغرب طُريف والطَّرِيفَة، يرتفع عن سطح البحر ثلاث مئة وثلاثين متراً.

اللَّوَى

- بالكسر والواو بعدها ألف مقصورة، وهو منقطع الرمل، فهو في الأصل وصفٌ سميت به مواضع بعينها، وكما قال ياقوت في «معجم البلدان»: قد أكثر الشعراء من ذكره، وخلطت بين ذلك اللَّوَى والرمل، فعزَّ الفصل بينهما. انتهى، واكتفي بما ورد في ذكر اللَّوَى بما جاء في شعر ذي الرُّمَّة، إذ غالب ما ذكر من المواضع داخل فيما أَلَفَ هذا الكتاب لتحديد موقعه قال:

وَحَاصُّ الْقَطَا فِي مَكْرَعِ الْحَيِّ بِاللَّوَى نَطَافًا بِقَايَاهُنَّ مَطْرُوقَةٌ صُفْرُ^(٢٥)
وقال^(٢٦): يَصِفُ مَيَّةً:

تَحِلُّ اللَّوَى أَوْجَدَةَ الرَّمْلِ كُلَّمَا خَرَى الرَّمْتُ فِي مَاءِ الْقَرِينَةِ وَالسُّدْرِ
وقال^(٢٧): - يصف الطعائن:

تَعَرَّجْنَ بِالصَّمَانِ حَتَّى تَعَذَّرَتْ عَلَيْهِنَّ أُرْتَاعُ اللَّوَى وَمَشَارِبُهُ
تَعَرَّجْنَ: أَقْمَنَ. أُرْتَاعُ اللَّوَى: المرتعى

وقال^(٢٨):

غَدَاةَ اللَّوَى إِذْ رَاعَنِی الْبَيْنُ بَغْتَةً وَلَمْ يُودَ مِنْ خَرَقَاءَ شَيْئًا قَتِيلُهَا
وقال^(٢٩):

أَرِقْتُ لَهُ وَالثَّلْجُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَحَوْمَانُ حَزَوَى فَاللَّوَى فَالْحَرَائِرُ

أَقَامَتْ بِهَا حَتَّى تَصُوحَ بِاللُّوَى لَوَى مَعْقَلَاتٍ فِي مَنَابِتِهِ الْبَقْلُ
 البيت الأخير واضح في أن بقرب مَعْقَلَاتٍ موضعاً يعرف باللُّوَى، يضاف إليها،
 كما أن عطفه اللُّوَى على حُزُونًا يفهم منه تقارب الموضعين.
 ووصف المرتعى في اللوى بالصَّهْنَان يدل على أن هذا الموضع في الصَّهْنَان.
 ومن هنا يمكن القول بأن اللُّوَى الوارد في شعر ذي الرُّمَّة المذكور هنا يقع شرق
 الدهناء بقرب مَعْقَلَةٍ في نواحي الصَّهْنَان، والصَّهْنَان وإن كان حُزُونًا وَقَفَافًا وَرِيَاضًا
 إلا أن فيه أماكن ذات رمل.

اللُّوَيْمِيُّ

بلام مضمومة وواو مفتوحة بعدها مشاة ساكنة فميم مفتوحة فياء النسبة — :
 قصر اللويمى كان مقراً للجند في عهد الدولة التركية، ويقع بقرب مدينة الهفوف،
 وقد درس الآن. جاء في «دليل الخليج» في الكلام على قرى الأحساء: قصر
 اللويمى: على مسافة ميل شرقي الهفوف في الجهة الجنوبية من طريق الجشَّة، وهو
 قلعة كان قد احتلها الجنود والشرطة التركية حيث تعتبر مركزاً للمدفعية وبها بصفة
 دائمة جند مشاة و ٢٥ من قدامى الضباط.

وتروى الأراضي المتصلة بالقلعة من عين اللويمى.

لَهَاب

بكسر اللام وفتح الهاء بعدها ألف فباء — : قال جرير (٣١): يهجو عَمْرُو بن
 لَجَءَ التَّيْمِيِّ:

فَأَنْتَ عَلَى يَجُودَةٍ مُسْتَشْدَلٌ وَفِي الْحَيِّ الَّذِينَ عَلَى لَهَابَا

يجودة ولهاب: موضعان. كذا في ديوانه.

وبجودة: أراه الموضع المعروف الآن باسم جودة - حذفت العامة الياء كما حذفتها من بنوف ويعقوب - وتقدم الكلام في هذا في رسم (جودة).
أما لهاب فقد يكون أراد اللهاية فاضطره الشعر إلى تغيير الاسم.

الحواشي:

- (١) ٣١٧.
- (٢) ديوانه: ١٣٥٦.
- (٣) «تاريخ الكويت» ٩٤/٢ الطبعة الأولى و «نجد الحديث» للريحاني: ١٣٤ - الطبعة الثانية.
- (٤) «معجم الهمامة»: ٨٠/٢.
- (٥) رسم (توضيح).
- (٦) «معجم البلدان» رسم ستداد.
- (٧) ص ٣٥٣.
- (٨) ٣٥٥.
- (٩) اللصف على ما هو معروف الآن في نجد نوع من الحجارة أبيض لامع أملس رقيق.
- (١٠) «التهديب»: ١٩٠/١٢ من قوله: (لصاف وثيرة ماءان) وفيه (وقد شربت بهما).
- (١١) ليس ما بين المربعين في الأصل ولا يستقيم الكلام بدونه.
- (١٢) ص ٢٢٠.
- (١٣) ديوانه: ٢٣١.
- (١٤) ٦٥٢.
- (١٥) «تاريخ نجد» لابن غنام تلخيص الدكتور ناصر الدين الأسد، ص ١٨١ و «عنوان المجد» لابن بشر - حوادث سنة ١٢٠٧.
- (١٦) في «عنوان المجد» أن عبد المحسن قتل سنة ١٢٠٦، قتله زيد بن عريعر وأخوته.
- (١٧) في «عنوان المجد»: أن القتل من بني خالد، أكثر من ألف رجل وقيل أن الذي هلك قريب ألفي رجل.
- (١٨) انظر (ابن) من كتاب «شمال المملكة».
- (١٩) ٤١١/٢.
- (٢٠) كذا والمعروف رُشيد - وهو مترجم في «الإصابة» مع تحريف نسبته (العنزي) إلى (العنبري).
- (٢١) كذا ويظهر أن الصواب (بني ضبيعة) كما يدل على ذلك النص.
- (٢٢) الصوافة هنا سهاها ياقوت (الضرافة) انظر هذا الاسم.
- (٢٣) لعل الصواب (أبو منصور) وهو الأزهرى الذي كثيراً ما يعبر هذا التعبير في وصف أمكنة كثيرة في هذه الجهات.
- (٢٤) ٨٣٦.

الحجون: مرة أخرى

انظر «العرب» ص ٢ ص ٨٦٥ وما بعدها]

كنت تحدثت في مجلة «العرب» - ص ٢ ص ٨٦٥ وما بعدها - عن الحُجُون وكَدَاء، إثرَ محاضرة ألقاها الأستاذ الشيخ أحمد السباعي - رحمه الله - عن (عبدالله بن الزبير)، جاء فيها: تعارفنا وتعارف الناس من أجيال سحيقة على تسمية هذه الثنية الماثلة أمامنا الحُجُون، والواقع أنها سُميت بذلك بعد الإسلام)، ثم تساءل: أين الحجون الجاهلي وأين ثنية كداء عنه؟! وقال: لعل أقرب شيء إلى الصحة أن تكون الثنية أو الجبل الصغير المتصل بشعب عامر، أما الحُجُون الحالي على يمين الصاعد إلى أعلى مكة هي ثنية كَدَاء - بالفتح انتهى.

ولقد حاولت أن أبطل رأي الأستاذ السباعي - رحمه الله - فأوردتُ نصوصاً عامة عن الحُجُون، أردتُ منها تأييد ما هو متعارف من أن الحجون هو المكان المعروف الآن بهذا الاسم الذي تقع فيه المقبرة، ويخترقه طريق كان ثنيةً يهبط منها إلى جرول.

وقلت في آخر البحث: (ولهذا فإني أخالف الأستاذ السباعي مخالفة تقوم على ما ذكرت من الأدلة، حتى يتضح خطأ هذه المخالفة، فأكون أول المسارعين إلى

→ (٢٥) ديوانه: ٥٦٣.

(٢٦) ٥٧٣.

(٢٧) ٨٢٨.

(٢٨) ٩٠٨.

(٢٩) ١٠١٦.

(٣٠) ١٦١٣.

(٣١) ٥٨٢.

رفضها، إذ الحق هو غاية كل من ينظر إلى هذه الناحية نظرة مجردة عن كل غاية لا توصل إلى الحقيقة).

ثم إنني بعد ذلك حاولت التعمق في فهم النصوص الواردة في تعريف الحُجُون في كتاب «أخبار مكة» للأزرقي، وهو أقدم كتاب تحدث عن هذا الموضوع مما وصل إلينا من الكتب المطبوعة، فظهر لي أن رأي الأستاذ السباعي كان مبنياً على نصوص واضحة أوردها الأزرقي، ولا يتسع المقام لإيراد تلك النصوص.

ثم رأيت ابن ظهيرة صاحب كتاب «الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبنائها البيت الشريف» قد تعرض لتحديد الحُجُون في كتابه فقال ص ٣٨٥: (الفائدة السابعة: المشهور عند أهل مكة أن الحُجُون هو الجبل الذي فيه الثنية التي يدخل منها الحاج، الهابطة على المقبرة، وعرفها الأزرقي بثنية المدنيين، ويسمونها الحُجُون الأول بالنسبة إلى الخارج منها إلى جهة ذي طوى والزاهر، ويقولون لما بينها وبين الثنية الأخرى - الهابطة على المختلح وطريق الوادي وتسمى الخضراء -: بين الحجونين، ويمين الخارج منها إلى جهة منى، كما هو صريح كلام الأزرقي والخزاعي والفاكهي والنووي، فأما الأزرقي فقال عند ذكره لما في يميني المعللة من المواضع والشعاب والجبال ما نصه: الحُجُون الجبل المشرف جداً على مسجد البيعة الذي يقال له مسجد الحرس.

ومثله كلام الفاكهي، وأما كلام الخزاعي فنص كلامه: الحجون الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مُصْعِد. وقال النووي في «شرح مسلم»: الحُجُون وهو من حرم مكة الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مُصْعِد. قال السيد الفاسي - رحمه الله - : وقد ذكر المُحِبُّ الطبري في «القرى» ما يوافق ما يقوله الناس، وكنتُ قلَّدته في ذلك فظهر لي أن الأزرقي بذلك أدري، كيف وقد وافقه الخزاعي والفاكهي وغيرهما، وإذا كان كذلك فلعله الجبل الذي يزعم الناس أن فيه قبر عبدالله بن عمر، والجبل المقابل الذي بينها الشعب المعروف عند الناس بشعب العفاريت والله أعلم. انتهى.

وأغرب السُّهيلي في محل الحجون فقال: والحجُّون على فرسخ وثلاث من مكة.
انتهى.

والحجُّون - بفتح الحاء وضم الجيم - كذا ضبطه النووي والطبري وصاحب
«المطالع» وضبطه ابن خُلِّكان بضم الحاء، والمعروف الفتح). انتهى كلام ابن
ظهيرة.


ويظهر من كلام الأزرقى أن أهل مكة في الجاهلية وفي صدر الاسلام يدفنون
موتاهم في مواضع منها: الحجون الواقع على يمين المتجه إلى منى من الحرم، على
مقربة من شعب عامر، وكان يسمى موضع الحجون شعب أبي دُبٍّ - إلى شعب
الصفِّي - صفِّي السَّبَّاب - كما يدفنون في الشعب الملاصق لثنية المدنيين الواقع
على يسار الذهاب إلى منى في مقابلة الحجون، وهو مقبرة أهل مكة اليوم، وتمضي
المقبرة مصعدة لاصقة بالجبل إلى ثنية أذاخر بحائط خرَّمان.

وبعد أن جاء الاسلام حولوا قبورهم إلى هذا الموضع الذي في أصل الثنية.

ولعل اسم الحجون انتقل إلى هذا المقبرة الأخيرة بعد أن أصبحت في العهد
الاسلامي مقبرة، ومن هنا وقع الاختلاف في تحديد موضع الحجون منذ عهد
قديم حيث ذكر الحافظ أحمد بن عبد الله الطبري (٦١٦/٦٧٤) في كتابه «القرى
لقاصد أم القرى» ما نصه ص ٢٢٢: (وكداء - بالفتح والمد غير مصروف - هي
الثنية العليا مما يلي مقابر مكة عند الحجون). فهو كما ترى سمى الثنية التي سماها
الأزرقى ثنية المدنيين سماها الثنية العليا، وذكر أنها تلي مقابر مكة عند الحجون.
والحجون الذي ذكره هنا ليس الحجون الذي ذكر الأزرقى أن أهل الجاهلية يدفنون
فيه موتاهم، لأن نص كلام الأزرقى: كان أهل مكة يدفنون موتاهم في جنبي
الوادي يَمَنَّة وشأمة في الجاهلية وفي صدر الاسلام، ثم حوَّل الناس قبورهم في
الشعب الأيسر، لما جاء فيه من الرواية، ففيه اليوم قبور أهل مكة. - «أخبار
مكة» ج ٢ ص ٢١١.

وقال قبل هذا : كان أهل الجاهلية وفي صدر الاسلام يدفنون موتاهم في شعب
أبي دُبٍّ من الحجون إلى شعب الصفي - صفي السباب - وفي الشعب الملاصق
بثنية المدنيين الذي هو مقبرة أهل مكة اليوم .

لقد اتضح لي مما تقدم من النصوص أن الحجون كان في الأصل يطلق على
موضع يقع على يمين الذهاب إلى منى على مقربة من شعب بني عامر، وكان هناك
مقبرة في العهد الجاهلي . ثم في صدر الاسلام انتقلت المقبرة إلى الشعب التي هي
فيه الآن الملاصق لثنية المدنيين التي سهلت منذ عهد قديم ، وتمتد المقبرة في سفح
الجل لاصقة به إلى ثنية أذاخر والخرمانية في طرف المعابدة، ثم أُطلق على هذه
المقبرة اسم الحجون . ولإطلاق هذا الاسم على الموضعين وقع الاختلاف في تحديد
الموضع بين متقدمي العلماء، مما نشأ عنه وقوع بعض المتأخرين في الخطأ، حيث
زعم أحدهم في مؤلف له أن الحجون هو المكان المعروف الآن الذي فيه المقبرة .
وليس هذا صحيح كما تقدم .

وفائدة التفريق بين الموضعين أن المؤرخين القدماء من ذكر أن عبد المطلب
جد الرسول - ﷺ - وخديجة زوجته - رضي الله عنها - قبرا في الحجون، فأَيُّ
حجون هذا؟! 

يظهر من كلام الأزرق وغيره أنه الحجون الذي كان مقبرة في صدر الاسلام
وقبل ذلك في العهد الجاهلي - يقع على يمين الوادي للمتجه من مكة إلى منى، لا
الموضع المسمى بهذا الاسم الآن الواقع على يسار المتجه .

والعلم عند الله سبحانه وتعالى . ، ،

حمد الجاسر

أحمد : من فروع ثقيف

قبيلة الحُمدة هي من عوف الأحلاف من ثقيف :

كانت قبيلة ثقيف تنقسم إلى فرعين رئيسين هما عوف الأحلاف، وبنو مالك، وسميت عوف بعوف الأحلاف لتحالف قسم من بني مالك يقال له : غاضرة، تحالف مع عوف، تركوا بني عمومتهم وانضموا إلى عوف، عُرفت بعوف الأحلاف، وذكر في كتاب رسول الله - ﷺ - لثقيف «لأحلاف أميرهم ولبي مالك أميرهم» و ثقيف سكان الطائف وما حوله يرجعون إلى عوف الأحلاف من ثقيف.

عشائر قبيلة الحُمدة المعروفة قديماً وحديثاً :

١ - النغور	٢ - ذوو سميح	٣ - العرامية
٤ - الوداودة	٥ - المقدم	٦ - القواسم
٧ - ذوو بريك	٨ - ذوو مسلم	٩ - الجرشان
١٠ - العرافية	١١ - الرزبات	١٢ - المطالقة
١٣ - العقلان	١٤ - ذوو هندي	١٥ - المهادية
١٦ - ذوو معروف	١٧ - الزواهره	

قراهم القديمة والحديثة :

١ - السلامة وسكانها النغور، ذكرهم صاحب «ذيل إتحاف الوري» مخطوط مكتبة الحرم بقوله : سنة ٩١٦هـ أن عبدالله بن محمد النغر الحميدي أرضى الشريف بركات بوجبة من عين السلامة . وذكر الجزيري صاحب «الدرر الفرائد

المنظمة، - ص ١٧٩٦/١٧٩٧ - : أن القاضي محيي الدين الشلبي حج سنة ٩٤٥ هـ فذهب بعد أدائه الحج بشهر إلى الطائف، بسبب مرض اعتراه، وحصل بينه وبين عرب مُطَيَّر مشكلة فالتجأ إلى عصابة من ثقيف منهم العفيف عبدالله بن محمد النغر. أقول: ولا يزال في السلامة بستان يعرف ببستان النغر إلى الآن.

٢ - قرية الهَضْبَة: سكانها بعض ذوي سُمَيْح، وبعض الزواهرية ولا يزال بها سكان منهم إلى الآن، وذكرها صاحب «إهداء اللطائف» وتُعرف الآن بباب الريع وحي أسفل.

٣ - سكان المَثْنَاة: عرفت بهذا الاسم في حدود القرن العاشر الهجري، أما قبل ذلك فتعرف بـ (وج) سكانها بعض عشيرة الجرشان وبعض عشيرة الزواهرية، ولا يزالون في المَثْنَاة إلى الآن.

٤ - قرية العَقِيق: سكانها عشيرة العرامية وبعض ذوي سُمَيْح والوداودة والمقدّم.

٥ - القَيْم: وتعرف قديماً باسم لُقَيْم، ذكرها صاحب «لسان العرب»: لقيم اسم رجل. وأورد هذا البيت في رسم لقم.

لُقَيْم بن لَقْمَان من أَخْتِه ^{وكان} ابن أخت له وابنها

وذكر في «شرح مقامات الحريري» - ج ٥ ص ١٣٤ - : أن الشاعر هو النمر بن تَوَلِب، وذكرت قرية لقيم سنة ٦١٣ هـ وذكرها الميورقي في «بهجة المهج».

أما الآن فيضم وادي القيم مزارع وقرى كثيرة، ومن قرى وادي القيم المُلَيْسَاء، وهي في أعلى الوادي ويسكنها بعض عشيرة العرافية، والزربات والمطالقة والعقلان وبعض الزواهرية وبعض القواسم وبعض ذوي سُمَيْح وبعض الجرشان وبعض ذوي هندي، وأكثر عدد وسكان من الحمدة في قرية المليساء الآن.

ووادي القيم أعلاه المُلَيْسَاء بعد مستشفى الأمير منصور العسكري، وأسفله
المريسية والجبال المطلّة على القُدَيْرَة. ومن قراه: -

- | | | |
|-------------------|----------------|----------------|
| ١ - المختلطة | ٢ - الحُسَيْرج | ٣ - المرقب |
| ٤ - الطويلة | ٥ - السريج | ٦ - الخضراء |
| ٧ - الخضيره | ٨ - السالمية | ٩ - أم الفضلين |
| ١٠ - أم صَدْعَيْن | ١١ - المريسية | |

هذه القرى والمزارع التي حولها قديمة ويسكنها من عشائر الحمدة قديماً وحديثاً:
ذوو هندي، ذوو معروف، المهادية، القواسم، ذوو بُريّك، بعض عشيرة
العرافية، ذوو مسلم.

وفي وادي القيم قرى أخرى سكانها من غير الحمدة، وهي حديثة الأسماء:
الغنامين (?)، البختين (?)، سور النوامي (?)، الحلقة وغيرها.

الحوادث والحروب التي حصلت على الحمدة:

يتناقل الحمدة ثلاثة أخبار متواترة يرونها الأبناء عن الآباء والآباء عن الجدود: -
الخبر الأول: أن جد أبي غمي الأول حارب الحمدة وأضاع حججهم (وثائق
أملأهم).

الخبر الثاني: أن أبي غمي الأول حارب الحمدة وشتمهم.

الخبر الثالث: أن الشريف زيد بن غمي - حسب قولهم - حارب الحمدة وكانوا في
حصنهم الموجود في المُلَيْسَاء، وبارودهم مجمع فيه فوضع الشريف عليه ناراً
فاحترق البارود وهدم الحصن واحترق جميع من في الحصن من الحمدة وقتل من
الحمدة من غير الموجودين في الحصن واستسلم الباقون.
هذه الأخبار الثلاثة متواترة عندهم.

وقد بحثت عن هذه الأخبار الثلاثة في ما لدي من الكتب التاريخية المتعلقة
بأخبار مكة المكرمة وأمرائها.

الخبر الأول: وجدت أن الشريف قتادة بن ادريس قتل مشايخ ثقيف بدار ابن
يسار، بقرية لقيم، فتحصنت ثقيف في حصونهم ولم يقدر عليهم، فطلب منهم
الخروج إليه ويؤمنهم وحلف لهم فتشاوروا فيما بينهم وقرروا الخروج إليه، فخرجوا
إليه فقتلهم وجعل على بلادهم نواباً وعضدهم بعبيد من مواليه فلم يبق لأهل
الطائف كلمة ولا حرمة.

وذكر الميورقي أن في هذه الوقعة فقد كتاب رسول الله ﷺ لثقيف، وكان عند
حمدان الثقفي العوفي، لكونه شيخ قبيلته، وقتل في هذه الوقعة قاضي الطائف
عيسى وقيل يحيى بن عيسى، وكانت هذه الوقعة سنة ٦١٣هـ.

الخبر الثاني: لم أجد في كتب التاريخ التي اطلعت عليها أن الشريف أبا نغمي الأول
له حرب مفصلة أخبارها سوى خبر واحد غير مفصل وهو أن الشريف أبا نغمي
الأول ذهب إلى الطائف لمحاربة ثقيف، ذكر ذلك صاحب «إتحاف فضلاء الزمن»
— مخطوط — وذكر الحرب مفصلة الشيخ محمد سعيد كمال ونشره في مجلة «العرب»
— س ٢ ص ٣٨٨ وما بعدها — وذهبت إلى الشيخ محمد سعيد كمال وسألته عن
حرب أبي نغمي الأول لقبيلة الحمدة أجاب قائلاً: إن هذا الخبر أخذه من شيخ قبيلة
الحمدة المرحوم محمد سعيد سعد الحميدي.

الخبر الثالث: حرب الشريف زيد بن محسن لقبيلة الحمدة ومحاصرتهم في
حصنهم، واحتراق البارود، وقتل الشريف صناديدهم، وذلك في حدود سنة
١٠٤٠هـ، وذكر ذلك صاحب كتاب «أهداء اللطائف».

ومن الحوادث التي مرت عليهم أن الشريف حسن بن عجلان شريف مكة

كان يأخذ القطعة المقررة على الحمدة وعلى بني موسى أهل لِيَّة وعلى آل بني النمر سنة ٨٠١هـ وما بعدها، وكان عسكر الشريف حسن يخربون مزارعهم في لقيم والعقيق ووج من الطائف، إذا صُعِب على قبيلة الحمدة تسليم القطعة المقررة وهدم حصنهم الذي في جبل السُّكَّارَى في قرية السلامة، وهذه الأخبار مذكورة في كتاب «العقد الثمين» لتقي الدين الفاسي - ج ٤ ص ٩٤، ١٢٩، ١٣٢ - وفي كتاب «إتحاف الوري» - ج ٣ ص ٤١٣، ٤١٤، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٦٣، ٥٦٤، - وذكر العصامي في كتابه «سمط النجوم العوالي» عن الحمدة: أنه جرت مناوشات بينهم وبين قبيلة قريش وبينهم وبين قبيل النفعة.

وذكرهم صاحب «إهداء اللطائف» في قرية العقيق وقرية لقيم وحرب زيد بن محسن لهم، وذكرهم العبيدي في كتابه «الطائف وقبيلة ثقيف».

ولا يزال الحصن الذي احترق فيه البارود موجوداً في قرية المليساء في جبل شمالي مستشفى الأمير منصور، وهذا الجبل حجر واحد، وشكله نصف كروي ويصعب الارتقاء إليه، والحمدة نقروا فيه طريقان أحدهما للصعود، والآخر للنزول، ولازال النقر وآثار الحصن وآثار بركة موجودة إلى الآن، ويحتمل أن حرب الشريف قتادة جد اشراف مكة لثقيف كانت في هذا الجبل.

وتوجد آثار حصن وقرية في أعلى جبل المرقب في وادي القيم، ويوجد لهم حصن مبني على جبل صغير في وسط قرية المليساء والذي بناه عائش بن زائر الذي كان شيخ القبيلة في ذلك الوقت، والحصن لا يزال موجوداً إلى الآن، ذكر حماد السالمي تحقيقاً عن وادي القيم في العدد ٤٦٨٤ في جريدة الجزيرة تاريخ ٩ ذي القعدة ١٤٠٥ - : أن في قرية المليساء قلعة تعرف بقلعة آل عبد السلام.

ولكن حماد السالمي أخطأ هو أو الذي أدلى بالمعلومات ليس لديه اطلاع أو

معرفة كاملة عن قبيلة الحمدة وقراها وحصونها، والذي أعرفه ويعرفه غيري من الحمدة أن القلعة أو الحصن في وسط القرية وليس عند آل عبد السلام، والذي بناه عائش كما ذكرت، أما اسم الشخص الذي قتل في زمن قتادة وفقد كتاب الرسول ﷺ بعد قتله فهو حمدان الثقفي العوفي كما في «العقد الثمين» - ج ٧ ص ٤٦ - وكما ورد اسم حمدان الثقفي - بالدال - أيضاً في «إتحاف الوري» - ج ٣ ص ٢٢ - وذكر في مجلة «العرب» - س ٢ ص ٤٠٠ - والمقال للشيخ محمد سعيد كمال أن الشخص اسمه حمدان الثقفي العوفي - بالدال - أما من ذكره بحمران الثقفي فقد وهم أو أخطأ لأن اسم حمدان كثيراً ما يسمى به سكان وادي القيم، بخلاف حمران - بالراء - فلم أسمع أن شخصاً اسمه حمران والمعتقد أن اسم شيخ ثقيف الذي قتل وفقد كتاب الرسول ﷺ - بعد قتله هو حمدان وليس حمران - والله أعلم.

بعض قضاة الطائف من سنة ٦٠٠ إلى نهاية ٩٠٠ هـ :

- ١ - القاضي عيسى الذي قتل في نوبة حرب الشريف قتادة لثقيف سنة ٦١٣ هـ .
- ٢ - يحيى بن عيسى .
- ٣ - يحيى بن محمد بن أحمد بن فتوح الأنصاري الأندلسي أصلاً اللقيمي موطناً ذكره صاحب «العقد الثمين» - ج ٧ ص ٤٤٦ - وقبره معروف أو قبر ابنه يعقوب بمقبرة القيم .
- ٤ - يعقوب بن يحيى بن محمد الأنصاري الأندلسي ذكر في «العقد الثمين» - ج ٧ ص ٤٧٨ .
- ٥ - محمد بن عيسى بن محمد بن عبدالله اليماني الأصل السلامي - نسبة لقرية السلامة بالطائف - ذكره صاحب «العقد» ٤٦٤/٦
- ٦ - عيسى بن محمد بن عبدالله المليساوي نسبة لقرية المليساء بالطائف مات بالسلامة من قرى الطائف سنة ٨٤٠ ذكره السخاوي في «الضوء اللامع» -

ما اتفق لفظه واختلف مسماه

من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

(٣٧)

٢١٢ - بابُ جَنَفَاءَ وَحَيْفَاءَ^(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ: يَفْتَحُ الْجَيْمِ وَالنُّونَ وَيَالِمَدُ: - مِنْ مِيَاهِ بَنِي فَزَارَةَ، قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ جَمِيعاً عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: كَانَتْ بَنُو فَزَارَةَ مِنْ قَدِيمٍ عَلَى أَهْلِ خَيْبَرَ لِيُعِينُوهُمْ، فَرَأَسَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا يُعِينُوهُمْ، وَسَأَلَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا عَنْهُمْ وَلَكُمْ مِنْ خَيْبَرَ كَذَا وَكَذَا. فَأَبَوْا فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ خَيْبَرَ أَتَاهُ مَنْ كَانَ هُنَاكَ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ، فَقَالُوا: حَظُّنَا وَالَّذِي وَعَدْتَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَظُّكُمْ أَوْ قَالَ: لَكُمْ دُونَ الرُّقِيَّةِ» لِجَبَلٍ مِنْ جِبَالِ خَيْبَرَ. فَقَالُوا: إِذَنْ نُقَاتِلُكَ، فَقَالَ: مُوَعِدْتُكُمْ جَنَفَاءَ فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَرَجُوا

مركز تحقيقات علوم اسلامی

→ ج ٥ ص ٦٠.

٧ - عبد الله بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله الطائفي قاضي الطائف مات بالسلامة من قرى الطائف سنة ٨٤٠ ذكره السخاوي في «الضوء اللامع» -

ج ٥ ص ٦٠.

٨ - عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن محمد السلامي توفي بقرية السلامة سنة ٨٤٣ - «الضوء اللامع» ج ٤ ص ١٤٣.

الطائف/مكتبة المؤيد محمد بن سعد بن أحمد الحميدي

هَارِبِينَ: ... وفي حديث ابن قُليح: جَنَفَاءُ: مَاءٌ مِنْ مِيَاهِ بَنِي فَزَارَةَ، وَقَالَ
السَّيرَافِيُّ: جَنَفَاءُ أَرْضٌ: قَالَ الشَّاعِرُ:

رَحَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ جَنَفَاءَ حَتَّى أَنْخَتُ فِنَاءَ بَيْتِكَ بِالْمَطَالِي (٢)

وَأَمَّا الثَّانِي: - بَعْدَ الْحَاءِ الْمُهِمْلَةِ الْمَفْتُوحَةِ يَاءٌ تَحْتَهَا [نُقْطَتَانِ] سَاكِنَةٌ: -
مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ، مِنْهُ أُجْرِيَ النَّبِيُّ ﷺ الْخَيْلُ فِي الْمُسَابَقَةِ، وَيُقَالُ فِيهِ الْحَفْيَاءُ،
وَهُوَ الْأَشْهُرُ، وَيَأْتِي ذِكْرُهُ (٣).

٢١٣ - بَابُ: جِنَابٍ وَجِبَابٍ وَحِثَابٍ (٤).

أَمَّا الْأَوَّلُ: - بَعْدَ الْجِيمِ الْمَكْسُورَةِ نُونٌ وَآخِرُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ: - مِنْ بِلَادِ
فَزَارَةَ، بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَفَيْدٍ: قَالَ سُحَيْمٌ:

يُذَكِّرُنِي قَيْسًا أُمُورٌ كَثِيرَةٌ وَمَا اللَّيْلُ مَا لَمْ أَلْقَ قَيْسًا بِنَائِمٍ
تَحْمَلُ مِنْ وَادِي الْجِنَابِ فَنَاشِنِي بِأَجْمَادِ جَوْ مِنْ وَرَاءِ الْخَضَارِمِ

قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ: الْجِنَابُ مِنْ بِلَادِ فَزَارَةَ، وَالْخَضَارِمُ بِالْيَمَامَةِ. وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ:
الْجِنَابُ بِعَرَاضِ خَيْرٍ وَوَادِي الْقُرَى (٥).

وَأَمَّا الثَّانِي: - بَعْدَ الْجِيمِ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَالْبَاقِي نَحْوُ الْأَوَّلِ: - مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ
أَوْدِ بْنِ صَعْبٍ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ، وَكَانَتْ فِيهِ وَقْعَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْأَزْدِ (٦).

وَأَمَّا الثَّلَاثُ: أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهِمْلَةٌ مَكْسُورَةٌ بَعْدَهَا ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ وَفِي آخِرِهِ مِثْلُهَا: - مِنْ
أَعْرَاضِ الْمَدِينَةِ (٧).

الهوامش:

- (١) لم أر في كتاب نصرٍ باباً ذكر فيه هذين الاسمين، وقد أورد في المفردات ما يشابههما.
(٢) إسماعيل بن إبراهيم هو ابن عُقْبَةَ، يروي عن عمِّه موسى بن عُقْبَةَ، وغيره، ممن روى عنهم
البخاري والترمذي والنسائي، توفي سنة ١٦٩ - «تهذيب التهذيب».

وعحمد بن فليح هو ابن سليمان المكي، روى له البخاري والنسائي وابن ماجه، وتوفي سنة ١٩٧ - على ما في كتاب «تهذيب الكمال» لِلْمَزْي.

وموسى بن عقبة - من أوائل من ألف في المغازي، قال الإمام مالك: عليكم بمغازي موسى فإنه ثقة، وقال يحيى بن معين: كتاب موسى بن عقبة من أصح هذه الكتب، توفي موسى سنة ١٤١ - «تهذيب التهذيب».

وابن شهاب هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب الزهري القرشي، أحد الأئمة الأعلام، توفي سنة ١٢٤ عن اثنتين وسبعين سنة.

وبنو فزارة من غطفان، وكانوا مظاهرين ليهود خيبر. وذو الرقية: جبل في خيبر يشاهد من مدينتها رأي العين، ولكنه يعرف الآن باسم (أبورقة) في الناحية الشمالية الغربية من البلدة.

وجنفاء: كانت من أشهر مياه بني فزارة ثم أصبحت بلدة، وقد درست الآن، ونشأ مكانها هجرة تعرف باسم الشملي، وتقع في ضفح حرّة اثنان (حرة ليلي) الشرقي - أي سفح تلك الحرّة، بقرب خط الطول: ٤٠/١٤ وخط العرض: ٢٦/٥٦.

والخبر بنصّه أورده ياقوت في «معجم البلدان» في رسم جنفاء. والسيرافي هو يوسف بن أبي سعيد السيرافي (٣٨٥/٣٣٠هـ) وورد قوله في كتابه «شرح أبيات سيبويه» - ج ٢/٤١٢.

والبيت الذي أورده السيرافي لزبان بن سيار الفزاري من شعر له قصّة أوردها أبو محمد الغنّجاني في تعقيبه على ما أورده السيرافي، انظر كتاب «فرحة الأديب» ص ٥٤ - والمطالي - جمع مطلى: أرض واسعة في بلاد بني أبي بكر بن كلاب، في الجنوب الغربي من نجد، في شرقي ظلم، وجنوب منهل سجا، وتعرف الآن باسم العيلة، ولزيادة الإيضاح يحسن الاطلاع على «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم (عالية نجد) رسم العيلة.

وفي كتاب نصير - في مفردات حرف الجيم -: الجنفاء: موضع يقال له ضلع الجنفاء بين الرتبة وضريبة من ديار محارب، على جادة اليمامة إلى المدينة. وأيضاً: بين خيبر وفيد، وقيل: يضم الجيم. انتهى. وعلى هذا فسلع الجنفاء موضع آخر، وهذا غرب جنى ضريبة - أما الذي بين خيبر وفيد فهو الذي ذكر الحازمي، وقد أورد ياقوت كلام الحازمي وكلام نصر غير منسوب إليهما. (٣) أورد الحازمي في باب حفياء وحفناء خبر سباق الخيل من الحفياء - وسيأتي ونقله عنه ياقوت وأضاف: ورواه غيره بالفتح والقصر. وقال البخاري: قال سفيان: بين الحيفا إلى الثنية خمسة أميال أو ستة، وقال ابن عقبة: ستة أو سبعة، وقد ضبطه بعضهم بالضم والقصر، وهو خطأ - كذا قال عياض - انتهى. وأعاد ياقوت الاسم في رسم حفياء - كأنه تأنيث، والحيف الذي يعبر به عن الجور، وهو موضع بالمدينة منه أجرى النبي ﷺ الخيل في المسابقة، ويقال فيه الحفياء (في المطبوع الحيفاء خطأ) وقد ذكر فيما مر: وحيفا جصن على ساحل بحر الشام قرب يافا - إلى آخر ما ذكر عن حيفا البلدة المعروفة في فلسطين - وأورد البكري في «معجم ما استعجم» - رسم الحفياء - حديث السباق بهذا النص: روى مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ ساق بين الخيل التي أضمرت من الحفياء، وكان أمدها ثنية الوداع، وساق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق. وأضاف وبين

وأورد صاحب «وفاء الوفاء» - ١١٩٢ - كلام ياقوت في الحفياء فيه زيادة عما في «معجم البلدان» المطبوع: حَفِيَاء: موضع قرب المدينة، منه أُجريت الخيلُ المُضْمَرَةُ إلى ثنية الوداع قاله الحازمي، ورواه غيره بالقصر. فالثنية فيما نقل السهودي ثنية الوداع، وهي من المواضع المعروفة في المدينة. ونقل عن المجد صاحب «المغانم المطابة» في تعريف الحفياء: وهي على مقربة من البركة فيما يغلب على الظن ثم أضاف: قُلْتُ هي شامي البركة، مغيض العين، لأن الهجري قال بعد ذكر مجتمع السيول بِزُغَابَةٍ: ثم يفضي إلى سافلة المدينة وعين الصُورين بالغابة وبها الحفياء صدقة الحسن بن زيد بن علي، وعبارة الزبير: فينحدر على عين أبي زياد والصُورين في أدنى الغابة. فالحفياء التي عبر عنها الهجري بالحفياء بأدنى الغابة، ولهذا جاء في حديث السابق: من الغابة إلى موضع كذا. انتهى كلام السهودي. وقال في رسم حيفاء: حِفْيَاءُ لغة في حَفِيَاء - كما تقدم فيها - على أن البكري في «معجم ما استعجم» في الكلام على النقيع. أورد كلاماً طويلاً في تعريف حمى النقيع وما حوله يظهر أنه من كلام الهجري - على ما يفهم مما نقله السهودي عن الهجري في الكلام على الأحماء، ومما جاء فيما أورده البكري - ص ١٣٣٣ - في الكلام على سَيْلِ أودية المدينة بعد اجتماعها في إضم - ثم يفضي ذلك إلى سافلة المدينة، الغابة وعين الصُورين، وبالعامة أموال كثيرة. وبها الحفياء وغيرها. انتهى فسمّاها الحفياء لا الحيفاء التي أراها تحريفاً.

أما ثنية الوداع فقد أطل السهودي الكلام عليها، وذكر الاختلاف في موقعها، ومما قال: وكل هذه الروايات متظاهرة على أن هذه الثنية هي المعروفة بذلك، اليوم في شامي المدينة، بين مسجد الراية الذي على ذباب، ومشهد النفس الزكية، يمرُّ فيها المارُّ بين صُذَيْنِ مُرْتَفِعَيْنِ قرب سُلْعٍ، ومن تأمل كلام ابن شبة في المنازل وغيرها لم يَرْتَبْ في ذلك، وسوق المدينة كان هناك - إلى آخر ما ذكر - فتلخص مما تقدم أن الحفياء - في أدنى الغابة التي لا تزال معروفة، وأن الثنية - ثنية الوداع بين مسجد الراية ومشهد النفس الزكية المعروفين الآن داخل المدينة. أما المسافة بين أدنى الغابة وبين الثنية فهي تقارب سبعة أميال.

(٤) في كتاب نصر في باب الجيم: (بابُ الجَنَابِ والجَنَابِ والجَنَابِ والجَنَابِ)

(٥) قال نصر - الجَنَاب - بكسر الجيم تليها نون - من ديار فزارة بين المدينة وقَيْد، وجَنَابُ الحنظل: باليمن. انتهى.

والأقوال الثلاثة التي أوردها الحازمي في تعريف الجَنَابِ مَذْلُولُهَا واجِدٌ. فهو من بلاد فزارة، واقع في الطريق بين المدينة وقَيْد، لمن يأتي على تيماء، وهو مُعْتَرِضٌ فيما بين خَيْبَرٍ ووادي القرى - منطقة العلا الآن. ويُعرف الجَنَابُ الآن باسم الجهراء، وقد أُوْقِفَتْ الكلام في تحديده في (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية».

وَسُحَيْمٌ - قائلُ البيتين - هو ابن وَثِيلِ الرِّيَاحِيِّ اليربوعي التميمي، صاحب البيت المشهور:
أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَأُ الثَّنَايَا مَتَى أَضَعُ الْعِمَامَةَ تُعْرِفُونِي
وهو شاعرٌ مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام.

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

أسرنا النقيير والأطرم من المشاعيب من سبيع

بعد إطلاعنا على كتابكم القيم «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» لم يرد

→ أجماد جو - جمع جُمُدٍ بضم الجيم والميم ونسكن - المكان المرتفع الغليظ - وجو هنا هو جو اليمامة الذي كانت تقع فيه مدينتها، وهو جو الخضارم، وسط إقليم الخرج، على ما يفهم من نصوص متقدمي العلماء، ثم عرف باسم اليمامة، ثم الجُفْرمة، وهو الجو الواسع الذي تقع قرية اليمامة في شماله الغربي، وقرية السلمية في شماله، وروضة الشهباء شرقه، والسيح - بعيونه ومزارعه - في جنوبه.

(٦) قال نصر: الجُبَابُ: بكسر الجيم تليها باء موحدة: في ديار أود بن صعب بن سعد العشيرة، وكانت فيه وقعة بينهم وبين الأزد، وأيضاً ماء بين نجد واليمامة، وأما بضم الجيم (الجُبَاب) ذكر أبو الندى أنه في بلاد بني سعد. انتهى.

ولم يذكر ياقوت في «المعجم» الجباب، وإنما ذكر الجُبَابَات - بالضم - موضع قريب من ذي قار، كانت به إحدى الوقائع بين بكر بن وائل والفرس... وقال أبو أحمد: وهو أيضاً يوم الجُبَابَة موضع جُبُّ في ديار أود بن صعب بن سعد العشيرة، كانت فيه وقعة بينهم وبين الأزد. والجُبَابَات أيضاً: ماء بنجد قرب اليمامة. ثم قال: الجُبَاب - بالضم - ذكر أبو الندى أنه في ديار بني سعد بن زيد مناة بن تميم.

فهل صواب الاسم الذي أورده نصير والحازمي الجبابية - كما ورد في كلام أبي أحمد العسكري الذي نقله ياقوت، إن الحازمي لم يضبط أول الاسم بالحركة وهي الجيم، ولكنها جاءت في مخطوطة الأصل مكسورة مطابقة لضبط نصير وبلاد أود - على ما ذكر الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ص ١٨١ - تقع في الجنوب الغربي من بلاد اليمن، فيما كان يعرف قديماً بـسُرُوجَمِير، وفي عهدنا الآن يسمى بلاد البيضاء، ولم أر في كتاب الهمداني ولا في معجم الحجري تحديداً للجباب ولا للجبابية.

(٧) هذا نص كلام نصير في تعريف هذا الموضع، ولم يزد ياقوت في «معجم البلدان» عليه إلا بقوله: كأنه جمع حثيث، أي سريع. ومع تقصّي السّمهودي في ذكر ما يتعلق بالمواضع المدنية فإنه وقف عند حد: جنات - بالكسر وثلاثين مثلثين - عرض من أعراض المدينة. انتهى فكيف يكون عرضاً ويكون مجهول الموقع؟ لا أستبعد أن يكون الاسم تصحيف جناب - المتقدم ذكره - فهو الذي يصح بأن يوصف بأنه من أعراض المدينة لسعته وشهرته، إذ أعراضها قراها التي في أوديتها، وحيث الزرع والنخيل.

ذكر أسرة النُقير ونُقير هو لقب لجدنا ابراهيم ابن عبدالله بن ابراهيم الراشد الشخيتي. والشخنة من المشاعيب، والمشاعيب من الجراح من بني ثور من سبيع. وللشخنة منزلة يقال لها الجادة في عنيزة. وجدنا ابراهيم الملقب بـ (نقير) نخيلات وبويت في مدينة عنيزة وأصيب بصرع، ومزق أوراق ملكيته لنخيلاته وبوته فأخذت منه...!! فمرض أثر ذلك ونزح إلى قصر ابن عَقِيل قرب الرس. قاصداً ابنه عبدالله. وتوفي هناك رحمه الله وكان آخر من بقي من أسرتنا في مدينة عنيزة، وكان ذلك أثناء إمارة صالح اليحيا الغانم لمدينة عنيزة في حدود عام ١٣١٧هـ.

ولابراهيم الملقب بـ (نقير) خمسة أبناء وبنات. وهم:

١ - عبدالله بن ابراهيم. سقط في البثر ومات في الحجناوي رحمه الله، وله ولد مات شاباً وبناتان.

٢ - سليمان بن ابراهيم توفي في المدينة المنورة رحمه الله حدود ١٣٣٢هـ وابنه الشيخ المعروف عبدالله ابن سليمان ابن نقير رحمه الله. وللشيخ عبدالله ستة أبناء وعدد من الأحفاد والبنات في الرياض وحائل، وسيأتي نبذة عن حياته.

٣ - راشد ابن ابراهيم. توفي في عمان رحمه الله عام ١٣٨٩هـ وله ولد مقيم مع أبنائه في جازان.

عبد الرحمن ابن ابراهيم توفي في الرس رحمه الله عام ١٣٨٧هـ وله خمسة أبناء وثلاث بنات وعدد من الأحفاد في الرس والخرج والظهران والطائف وخميس مشيط.

٥ - محمد مات صغيراً رحمه الله.

ومن الشخنة أبناء عم لنا يقال لهم الأطرم. وهم ذرية ابراهيم بن حمد بن ابراهيم الراشد الشخيتي. فقد نزح ابراهيم بن حمد - الملقب بـ (الأطرم) - من عنيزة إلى الرس قبيل نزوح النُقير من عنيزة ثم نزح ابنه سليمان ابن ابراهيم الأطرم من الرس إلى المدينة المنورة وللسليمان الأطرم ثلاثة أبناء وعدد من البنات وهم:

- ١ - عبدالله ابن سليمان مقيم وذريته في المدينة المنورة.
 - ٢ - محمد ابن سليمان توفي رحمه الله وله ولد يعمل طياراً ومقيم في جدة.
 - ٣ - صالح ابن سليمان مقيم وذريته في المدينة المنورة..
- أما آل الأطرم الذين منهم الشيخ صالح بن عبد الرحمن الأطرم فقد أفادني أحد أبناء الشيخ أنهم من الأساعدة من الرُّوَقَة من عتيبة، وهم من أهل الزُّلفي.
- ومن المشاعيب أيضاً آل نصرالله والجمالة والرشيد المعمر ومن ينحدر منهم وكذلك من المشاعيب آل جاراالله وآل نصار في الزبير في العراق.
- ومن المشاعيب أسرة كريمة تدعى (الدبة) وهاؤلاء جميعاً من آل علي من ذرية زهري بن جراح الثوري.

وهذه نبذة عن حياة الشيخ عبدالله ابن سليمان ابن نقيير رحمه الله.

ولد الشيخ عبدالله في مدينة بريدة عام ١٣٢٦هـ وتوفي والده سليمان في المدينة المنورة وهو في السادسة من عمره، وترعرع في كنف والدته رحمها الله.

أخذ عن الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن سليم رحمه الله. ثم أخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم رحمه الله. ثم أخذ عن الشيخ عبد العزيز العبادي رحمه الله.

وكان إماماً ومرشداً وعاقداً للأنكحة في كثير من قرى وهجر منطقة حائل. منها العُظِيم والسبعان والنُعي وفيد والرُمثية والكهفة والكهيفية والنقرة. ثم استقر في الرياض عام ١٣٧٠هـ وأخذ عن الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ رحمه الله. ثم لازم الشيخ عبدالله بن ابراهيم آل الشيخ في مسجد الشيخ صالح آل الشيخ رحمه الله.

وبعد وفاة الشيخ عبدالله بن ابراهيم رحمه الله تولى الإمامة في مسجد الشيخ صالح في الرياض إلى جانب عمله مدرساً للقرآن الكريم لدى الإدارة العامة

للكليات والمعاهد. حتى أقعده المرض وأحيل للتقاعد عام ١٣٨٤هـ وكان رحمه الله صابراً محتسباً شكوراً، إلى أن توفاه الله في مدينة الرياض يوم الأحد الموافق ١٥/٣/١٣٩٤هـ عن عمر يناهز الثامنة والستين عاماً.

وقد ورد ذكره في كتاب «مشاهير علماء نجد» وغيرهم للشيخ عبد الرحمن ابن عبد اللطيف آل الشيخ في طبعته الأولى والثانية.

كما ورد ذكره في كتاب «آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم» للشيخ صالح السليمان العمري في الصفحات التالية من الجزء الأول ص: ١٣٩. ص: ١٨٨.

وهناك أسرتان كريمتان تحملان نفس اسم (النُقَيْر) لا علاقة لهما بأسرتنا. وإحداها من الشمال والأخرى من القصيم.

وخلاصة القول أن أسرتي النُقَيْر وبني عمهم أبناء سليمان الأطرم سكان المدينة المنورة هم من الشخطة من المشاعيب من الجراح من بني ثور من سبيع.

سليمان بن عبدالله بن سليمان النُقَيْر

علي بن موسى مؤلف رسالة «وصف المدينة»

يستوضح الأخ الكريم محمد أديب السلاوي من المغرب، ويقيم في الرياض، في كتاب مؤرخ في ٢٤ تشرين الأول ١٩٨٥م عن صلة علي بن موسى مؤلف رسالة في «وصف المدينة» بعائلة ابن موسى المغربية، كما يستوضح عن العشيرة العربية التي ينتسب إليها المذكور وعن معلومات أخرى تتعلق به.

والواقع أن المعلومات المتعلقة بحياة علي بن موسى مؤلف الرسالة التي أشار إليها الأخ الكريم ونشرها صاحب «العرب» مع رسائل أخرى تحت عنوان «رسائل في تاريخ المدينة» - أن تلك المعلومات قليلة جداً، وكل ما عرفته منها أوضحت في مقدمة تلك الرسائل، كما أوردت نص كتاب أجابني به مؤرخ المدينة وعالمها الأستاذ عبيد مدني - رحمه الله - عن علي بن موسى.

ومع أن المؤلف المذكور كان من ذوي الأملاك المشهورين في المدينة - كما يتضح من رسالته - إلا أن المعلومات المتعلقة به وبأسرته هي من القلة كما ذكرنا.

شهاب الدين عمر الجازاني
كاتب مغمور من جازان

نشرت جريدة «الشرق الأوسط» في يوم الثلاثاء [شهر ذي الحجة سنة ١٤٠٥ هـ ص ١٠] حديثاً لرئيس لجنة العلماء بجهة تحرير (صومال أبو) السلطنة العفرية قديماً، وهي منطقة مسلمة متاخمة لأثيوبيا، جاء في ذلك الحديث بأن تلك الامبراطورية الاسلامية اجتذبت اهتمام المؤرخين مثل الرحالة ابن بطوطة، والدكتور فتحي الغيث، والأمير شكيب أرسلان والكاتب عمر شهاب الدين الجيزاني الذي رافق الإمام أحمد ابراهيم في غزواته وفتوحاته في منتصف القرن السادس عشر الميلادي. انتهى.

فمن هو هذا الكاتب الجيزاني؟
ضمم: يحيى خيرى

«العرب»:

إلى مؤرخ المخلاف السليمانى الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي تتوجه «العرب»
بالسؤال، مقروناً بالإجلال والتقدير،

الحمادا والمريزيق: من بني وائل

كتب الأخ حمود بن عبد العزيز القصير إلى مجلة «العرب» بأنه لاحظ بعض الأخطاء في كتاب «جهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» حيث ورد ذكر أسرتي الحمادا والمريزيق في أربعين موضعاً، وقدم لكلامه في بيان تلك الأخطاء: بأنه في منتصف القرن الحادي عشر وبعد ما دب الخلاف بين بني وائل الموجودين في التَّوَيْمَ وحرمة من منطقة سدير تفرق كثير من فروع هذه القبيلة، فارتحل الهزازنة إلى الحريق، والمبارك والراشد إلى حُرَيْمَلَاءَ، وارتحل الحميدي - جد الحمادا - وابن عمه مريزيق إلى القصيم - ونسب الحميدي هو الحميدي بن حمد بن حملي

بن الحميدي بن حسن بن صامل بن مرشان بن حسن بن رباح من الحسيني (الحسنة) من الرباع من السلقة من العمارات من بشر من قبيلة عنزة - فاشترى الحميدي الشقة التي تبعد عن مدينة بريدة بحوالي ١٥ كيلاً. قال: اشتراها بشق بيت من الشعر من امرأة كانت هناك، وعمرها. وأبناؤه هم:

١ - محمد.

٢ - سالم.

٣ - عبدالله.

٤ - علي.

٥ - سليمان.

وتفرع من هاؤلاء نحو ٢٥ أسرة:

١ - محمد: ولا ينتسب إليه سوى عائلة القصير (القصارى) الذين منهم العساف أبناء عساف بن عبدالله القصير، وهاؤلاء موجودون في السماوة في عين صيد، التي يملكونها - في العراق.

٢ - سالم: وينسب إليه من الأسر: الخضير، والشويهي، والجوعي، والمديش، والصبحاوي، والحمودي، والفهدي، والطعيسان - لا يوجد من الطعيسان سوى رجل واحد هو محمد بن ابراهيم الطعيسان في بغداد - ويوجد من عائلة المديش من هو مقيم في العراق وهو تركي بن عبد العزيز المديش وأولاده.

٣ - عبدالله: وينسب إليه ست أسر: الرشيد، والكليّة، والبعاما، والسعود، والغازي والعقيل - ويعرف العقيل هاؤلاء بالرشيد لتمييزهم عن العقيل أبناء عمهم علي -.

ومن الكليّة من يقيم في المنصورة في مصر.

٤ - علي: وينسب إليه خمس أسر هي: (١) الخويلدي (٢) العصلا

(٣) والرغوجي (٤) الفايزي (٥) العقيل.

٥ - سليمان: ويتنسب إليه خمس أسر: (١) الفراج - ومنهم البيداء
والعصيصر - (٢) السديس (٣) الجفير (٤) الحواس (وهم الصعب)
(٥) الحظيف.

أما مريزق ابن عم الحميدي فتنسب إليه ثمان أسر:

(١) الروضان (٢) السعودي (٣) الجريش (٤) الزمعان (الزميع) (٥) الأرباع
(الربعي) (٦) السحيمان (٧) البراك (ومن عائلة البراك من يقيم في بلبس
والقاهرة في جمهورية مصر).

[ولم يذكر الأسرة الثامنة]

وها هو بيان ما حاول الأخ تصحيحه:

١ - الأرباع: ص ٢٥ و ٣٠٠: أسقط من مريزق عائلة الروضان.

٢ - الحظيفي: ص ١٦٣: يقول الصواب: الحظيف.

٣ - الحمود - العصلا: ص ١٨٣: قال: ليس لقب العائلة الحمود العصلا
والصحيح الحمودي.

٤ - الحواس: ص ١٩٩: من أبناء سليمان وهم الصعب.

٥ - الخضير: ص ٢٢٨: الصواب: الخضيري.

٦ - الخنين - الخنانا - الخوالد: ص ٣٣٨: وهذه الأسرة لا نعلم عنها شيئاً.

٧ - الرشيد: ص ٣١٤ و ٧٢٢: ورد القحقان - انظر الرشيد - كلمة
القحقان ليست اسماً لهم بل لقب ينزول به ولا يعترفون به.

٨ - الرشيد: ص ٣١٦: (العقيل ويسمون العقيل الرشيد لتمييزهم عن أبناء

عمهم)

■ جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد:

كتاب «جامع الأصول» تأليف المبارك بن محمد بن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٠٦هـ وكتاب «مجمع الزوائد» لعل بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ

→ ٩ - الروضان: ص ٣٢٦: ورد في الكتاب أنهم من الحمادا، والصحيح أنهم من المريزيق.

١٠ - الشايخ: ص ٤٣٨: الصواب: الشوايع أو: الشوايعة.

١١ - الطعيسان: ص ٥١٤: لا يوجد من هذه الأسرة سوى رجل واحد وأولاده، وهم محمد بن ابراهيم الطعيسان في بغداد.

١٢ - العساف: ص ٥٩٤: هذه الأسرة في عَيْنِ صَيْدٍ في السماوة من العراق، وهم منسوبون إلى عساف بن عبدالله القُصير، من أسرة القصارا.

١٣ - العصوص: ص ٥٥٧: الصواب: العصيص وهم من الفراج، ولا يوجد منهم سوى نفر قليل ولا يرغبون في هذا الاسم بل يسمون العلي من الفراج.

١٤ - الفهد: ص ٧٠٧: الصواب: الفهدي.

١٥ - القصارا: ص ٧٢٦: ذكر أنهم من ذرية محمد بن حمد، والصحيح أنهم من ذرية محمد بن الحميدي بن حمد.

١٦ - الكُلِّيَّة: ص ٧٤١: منهم من يقيم في المنصورة من بلاد مصر.

١٧ - المديش: ص ٨٠١: منهم من يقيم في العراق وهو تركي بن عبد العزيز المديش وأبناؤه.

يعتبران من أوسع كتب الحديث النبوي الشريف، وأشملها، وقد قام الإمام محمد بن محمد بن سليمان الروداني المغربي ثم المكي المتوفي في دمشق سنة ١٠٩٤هـ بجمع الكتابين في كتاب واحد هو «جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد» يحوي أحاديث أربعة عشر كتاباً من كتب السنة هي: صحيحاً البخاري ومسلم وسنن الترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه، والموطأ لمالك، والمسند لأحمد وأبي يعلى والدارمي وأبي بكر البزار، ومعجم الطبراني الثلاثة.

وقد رتب الكتاب على أبواب الفقه، فبدأ بكتاب الإيمان ثم الاعتصام بالكتاب والسنة ثم كتاب العلم فكتاب الطهارة، واستمر بذكر الصلاة فالزكاة فالصوم فالحج إلى آخر أبواب الفقه، ثم الخلافة والإمارة فالجهاد فالسير والمغازي، فكتاب التفسير فتعبير الرؤيا فالطب فكتاب الآداب فالفضائل فالقصص فالأذكار والأدعية فالتوبة فكتاب القيامة وما يتعلق بها.

ووقع الكتاب في مجلدين (٥٠٣) + (٤٩٦) = ٩٩٩ صفحة كبيرة.

وقد قدم الكتاب الأستاذ الجليل إبراهيم أمين فودة - رئيس نادي أم القرى الأدبي - فأوضح في المقدمة أن هذا الكتاب يعتبر الحلقة الأولى من سلسلة كتب مختارة نحو المئة ستنتشر باسم (مكتبة الجامعة) وأشار في المقدمة إلى أن عدداً من الإخوان - سَمَّاهم - أسهموا بجمع مبالغ من المال بلغت خمس مئة ألف ريال للإنفاق على نشر تلك الكتب التي ستباع بأقل الأثمان، ويقوم الأستاذ إبراهيم باختيارها والإشراف على نشرها.

والحق يقال: إنَّ هذا العمل لا تقتصر أهميته وفائدته على النشر فحسب، بل لعل أهم من ذلك اختيار الكتب الصالحة للنشر، ولعل في البدء بنشر هذا الكتاب القيم الحاوي لجل ما في كتب السنة المطهرة من أقوال الرسول ﷺ وأفعاله ما يقوِّي الأمل بأن تكون المنشورات الأخرى على غرار هذا الكتاب من حيث القيمة العلمية المعنوية، في حسن الاختيار.

أما الملاحظات على طريقة نشر ذلك الكتاب فهي من الأمور التي لا أثر لها

بالنسبة لما لهذا المشروع من آثار نافعة متوخاة متى حقق الله إكماله.

■ معجم المطبوعات العربية - المملكة العربية السعودية :

تحدثت العرب - س ٢٠ ص ٧١٧ - عن صدور الجزء الأول من هذا الكتاب القيم، وسرُّ صاحبها بتلقي الجزء الثاني منه بعد كتابة ما تقدم، ومجال القول في هذا الكتاب ذو سعة، إلا القراء وقد وقع بين أيديهم سيجدون فيه ما يغني عن الحديث عنه، وهذا الجزء يقع في ٧٤٠ صفحة ويحوي من الأسماء من (عبد القادر) إلى آخر الحروف (يوسف الشيخ يعقوب)، ويحوي فيما يحوي تفصيلات وافية عما قامت الجهات الرسمية في الدولة من وزارات وإدارات وغيرها من أعمال في ميدان النشر، وفيه لمحات عن أعمال المطابع في هذا السبيل وبعض المؤسسات والنوادي.

ومجمل القول أن كتاب «معجم المطبوعات العربية - المملكة العربية السعودية» لأستاذنا المحقق الدكتور علي جواد الطاهر يعتبر من أوفى المراجع - بل هو أوفاهها حسب علمنا - في دراسة جميع جوانب الثقافة في هذه البلاد في خلال المدة التي خصص لها، ولإبراز آثار أدباء البلاد وعلمائه في خلالها أي منذ قيام الدولة السعودية الكريمة في دورها الأخير إلى سنة ١٣٩٠ (١٩٧٠م).

وقد دعى المؤلف في خاتمة كتابه وأوصى بأن لا يقف المعجم عند الحد الزمني حيث وقف، وهي وصية جديرة بأن يتلقاها الباحثون من أدباءنا بالاستجابة والقبول.

وقد علمت «العرب» بأن الأستاذ الدكتور علي جواد الطاهر قد يعمل فهرس مفصلة لما يحويه هذا الكتاب من أسماء الاعلام وأسماء الكتب وغيرها.

كما سيلحق بتلك الفهارس بياناً يحوي استدراكات وتصحيحات بما ورد فيه، مما يحتاج إلى استدراك أو تصحيح، ولهذا تأمل «العرب» بأن يُفضل القراء بإبداء ملاحظاتهم حول ذلك الكتاب وفي هذا خدمة لهذا الأثر الجليل الذي صرف أستاذنا الطاهر في سبيل تقديمه للقراء من الجهد ما لا يدركه إلا من عانى مثل ما

عاني، ثم نظر إلى أثر هذه المعاناة نظرة المقدر المنصف.

■ مجمل اللغة:

ونشر معهد المخطوطات العربية كتاب «مُجْمَلُ اللغة» تأليف أحمد بن فارس الرازي المتوفي سنة ٣٩٥ وهو من أهم المصادر اللغوية، ولمؤلفه ابن فارس لدى اللغويين منزلة عالية، وقد قام بتحقيق الكتاب الشيخ هادي حسن حمودي، أستاذ فقه اللغة بجامعة وهران في الجزائر، ووضع له مقدمة ضافية تبلغ ١٣٨ من الصفحات، تحدث فيها بإسهاب عن ترجمة المؤلف وعن منزلته في اللغة، ووصف كتابه وصفاً وافياً، وذكر المخطوطات التي عول عليها في التحقيق وأضاف إلى ذلك ما ازدانت به صفحات أجزاء الكتاب الخمسة التي شملت محتويات جميع الكتاب.

فالأول: من حرف الألف إلى حرف الجيم في ٤٩٢ صفحة.

والثاني: من حرف الحاء إلى آخر حرف الراء في ٤٨٨ صفحة.

والثالث: من حرف الزاي إلى حرف العين في ٥١٤ من الصفحات.

والرابع: من حرف الغين إلى حرف الياء في ٥٧٦ صفحة.

أما الجزء الخامس: فيحوي الفهارس المفصلة للآيات القرآنية وللحديث النبوي، وللشواهد الشعرية، وللأمثال، وللأعلام والامكنة والبقاع، ثم المصادر والمراجع، ويقع هذا الجزء في ٢٤٢ صفحة.

وقد طبع الكتاب طباعة جيدة من حيث الورق والحرف في مطبعة (الفيصل الإسلامية) في الكويت سنة ١٤٠٥/١٩٨٥.

■ التبصرة في القراءات:

وصدر عن معهد المخطوطات العربية في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كتاب «التَّبْصِرَةُ في القراءات» تأليف مكّي بن أبي طالب القيسي المتوفي سنة ٤٣٧ وهو من مشاهير علماء القراءات ويعتبر كتابه من المراجع المهمة في موضوعه، وقد حقق الكتاب الدكتور محيي الدين رمضان، وصدر في مجلد بلغت صفحاته ٤٥٤ بطباعة حسنة، ولم يذكر مكان الطبع ولعله في الكويت.

وأفرغ الأستاذ الجليل الباحث المحقق أبو تراب الظاهري قدراً كبيراً من جهده في جمع ما يتعلق بسرايا رسول الله ﷺ من النصوص التاريخية والأخبار، مما يجد فيه الباحثون بغيتهم في معرفة ما يتعلق بتلك السرايا بدون الرجوع إلى مراجعة أمهات كتب السير والتاريخ، كما قال الأستاذ الجليل الشيخ علي الطنطاوي: (لو لم يكن في هذا الكتاب إلا أنه جمع لك بين دفتيه في مجلدات خزانة كاملة فقربه إليك ووضعه بين يديك، لكفاه... وإنه لجهد كبير). وكنت أتمنى لو أن الأستاذ الجليل أبا تراب وضع للكتاب مصوراً جغرافياً لتحديد مواقع الغزوات، وجلها إن لم يكن كلها مما عرف موضعه في بلادنا لدى المهتمين بالدراسات الجغرافية، ولكنه - بالنسبة للباحثين من غيرهم - بحاجة إلى تحديد وإيضاح، وعلى كل حال فما بذله الأستاذ عمل جليل، جدير بالشكر والتقدير.

وقد صدر هذا الكتاب في ٥٥٠ صفحة بطباعة حسنة بمطابع دار البلاد في جدة، وصدرت طبعته الأولى سنة ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) وقامت بنشره «تهامة» التي أثرت المكتبة العربية بالكثير الجيد من مؤلفات أبناء هذه البلاد.

■ تاريخ مدينة دمشق - ترجمة عثمان بن عفان:

وهذا التاريخ المعروف أيضاً باسم «تاريخ ابن عسكر» ليس خاصاً بمدينة دمشق، ولكنه تاريخ عام شامل لكل من دخل تلك المدينة أو كما قال مؤلفه: (من حلها أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها).

وقد كانت دمشق قاعدة الخلافة كما هو معروف، فقل أن لا تكون مقصداً لجميع المشاهير في ذلك الزمن. وقد صدر من هذا التاريخ مجلدات لم يراع في نشرها ترتيب مؤلفها، وكان من آخر ما صدر بعد المجلد الخاص بالنساء - العرب س ١٩ ص ٧١٦ - مجلد يحوي ترجمة الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بتحقيق الأستاذة سكيئة الشهابي.

وهذا الجزء من أشمل المؤلفات في ترجمة الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ويقع مع فهارسه في نحو (٦٣٠) صفحة من القطع الكبير، بدون

المقدمة التي تقع في (٢٤) صفحة.

وجهد المحققة الفاضلة يبرز في كل صفحة من صفحات الكتاب، وفي فهارسه التي تزداد كمالاً وفائدة لو شملت جميع الأسماء وخصّص فيها مكان لأسماء المواضع، ولكن المحققة الكريمة لم تفهرس من الأسماء سوى أسماء شيوخ ابن عساكر وأسماء رجال السماع.

وقد صدر الكتاب في سنة ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م).

■ ديوان حسين عرب:

وصدرت «المجموعة الكاملة» - من شعر الشاعر الأستاذ حسين عرب (انظر «العرب» س ٦ ص ٣٦٢) مقدماً بدراسة شاملة للأستاذ الدكتور عبدالله بن محمد الغدّامي تقع في ٣٥ صفحة. جاء فيها: (حسين عرب يمثل الأديب السعودي بل صفاته المتميزة إيجاباً وسلباً، فهو شاعر متمكن، وأديب صافي الجذور، وقويها، وهو رجل ملتزم فنياً وخلقياً، فقضيته هي (العربية) لغة وأمة وتراثاً وحضارة، وهي له مستقبل مشرق، ووعد مأمول، مهما تكالبت عليه الكوارث، والمحن، وهذه صفة تكاد تكون غامة لدى شعرائنا، ولكن حسين عرب يمثلها في شعره في ديوانه خير تمثيل، وأصدق تمثيل).

وقد رتب الديوان في ثمانية أبواب:

- ١ - إيمان: ويحوي ٧ قصائد تعبر عن تأثر ديني عميق.
- ٢ - أوطان: ويحوي قصيدتين إحداهما تحية للملك عبد العزيز في ذكره الخمسينية، والثانية في الملك فيصل بمناسبة قدومه من أمريكا وأوروبا سنة ١٣٨٧هـ.

- ثم قصائد عن جبل النور وأم القرى والمدينة المنورة وعكاظ والرياض.
- ٣ - الوطن العربي: والشعر في هذا القسم يتعلق بالجامعة العربية - وسورية ولبنان - والجلاء عن مصر والسودان - ومصر - وقناة السويس.

- ٤ - ثنائي قصائد تتعلق بفلسطين.

٥ - ثم مجموعة من الأناشيد كنشيد العلم، ونشيد الطيران، ونشيد الملك، ونشيد أمة العرب، إلى آخر الأناشيد وهي اثني عشر.
تلك محتويات الجزء الأول، ويحوي الجزء الثاني:

٦ - أشجان: وهي قصائد متنوعة منها: قال الصديق، والعام الجديد، وآلام قلب، والعباءة والعقال، والنفس المغتربة، وثورة اليأس، إلى آخر تلك الأشجان.

٧ - ألحان: ١٤ قصيدة تعبر عن عواطف مختلفة منها: زفرة البين، والحب الضائع، والقلب المحزون، وظبية الردف، ولهب النفس، والشاعر والشاعرة، وغيرها.

٨ - ثم ألوان: ١٩ قصيدة في موضوعات مختلفة منها: المعهد العلمي، وأشبال الكنانة، ورهين المحبين، والدكتور طه حسين، والشعر الحر، ونداء الروح، وغيرها.

أما طباعة الديوان فحدث عن حسنها ولا حرج، جودة ورق، ووضوح حروف، وأناقة رسوم.

وصدر هذا العام (بدون ذكر تاريخ الطبع، في جزئين بلغت صفحاتها: ٢١٦+٣٠٤=٥٢٠ عن (شركة مكة للطباعة والنشر) في مكة المكرمة.

■ شعر إبراهيم أمين فودة:

ليس الأستاذ إبراهيم أمين فودة بحاجة إلى التعريف، فهو من أبرز أدباء المملكة وشعرائها («العرب» س ٥ ص ٦٧٩) وهو رئيس نادي مكة الثقافي الأدبي، رئاسة بانتخابٍ لثلاث دورات متتالية منذ تأسيس النادي حتى الآن.
وقد صدر له:

١ - حديث إلى المعلمين.

٢ - المهمة الصعبة

٣ - الرياضة والهدف

٤ - الشاعر المحسن.

وهي رسائل موجزة تحوي آراء على جانب من العمق والأصالة.
ثم صدر للأستاذ إبراهيم مجموعة شعر في خمسة دواوين، هي:

١ - مطلع الفجر:

وكان قد طبع سنة ١٣٦٩هـ ولكنه لم يوزع لظروف خاصة، وقد قدم هذا الجزء الأستاذان محمد حسن فقي ومحمد حسن عواد - رحمه الله - وهو مقسم إلى ثمانية أقسام:

- | | |
|----------------------|----------------------|
| ١ - في معترك الحياة. | ٥ - من منظار أسود. |
| ٢ - مجال قلب. | ٦ - شعر معقول. |
| ٣ - من نشيد الطبيعة. | ٧ - مع الرفيق الأعلى |
| ٤ - صدى النفس. | ٨ - مسك الختام. |

ويقع هذا الديوان في ٢٦٢ صفحة.

٢ - مجالات وأعماق:

وهذا هو الديوان الثاني للأستاذ إبراهيم، كتب مقدمته الأستاذ الشاعر ضياء الدين رجب - رحمه الله - .
ويحوي قصائد متنوعة للمناسبات فيها مكان بارز، وللإخوانيات والشؤون الخاصة.

ويقع في ٣١٣ صفحة.

٣ - صورة وتجارب:

وهذا القسم أحفل أقسام الديوان بالحكم، وألصقها وأعمقها بالتفكير المتاني، فجعل ما فيه صادر عن أثر تجارب وطول معاناة لما لهذه الحياة من أحوال متغيرة.
ويقع هذا القسم في ٢٦٦ صفحة.

٤ - حياة وقلب:

افتتح بجملته: (اهداؤه إلى الحب في معناه، أهدي ترنيمة حب).

ولا يكاد يتجاوز محتوى هذا الديوان ما خصص له وافتتح به من قول الشاعر:
الشعر الحان ومو سيقى يؤلفها شعور مستهام
فهو يصور جوانب عاطفية.
ويقع في ٣٣١ صفحة.

٥ - تسبيح وصلاة:

جل ما يحويه هذا القسم من شعر الأستاذ إبراهيم يتعلق بالحياة الروحية، ففيه مقطوعات كثيرة بعنوان: نجوى السماء، وأخرى بعنوان: في رحاب النبي ﷺ.
ثم تأتي المراثي وهي سبع عشرة قصيدة (أو مقطوعة). ثم قصائد اختار لها الشاعر عنوان: (زفرات) وهي تعبر في مجموعها عن حالات نفسية، منها: جنى العمر - لحظة ضعف - نجوى نفس - جراح وضهاد - غربة - تزويج البنات - سخرية الزمن - السبيل الوعر - مدارات - في لحظة صمت - وختمها بمقطوعتي: أرجو لقاء الله! - وتصميم.

ويقع هذا القسم في ٣٢٣ صفحة.
هذه الأقسام الخمسة من شعر الأستاذ إبراهيم، صدرت عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) وطباعتها حسنة ولم يذكر اسم المطبعة.

■ معجم أسماء النباتات في منطقة جازان:

هذا الكتاب طريف في موضوعه، فقد حاول صديقنا الأستاذ المؤرخ محمد بن أحمل العقيلي أن يضع معجماً يحوي أسماء النبات وتحلية كل ما يعرفه من أنواعه حين اقترح عليه ذلك الأستاذ حمد بن محمد العبيدي المتوفى سنة ١٣٩٢هـ - رحمه الله - فوضع لبنات قوية في أساس ذلك البناء في هذا العهد، حين نشر كتاب «معجم أسماء النباتات في منطقة جازان» الذي تبلغ صفحاته ١٦٨ من القطع الصغير، ولم يكتف بما أورده من أسماء النبات مرتباً على حروف المعجم بضبط الاسم ووصف النوع، وإيراد اسمه باللغة اللاتينية، بل أضاف إلى ذلك صوراً لبعض النباتات.

وقد يلاحظ بعض القراء الاختلاف في التسمية بل في الوصف كما يلاحظ ورود أسماء بعض النبات التي قد يستغرب وجودها في تهامة من أشجار العضاة وغيرها وكذا العرفج. مما قل أن ينبت في غير بلاد نجد ومهما يكن الأمر فإن الأستاذ العقيلي قدم للقراء ثمرة دراسة نافعة.

وقد صدر الكتاب في العام الماضي (١٤٠٥هـ) بمطابع (دار البلاد) في جدة.

□ تاريخ ينبع:

ويتابع ابننا الكريم الأستاذ عبد الكريم بن محمود الخطيب الينبعي البحث والتنقيب عن كل ما يتعلق ببلادنا الحبيبة بلاد ينبع من نصوص وأخبار في كتب المتقدمين والمتأخرين فيسجلها، ثم ينشرها في كتاب صدر حديثاً باسم «تاريخ ينبع»، حوى مباحث متنوعة عن هذه البلاد في فصول خمسة:

- ١ - الأول: عن تاريخ ينبع.
- ٢ - الثاني: عن الحياة العامة.
- ٣ - الثالث: عن الحسين في ينبع.
- ٤ - الرابع: عن تاريخ ينبع السياسي.
- ٥ - الخامس: ينبع في كتب الرحلات.

وقد رجع فيما جمع إلى نحو خمسين كتاباً، سرد أسماءها في آخر كتابه الذي زينه بعدد من الصور. ويقع هذا الكتاب في ٣١٢ صفحة، وقد صدر عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م).

وقد علمت «العرب» من المؤلف الكريم أنه لا يزال يواصل أبحاثه ودراساته ليضيف إلى هذا الكتاب كل ما يعثر عليه مما يتعلق بموضوعه، وهذا جهد لا شك أنه جدير بالتقدير، وبالأمل بأن يبلغ صاحبه إلى نتائج طيبة لكي يصبح كتابه مرجعاً من يُعنى بدراسة هذا الجزء الحبيب من بلادنا الكريمة.

فهارس السنة العشرون

١ - الكتاب والمعلقون	٢ - الموضوعات العامة
٣ - الأعلام	٤ - الأسر والقبائل والجماعات
٥ - الكتب والصحف والمجلات	٦ - المواضع

أولاً : الكتاب والمعلقون والمؤلفون

٥٧٣ فهد بن محمد الربيعان	٤١٠ إبراهيم السامرائي (د)
٦٩٩ ماجد بن طاهر المطيري	٧١٥ إبراهيم بن عبد الرحمن الصعنواني
٨٥١ محمد أديب السلاوي	٥٥٥ إدريس بن الحسن العلمي
٨٤٤ محمد بن سعد الحميدي	١٢٤/٩٤/٨٧/٤٦/٢٧ حمد الجاسر
٨١٠ محمد سعيد المسلم	٥١١/٥٠٢/٤٨٥/٤٥٧/٣٨٦/٢٩٢
٢٣٠ محمد سليمان السديس (د)	٨٣٧/٨٣٣/٧٣٥/٧١٠/٦٩٠/٦٨٢/٦٤٦/٦٢٧
٦٧٦/٦٥٢ محمد بن عبدالعزيز الدباغ	٨٥٥ حمسود بن عبدالعزيز القصير
٥٩١/٣٦ محمد عبده يمان (د)	٧٠٠ راشد بن حمدان بن راشد الأحيوي
٥٧١ محمد بن علي الحثريشي	٨٥١ سليمان بن عبدالله النقيير
٢٨٠/١١٩ محمد بن موسى الحازمي	١٣٩ عبد الله بن سعيد الصفار
٨٤٤/٦٩٠/٥٤٩/٤١٤	٦٠ عبدالله بن سليمان بن منيع
٤٢٣ مروان العطية	٥٤ عبدالله بن عبد الرحمن الجاسر
٤٨ ناصر بن حمد الراشد	٧٥٣ عبدالله محمد الحبشي
٨٥٢ يحيى خيري	٧٦٢ عبدالله بن محمد أبوداهش (د)
٦٣١/٤٨٦ يحيى الخشاب (د)	عطاالله بن ضيف الله
٨١٩ يحيى محمود ساعاتي (د)	٧١٥/١٣٧ الرشيد
٤١٣/١٢١ يوسف شلحد (د)	٣٧١/١١ علي جواد الطاهر (د)
٦٩٦/٥٢٧	٥٧٤ علي بن عبدالله الدفاع (د)

ثانياً : الموضوعات العامة

الأعراف اليمنية وصلتها بالقضاء	٧٣٧ ابن حجر العسقلاني في اليمن
٥١٢/٤١١ القبلي	٨٤٨ أسرتا النقيير والأطرم من المشاعيب
١٢ أغاليط الدكتور الصليبي الجغرافية	٤٠٣ أشعار الخليل الحسين بن الضحاك

٧١٦ آل سلطان من الحرقان من عبدة
 الشعر العربي القديم في
 ٢٧٧ المؤلفات اليمنية
 شهاب الدين عمر الجازاني كاتب
 ٨٥٢ مغفور من جازان
 ٧١٥ الصعائين من الموهة من مطير
 ١٤٠ العامر في القصص
 ١٤٢ عبدالرحمن بن سعدي : نسبه
 العرب في عامها العشرين ١
 عرفات : حدودها الشرعية ٤٧
 علي جواد الطاهر و«معجم المطبوعات» ٨١١
 علي بن موسى مؤلف رسالة «وصف المدينة» ... ٨٥١
 غرائب التنبيهات على
 عجائب التشبيهات ٩٤
 فضائل أم القرى حقائق ثابتة: (حول مساجد
 مكة المكرمة)
 القبة لا (القيصة) من حرب ٧١٧
 كشف الحجب والستور عما وقع لأهل
 المدينة مع أمير مكة سرور ٤٣٣
 ٧٦٧/٥٩١
 ما اتفق لفظه واختلف مسماه من
 أسماء المواضع ٥٤٩/٤١٤/٢٨٠/١١٩
 ٨٤٤/٦٩٠
 مساجد مكة المكرمة: (حول مساجد مكة)
 ٧٠٠ المساعد من بني عقبة
 المضاربة : سكان أبانين ٧١٠
 المطابع في المملكة ٣٥٨
 مطير : فروعها وأفخاذها ٦٩٣
 مع القراء في أسلتهم وتعليقاتهم ١٣٨
 ٨٤٨/٧١٥/٥٧٢/٤١٩
 مع «المعجم الوسيط» في طبعته الثانية ٥٥٣
 المعجم الجغرافي للمنطقة
 الشرقية ٨٢٠/٦٣٢/٥٣٨/٢٧٢/٧٠
 مقنا البلدة الأثرية والأغلاط حولها ٨١

أنيف النبهاني .. لا النهشلي ٤١٩
 (لوه) هل الكلمة عربية؟ ١٤٠
 بلاد هذيل ٥٥٥
 البلدانيات الحديثة من مصادر
 الدراسات الجغرافية ٧٢١
 بل ولد في مكة ^{مكة} ٢٨
 تاريخ المدينة المنورة لعمر
 ابن شبة النميري ٦٨٣/٤٥٨/٣٧٢
 التبيين في أنساب القرشيين ٨٨
 التراين من بني عطية من جذام ١٤١
 حباشة : أشهر أسواق تهامة قديماً ٢٨٩
 الحجون : مرة أخرى ٨٣٤
 الحمادا والمريزيق من بني وائل ٨٥٢
 الحمدة : من فروع ثقيف ٨٣٨
 حول مساجد مكة المكرمة :
 (فضائل أم القرى حقائق ثابتة) ٦٤١
 حول المعجم الكبير ٥٠٢
 حول المولد .. مرة أخرى ٣٧
 حياتنا الأدبية الحديثة من خلال دراسة
 مظاهرها ٢٩٤/١٤٥
 الحيوانات في بلاد الرولة ٢٣٠
 الدفاع من آل عويد ٥٧٤
 دور النشر في المملكة ٣٥٥
 آل ربيعان من العربيات ٥٧٢
 رحلة فتح الله الصائغ إلى البادية ٧٧٥
 رحلة ناصر خسرو بين جامعتي
 القاهرة والرياض ٦٠٩/٤٨٦
 رحلة ناصر خسرو - ترجمة
 الدكتور البدلي ٦٢٨
 رحلة الوزير الإسحاق إلى الحج ... ٣٨٧٢٦٤/١٠٨
 ٦٤٧/٥٢٨
 بنو رشيد : فروعها وبلادها ١٢٥
 رمح الجميلات في فرسهم ٤٢٤

٦٥٠ إلى الحجاز
 ٥٧ نعم ولد علي في مكة المكرمة
 ٧٩٨ نقد وتعليق: المعجم الجغرافي
 ٥٥٥ هذيل : أوديتها وجبالها وقراها

مكتبة العرب ٥٧٥/٤٢٩/٢٨٦/١٤٣
 ٨٥٥/٧١٧
 موقف أدباء الجزيرة من الحملة
 الفرنسية على مصر ٧٥٤
 نصوص وهوامش: رحلة الوزير الشرقي الإسحاقى

ثالثاً : الأعلام

أحمد شوقي ٢٠٦
 أحمد الصالح ١٨٠/١٧٨
 أحمد عبد الجبار ٣٢٢
 أحمد عبد الغفور عطار ٢٠٨/١٨٤
 ٣٢٨/٢٢٧/٢٢٢
 أحمد العربي ٣١٦/١٦٢/١٥٢
 أحمد علي ٣١٩
 أحمد فرح عسيلان ١٧٥
 أحمد فقيه ١٧٨
 أحمد قنديل ٣١٨/١٦٧/١٦٢
 أحمد محمد جمال ٣٢٨
 أحمد محمد الضبيب (د) ١٤٧
 ٣١١/٢٢٩/١٦٤
 أحمد بن محمد المنقور ١٥٢
 أحمد محمود مبارك ١٨٢
 أحمد الملا ١٧٩
 أدونيس ١٧٠
 أسامة عبد الرحمن ١٧٠
 أسعد سليمان عبده (د) ٤٣١
 اعتدال عطوي ٢١٤
 ألويس موزل ٢٨٣/٢٦٢/٢٣٠
 أمجاد محمود رضا ١٩٣
 أمل محمد شطا (د) ٢٠٤
 أميرة علي المدلح ٣٢٣

آمال حمزة مرزوقي ٣٣٥
 ابتسام جفري ٢٩٩
 إبراهيم أنيس ١٧٣
 إبراهيم الشورى ١٥٣
 إبراهيم عبد القادر المازني ٣٠٦
 إبراهيم فودة ٨٦١/٢٠٩
 إبراهيم فوزان الفوزان ١٥٧
 إبراهيم الناصر ١٩٦
 إبراهيم هاشم فلالي ٣٠٧/١٨٤/١٦٧
 أبو تراب الظاهري ٢٢٢
 أبو جهيم بن الحارث ٢٨٣
 أبو عبد الرحمن بن عقيل ٢١٨/١٩١/١٨٨
 ٣٣٢/٣٢٢/٢٩٦
 أبو البركات بن الأنباري ٣١٢
 أبو علي الفارسي ٣١١
 أبو فيد مؤرج بن عمر السدوسي ٣١١
 أحمد إبراهيم الغزاوي ١٦٢/١٥٢
 أحمد خالد البدلي (د) ٤٨٦/٢٢٩
 أحمد رضا حوحو ٢٢٧
 أحمد بن أبي رياش القيسي ٣١٣
 أحمد زكي كمال (د) ١٦٤
 أحمد سباعي ١٦٨/١٦٢/١٦١/١٥٢
 ٢٠٧/١٨٣/١٨٢
 ٣٢٧/٣١٨/٣١٧/٢٢٤/٢١٩
 ٣٤٩

٢١٥ حسن سراج
 ٣١١/٢٢٢ حسن شاذلي فرهود
 ٢٢٤/٢٢٣ حسن آل الشيخ
 ٢٠٩/١٧٠/١٦٩ حسن عبدالله القرشي
 ٣١٢ حسن محمد باجودة (د)
 ٣١٩ حسن محمد كتيبي
 ٣١٩ حسن نصيف (د)
 ٣٢٨ حسين باسلامة
 ٣١٧ حسين خزنندار
 ٣٢٢/٣١٦/٢٠٧/١٦٢ حسين سراج
 ١٧٠/١٦٧/١٦٢ حسين سرحان
 ٣٠٨/٣٠٧/١٨٥
 ٣٠٧/١٧٠ حسين عرب
 ٢١٩ حسين عبدالله محضر
 ١٩٨/١٩٧ حسين علي حسين
 ٣١٣ الحسين بن علي النمرى
 ٣٢٨ حسين محمد نصيف
 ١٩٧ حسين هاشم سالم
 ٢٠٥ حصبة التويجري
 ١٩٣ حصبة محمد صالح الشبل
 ٢٢٤/٢٢٢/٢٢١/١٧٤/٢ حمد الجاسر
 ٣٥٣/٣٤٥/٣٣٠/٣٢٩/٣٢٠/٣٠٠
 ٣١٦/١٥٢ حمد الحجوي
 ١٩٧ حمزة أبو الفرج
 ٢٢٨ حمزة بوقري
 ١٦٧/١٦٦/١٦٢/١٥٢ حمزة شحاته
 ٣٢٠/٣١٤/١٦٨
 ٣٠٣ حمود البدر (د)
 ١٩٣ حياة عبدالحميد عنبر
 ٢١٧ خالد الفرج
 ١٧٨ خديجة العمري
 ٣٠٣/١٩٧ خليل إبراهيم الفزيع
 ٣٢٨ خير الدين الزركلي

١٩٣ أميمة عبدالله الخميس
 ١٨١ أميمة خوجة
 ١٦٨ أمين الريحاني
 ١٩٧ أمين سالم رويحي
 ١٩٧ أمين عبدالحميد
 ١٦٢ أمين بن عقيل
 ٣٢٩/٣٢٨ أمين مدني
 ١٧٠ أنس عثمان
 ٤٢١ أنيف بن حكيم الطائي النبهاني
 ٤١٩ أنيف بن زبان النهشلي
 ١٩٣ إيمان الدباغ
 ١٦٩ بدر شاكر السياب
 ١٦٤/١٥٨ بكري شيخ أمين
 ٢٨٦ بوركهارت
 ٢٨٧ بهاء الدين عبدالوهاب عبدالرحمن
 ١٩٣ بهية بومبييت
 ٢٨٨ تأبط شرا: (ثابت بن جابر)
 ٥٣١ تاج الدين بن عارف المنوفي
 ٣٣٣ ثريا حافظ عرفة
 ١٨١ ثريا قابل
 ١٩٧/١٧٨ جار الله الحميد
 ١٦٨ جبران خليل جبران
 ٢٠٥/١٩٣ جميلة فطاني
 ٢٠٥ جواهر عبدالله العسوس
 ٢٢٧ جوجول
 ١٨١ الجوهرة العلي: (ريم الصحراء)
 ٢٠٥ جوهرة المزيد
 ١٧٦ حاتم الصكر
 ٣٢٨ حافظ وهبه
 ٣١٦/١٩٦ حامد دمنهوري
 ٣١٧/١٦٢/١٦١ حامد كعكي
 ١٩٧ حجاب يحيى الحازمي
 ٣٤١ حسن جمال الريكي

٢٢١ صالح محمد العمرو
 ٢١٣ صفية بن زقر
 ١٧٠ صلاح عبد الصبور
 ٣٠٧ ضياء الدين رجب
 ٢٢٧ طاغسور
 ٣٠٢/١٧٠/١٦٩ طاهر زمخشري
 ١٩٨ طاهر عوض سالم
 ٣٠٦ طه حسين (د)
 ٥٠٦ طهفة بن أبي زهير النهدي
 ٢٣٥ ظلال محمد رضا (د)
 ٢٣٥/١٩٣ عابدية إسماعيل خياط
 ١٩٧ عاشق عيسى الهذال
 ٢٠٤ عائشة زاهر أحمد
 ٢٣٥ عباس طالع طاشكندي
 ١٧٨ عبد الإله البابطين
 ٢١٦/١٦٢ عبدالحق نقشبندى
 ٢١٣ عبدالحليم رضوى (د)
 ٢١٧/١٦٢ عبد الحميد عنبر
 ٢١٣ عبد الحميد المعيني
 ٢١٤ عبد الرحمن بن إبراهيم الحفظي
 ٢٣٠ عبد الرحمن الأنصاري (د)
 ١٤٢ عبد الرحمن بن سعدي
 ١٩٦ عبد الرحمن الشاعر
 ٢٥٠ عبد الرحمن الشامخ
 ١٦٨ عبد الرحمن شكري
 ٢٤٢ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ
 ١٦٣ عبد الرحمن العبيد
 ١٩٨ عبد الرحمن العتيق
 ٢٢٨ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
 ٢٠١/٢٢٧ عبد الرحمن المعمر
 ١٥٩/١٥٧ عبد الرحيم أبو بكر
 ٢٠٥/١٦٢ عبد السلام طاهر الساسي
 ٢١٧/١٦٢ عبد السلام عمر
 ٢٠٩ عبد السلام هاشم حافظ

٢٠٣/١٩٢ خيرية إبراهيم السقاف
 ٢١٤ دينار رشدي
 ٢٢٢ راشد الخلاوي
 ١٨٧ رجاء النقاش
 ٢٠٥/١٩٣ رقية الشيب
 ٢٩٩ ريم الجرف
 ريم الصحراء: (الجوهرة العلمي)
 ١٧٠ زاهر عواض الألمعي
 ٢٨٩ الزبير بن بكار الزيري
 ٢٨٢ الزبير بن العوام
 ٢٠٦ زكي مبارك
 ٢٨٩ زيد بن حارثة
 ٥٣١ زين العابدين بن سعيد المنوفي
 ١٨١ سارة سليمان أبو حميد
 ٢٠٩/٢٠٠/١٨٧ سباعي عثمان
 ٤٤٦ سرور أمير مكة المكرمة
 ٢٩٩ سعاد عبدالعزيز المانع
 ١٨٤/١٦٩ سعد البواردي
 ١٨٠/١٧٨ سعد الحميد
 ٢١٣ سعد بن عبدالعزيز الرويشد
 ٢١٨ سعد بن عبدالله بن جنيد
 ٢٢٠/١٨١ سلطانة عبدالعزيز السديري
 ٢١٤ سلمى الكثيري
 ١٩٧ سليمان الحماد
 ٣٤٤ سليمان بن عبد الوهاب
 ١٩٢ سميرة أحمد لاري
 ٢٣٦/٢٠٢/٢٠٣/٢٠٢ سميرة خاشقجي
 ١٩٣ سهيلة زين العابدين
 ١٥٢ سيف الدين عاشور
 ٢٠٥/١٩٣ شريفة الشمالان
 ٨٥٢ شهاب الدين عمر الجازاني
 ١٩٣ شيرين حمزة شحاتة
 ١٧٨ صالح الاشقر
 ١٩٧ صالح سالم باقارش
 ١٨٠ صالح الشهوان

عبدالله بن خميس ٢٢٢/٢١٧/١٧٠
 ٤٢٤/٣٣١/٣٢١/٣٠٩/٢٢٦
 عبدالله الخيزي ١٦٩
 عبدالله الدفاع ٢٢٢
 عبدالله بن ردا ٢٢٠
 عبدالله الزيد ١٧٨
 عبدالله السالمي ١٩٧
 عبدالله سعيد جمعان ١٩٧
 عبدالله السكندراني الضير ٥٣١
 عبدالله الصالح العثيمين (د) ٣٣٠/٢٨٦
 عبدالله الصبيخان ١٨٠/١٧٩
 عبدالله عبد الجبار ٢٠٨/١٥٧
 عبدالله عبدالرحمن جفري ١٨٧
 عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣٤٣
 عبدالله عبدالرحمن العتيق ١٩٧
 عبدالله عبدالرحيم عيلان (د) ٤٣٣/ ٣١٢
 عبدالله عبدالكريم الخطيب ٣٠٦/٢٠٨
 عبدالله عبدالوهاب ١٦٩
 عبدالله عقيل العنقاوي ٣٣١
 عبدالله علي الزيدان ٢٦٢
 عبدالله بن علي القصيمي ٣٢٤
 عبدالله علي آل مبارك ١٦٣/١٥٧
 عبدالله عمر بلخير ٣١٦
 عبدالله فدا ٣١٧/١٦١
 عبدالله الفيصل (الأمير) ١٧٠
 عبدالله بن محمد أبو داهش ١٦٣
 عبدالله بن محمد بن حميد ٣٤٢
 عبدالله مرداد أبو الخير ٣٣٦
 عبدالله مناع ١٨٥
 عبدالله الناصر الوهبي (د) ٣٣١
 عبدالله نور ٣٠٩
 عبدالله بن يحيى الراعظ ٥٣١

عبدالعزیز أحمد ساب ١٩٨
 عبدالعزیز الأحيدب ٢١٨
 عبدالعزیز الخويطر (د) ٣٣٠/١٨٦/١٥٢
 عبدالعزیز الربيع ٣١٨/٢١٠
 عبدالعزیز الرفاعي ٣٢٨/٣٠١/٢٢٢/١٥٥
 عبد العزيز سعد العجلان ١٧٨
 عبدالعزیز صالح مشري ١٩٧
 عبدالعزیز آل سعود (الملك) ٢٠٧
 عبدالعزیز بن عبدالله بن باز ٣٤٥
 عبدالعزیز عبدالله الفدا ٢٢٩
 عبدالعزیز محمد الفيصل ٣١٢
 عبد العزيز مؤمنة ١٨٥/١٥٢
 عبدالعزیز بن ناصر المانع (د) ٢٨٧
 عبدالعزیز الهزاع ٢٠٩
 عبدالفتاح أبو مدين ٣٠٧
 عبدالقادر عثمان ٣١٦/١٦١
 عبدالقدوس الأنصاري ١٦٨/١٦٧/١٦٢
 ٣٥٣/٣٣١/٣٢٨/٣١٧/٣٠٠/٢٢٢/٢٢١/١٨٢
 عبدالكريم الجهيمان ٢١٩
 عبدالكريم بن حمد الحقييل ١٩٤
 عبدالكريم عودة ١٧٨
 عبدالكريم البرزنجي: (المظلوم) ٤٣٦
 عبداللطيف النشار ٣٠٥
 عبدالله بن إدريس ١٧٠/١٦٥
 عبدالله ياخشوين ١٩٨
 عبدالله البسام ١٥٣
 عبدالله بوقس ٢١٥
 عبدالله جبر ١٧٠
 عبدالله الحامد (د) ٣١٤/١٦٣/١٥٧
 عبدالله الحصين ١٨٧
 عبدالله الحقييل ٣١٩
 عبدالله الحميد ١٧٠
 عبدالله خالد الحاتم ٢١٧

غزوة بدير ٤٣٠
 فائنة امين شاكر (د) ٣٠٢/١٩٣
 فاطمة المنديلي ٢٩٤
 فائز عبدالمجيد ١٩٧
 فتحية عمر حلواني ٣٣٥
 فؤاد حمزة ٣٢٨
 فؤاد الخطيب ٢٠٧/٢٠٦
 فؤاد شاكر ٣٢٨
 فؤاد عبدالحميد عنقاوي ١٩٨
 فوزية البكر ٢٠٥/١٩٣
 فوزية حسين مطر ٣٣٣
 فوزية ابو خالد ١٩٣/١٧٨
 فوزية عبداللطيف ٢١٤
 فوزية العريفي ١٩٣
 فهد الرشيد ٢١٨
 قماشة الجابر ٢٠٥
 قماشة السيف ١٩٣
 كعب الأحبار ٥٠٥
 كعب بن زهير ٣١٢
 لطيفة ابراهيم السالم ٢٠٥
 لقمان يونس ١٩٧
 ليلي عبدالرشيد عطار ٣٣٥
 ماجد الحسيني ١٧٠
 مائسة محمد حامد الافندي ٣٣٥
 محمد ابراهيم جدع ١٧٠
 محمد بن ابراهيم آل الشيخ ٣٣٩
 محمد بن احمد طباطبا العلوي ٢٨٧
 محمد بن أحمد العقيلي ٣١٧/٢٢٠
 محمد بن أحمد عقيلة المكي ٥٣٠
 محمد اسماعيل الصيني ٢٢٢
 محمد البياري ٣١٧/١٦١
 محمد الثبيتي ١٨٠/١٧٩/١٧٧
 محمد جبر الحربي ١٨٠/١٧٩/١٧٧
 محمد جميل حسن ٣١٧/١٦١

عبدالوهاب آشي ٣١/٣١٥/٣٠٥/١٦١/١٥٢
 عبدالوهاب علي الحكمي (د) ٢٩٥
 عبدالوهاب النشار ٣١٧/٣١٦
 عبدالهادي محسن الفضلي ٣٦٧
 عبيد مدني ٣١٦/١٥٢
 عثمان بن سيار ١٦٩
 عثمان قاضي ٣١٧/١٦١
 عزيز ضياء /٢٢٢/١٨٥/١٦٨/١٦٢/١٥٢
 عدنان الخطيب (د) ٣٢٢/٣١٧/٣٠٥/٢٩٦/٢٢٨/٢٢٤
 عزت عبدالمجيد خطاب (د) ٥٥٣
 عزة فؤاد شاكر ٢٩٤/٢٢٢
 عصام خوقير ١٨٢
 علاءالدين اغا ٢١٥
 علوي طه الصافي ٣١٢
 علي أحمد باكثير ٣٠١/١٩٨
 علي جواد الطاهر (د) ١٦٨
 علي حافظ ١٤٥
 علي الدميني ٣٣٤/١٦٢
 علي ذو الفقار شاكر ١٧٨
 علي بن عبدالعزيز الخضير (د) ٢٨٨
 علي علي مصطفى (د) ٢٩٨
 علي محمد حسون ١٦٤
 علي بن موسى مؤلف رسالة ١٩٨/١٩٧
 «وصف المدينة» ٨٥١
 عمر باعلوي البار الحسيني ٥٢٨
 عمر صيرفي ٣١٧/١٦٢
 عمر عبد الجبار ٣٢٨
 عمر بن محمد سليمان القطان ٣١٣
 عواطف فيصل ياري ٣٣٥
 عهود الشبل ٢٠٥
 غازي القصيبي (د) ١٧٠/١٦٩
 غالب حمزة ابو الفرج ٢١٤

١٦٨ محمد عالم الافغاني
 ٣١٦/١٦٩/١٥٢ محمد العامر الرميح
 ١٥٨/١٥٧ محمد عبدالرحمن الشامخ
 ٣٦٥/٣٣٤/٢٢٩
 ٣٢٠ محمد بن عبدالله بن بليهد
 ٣٤٤/١٥٢ محمد بن عبدالله بن حميد
 ١٩٧ محمد عبدالله مليباري
 ٣٤٤/١٥٧ محمد بن عبدالوهاب (الشيخ)
 ٢١٩ محمد العبودي
 ١٧٨ محمد عبيد الحربي
 ٢٢٩/١٦٢/١٥٧ محمد عثمان الصالح
 ٢٠٠ محمد علوان
 ١٧٨ محمد العلي
 ٤٣١ محمد بن علي الأكرع
 ٣١٧/١٦٢/١٦١ محمد علي رضا
 ١٧٠ محمد علي السنوسي
 ٢٢٧/١٥٢ محمد علي قطب
 ٣٣٢/١٩٥ محمد علي مغربي
 ٢١٧ محمد العمري
 ٣٢٢ محمد بن عمر
 ٣٢٨/٣١٩ محمد عمر توفيق
 ٣٢٨/٣٢٠ محمد عمر رفيع
 ٣١٧/١٦٢/١٦١/١٥٢ محمد عمر عرب
 ١٧٠ محمد العيد الخطراوي
 ١٧٠/١٦٩ محمد الفهد العيسي
 ١٧٠ محمد الماعوظ
 ٢٨٨ محمد بن محمد !لاصفرايني
 ٥٣٢ محمد بن محمد بن سليمان الردائي
 ٤٣٠ محمد مطيع الحافظ
 ١٩٧ محمد المنصور الشقحاء
 ٣٣٤ محمد ناصر بن عباس
 ١٧٠ محمد هاشم رشيد
 ٢١٧ محمد بن يحيى

٣٤١ محمد حسن باجودة
 ٢٩٤/٢٢٢ محمد حسن باكلا
 ١/١٦٦/١٦٢/١٦١ محمد حسن عواد
 ٣/٣٠٤/٢٢٤/٢٠٨/٢٠٣/١٨٢/١٧٦/١٧٢/١٦٨
 ٣١٧/٣١٠/٣٠٧
 ١/١٧٠/١٦٧/١٦٢ محمد حسن فقي
 ٣٢١/٣١٨/٣١٦/٣٠٨/٣٠٧
 ٣٦٦/٣١٧/١٦٢ محمد حسن كتيبي
 ١٨٥/١٥٢ محمد حسين زيدان
 ٣٢٨ محمد حسين نصيف
 ١٩٧ محمد حمد الصويغ
 ١٧٨ محمد الدميني
 ١٩٧ محمد زارع عقيل
 ٢١٩ محمد بن زين بن عمير
 ٢٨٧ محمد زغلول سلام (د)
 ٤٣٣ محمد زين العابدين البرزنجي
 ١٧٠ محمد سراج خراز
 ٣١٧/٣١٦/٢٢١/١٦١ محمد سرور الصبان
 ٣١٧/ ١٦٣/ ١٥٧ . (د) محمد بن سعد بن حسين
 ٢٨٦ محمد بن سعد الشوير
 ١٧٠ محمد سعد المشعان
 ٣١٦/١٦٩ محمد سعيد علي الخنيزي
 ٣٣٠ محمد سعيد الشمفي
 ١٦٢/١٦١/١٥٢ محمد سعيد العامودي
 ٣٢٨/٣١٦/٢٢٢/٢١٤/١٨٥/
 ٢١٨ محمد سعيد كمال
 ١٧٠ محمد سليمان الشبل
 ٣١٧/١٦١ محمد شيخ حمدي
 ٣١٦/١٦١ محمد صبحي
 ٢٩٤ محمد صديق العوضي (د)
 ٣١٦/١٦١ محمد صلاح خليدي
 ٥٣٣ محمد الطبري
 ١٩٧ محمد بن طلال

٣٣٦ ندا
 ٢٠٢/١٩٧ نصر محمد عباس (د)
 ٢٨٢ النضر بن شميل
 ٢٩٩ نوال رواس
 ٢٩٩ نوال عبدالمنعم قاضي
 ٢١٤ نوالي مصلي
 ٢٩٩ نورة صالح الشمالان
 ٣٣٣ نورة بنت عبدالملك آل الشيخ
 ٢٩٩ وفيقة عبدالمحسن الدخيل
 ٣٢٠ هاشم سعيد النعمي
 ٣٣٤ هاشم عبده هاشم
 ٢٠٤ هدى الرشيد
 ٢٨٢ الهرماس بن حبيب
 ٢٩٩ هند بدر
 ٢٠٣ هند صالح باغفار
 ٢٠٤ هيام محمد الكيلاني
 ٢١٩ يحيى إبراهيم الأكمي
 ٢٠٠ يحيى حقي (د)
 ٣٠١/٢٩٨/١٩٧ يحيى ساعاني (د)
 ٣٣٥/٣٠٩ يوسف حسن نوفل (د)
 ١٦٤

٣١٢ محمود حسن زني
 ١٦٤ محمود رداوي
 ٣١٤/١٨٥ محمود عارف
 ٢٢٦ محمود عبد الوهاب
 ١٩٧ محمود عيسى مشهدي
 ٣٣٣ مديحة أحمد درويش
 ٢٩٥/٢٩٤/١٨١ مريم البغدادي (د)
 المظلوم: (عبدالكريم بن محمد البرزنجي)
 ٣١٦/١٦٩/١٥٢ مقبل العيسى
 ١٩٧/١٦٤/١٥٧ منصور إبراهيم الحازمي (د)
 ٣٣٤/٢٢٩ منى القصيبي
 ٢١٤ منيرة المسعود
 ١٩٣ موضي بنت منصور بن عبدالعزيز
 ٣٣٣ نادية عبيد
 ٢٩٩ نازك الملائكة
 ١٧٠/١٦٩ ناصر بو حميد
 ١٦٩ ناصر خسرو
 ٤٨٦ ناصر بن سعد الرشيد
 ٣١٣ نائلة قستي
 ١٩٣ نجاة خياط
 ٣٣٦ نجوى صلاح الغرابوي
 ١٨٢

رابعًا : الأسر والقبائل والجماعات

٢٦٠/٢٥٩/٢٣٩/٢٣٤/٢٣٠ الرولة
 ٥٢٩/٥٢٨ السرو
 ٧١٦ آل سلطان من الحرقان من عبيدة
 ٤٢٤ السنادى
 ٤٢٧ آل سويد
 ٧١٥ الصعائين من الموهة من مطير
 ٤٢٧/٤٢٤ الصنادحة
 ١٤٠ العامر في القصب
 ٤٢٧ الفلاليج
 ٧١٧ القبعة من حرب

٨٤٨ الأطرم والنقير من المشاعيب
 ٤٤٠ الأغوات
 ٤٣٣ آل البرزنجي
 ١٤١ الترايين من بني عطية من جذام
 ٨٥٢ الحمادا والمريزيق من بني وائل
 ١٣٨ آل حسين
 ٨٣٨ الحمدة : من فروع ثقيف
 ٥٧٣ الدفاعة من آل عويد
 ٥٧٢ آل ريعان من العربيات من سبيع
 ١٢٥ بنو رشيد : فروعها وبلادها

٦٩٣	مطير : فروعها وأفخاذها
٢٧٢	مناف بن دارم
٨٤٨	التقير والأطرم من المشاعيب
٥٥٥	هذيل: أوديتها وجبالها وقراها

١٣٨	آل مرشد
٨٥٢	المرزيق والحمدادا من بني وائل
٧٠٠	المساعيد من بني عطية
٧١٠	المضاربة سكان أبانين

خامساً : الكتب والصحف والمجلات والمكتبات

٢١٩	الأمثال العامية في المنطقة الجنوبية
١٥٧	أمثال الميداني
١٩٦	أمطار
٣٠٧	أمواج وأنباج
٢٠٩	أم حديجان
١٨٣	أم القرى
٢٠٣	أن تبحر نحو الأبعاد
٣٢٩	أنساب الأسر المتحضرة في نجد
٣٢٥	الإنسان بعصي لهذا يصنع الحضارات
٣١٨	أيامي
٣١١	الإيضاح
٣٢٥	أيها العار إن المجد لك
٣٢٥	أيها العقل من رآك
٢٢٨	بائع التبغ
٣٠١	البحوث الإسلامية
٢٠٣	البراءة المفقودة
٣١٢	البردة
٣٠٤	بريد الحجاز
٢٠٤	بسمه من بحيرات الدموع
١٩٥	البعث
١٨٥	البلاد السعودية
٢٧٢	بلاد العرب
١٩٧	البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة
	تاريخ الدولة السعودية حتى الربع
٣٣٣	الأول من القرن العشرين
٣٣٣	تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف

٣١٨	أبو زامل
٣٣٤	الاتجاهات العديدة والتنوعية للدوريات السعودية ..
٢٦٢	أخلاق عرب الرولة وعاداتهم
١٦٤	أدباء السعودية
١٥٣	الأدب الحجازي الحديث
١٦٥	الأدب السعودي المعاصر في الكتب المدرسية ..
٢١٧	الأدب الشعبي في جزيرة العرب
٢٢٠	الأدب الشعبي في الجنوب
١٦٣	الأدب في الخليج العربي
٣٠٥/ ٣٠٤/ ٢٢١/ ١٦٧/ ١٦٢	أدب الحجاز
٣١٧/ ٣١٦/	
١٦٩	الأديب
٣١٩	أربعون يوماً في المستشفى
٢١٧	الأزهار الندية
٢٨٩	الاستيعاب
٢٢١	إصلاحات في لغة الكتابة والأدب
٣٠٧	الأضواء
١٩١	اعترافات ذاتية
٣٢٨	إعلام الأعلام ببناء المسجد الحرام
٢٧٣	الأغاني
١٨٧	أفكار بلا زمن
٣٠١	اقرأ
٣٢٠	إلى ابنتي شيرين
٣١١	الأمثال
٢١٩	الأمثال الشعبية في مدن الحجاز
٢١٩	الأمثال العامية في مكة المكرمة

الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة	٣٣٣
الحياة الفكرية والأدبية في جنوب البلاد	
السعودية من سنة ١٢٠٠ إلى ١٣٥١	١٦٣
الخاتم والكتاب	٢٩٤
خالتي كدرجان	١٩٥
الخبز والصمت	٢٠٠
الخراسانيون ودورهم السياسي	
في العصر العباسي الأول	٣٣٣
الخطبة والتكفير	٧١٩
الخفجي	٣٠١
الخليج العربي للبحوث العلمية	٣٠١
خواطرمصرحة	٣٠٤
الدارة	٣٠٠
دار المريخ	٣٣٢
دائرة المعارف	٣٤٦
دراسات تاريخ الجزيرة العربية	١٤٣
دراسة في اجتماعيات التربية	٣٣٥
دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة	
في ضوء الإسلام	٣٣٥
الدعوة	٣٠٢
الدفاع	٣٠١
دوائر في دفتر الزمن	٢٠٠
دور التعليم العالي في التنمية الاقتصادية	
والاجتماعية بالمملكة العربية السعودية	٣٣٥
الدولة السعودية الأولى	٣٣٠
ديكارت بين الشك واليقين	٣٢٢
ذكريات	٣١٩
ذكريات طفل وديع	٣١٨
رابطة العالم الإسلامي (مجلة)	٣٠١
راشد الخلاوي — كتاب —	٢١٧
رامز وقصص أخرى	١٩٦
الرجولة عماد الخلق الفاضل	٣١٤
رحلات حمد الجاسر	٣١٩
رحلات وذكريات	٣١٩
الرحلة الأخيرة	٢٠٤

تاريخ المدينة لابن شبة	٦٨٣/ ٤٥٧/ ٣٧٢
تاريخ مدينة دمشق — ترجمة عثمان بن عفان ..	٨٥٩
تاريخ مكة	٣٢٧
تاريخ ينبع	٨٦٤
تأملات في الأدب والحياة	٣٠٥
التأمينات الاجتماعية	٣٠١
التبصرة في القراءات	٨٥٨
التبيين في أنساب القرشيين	٨٨
التجارة	٣٠١
تجارة الرياض	٣٠١
تراجم علماء جدة	٣١٧
التصنيع والتحضر في مدينة جدة	٣٣٥
التضامن الإسلامي	٣٠٠
تقييم النمو والنشوء	٣٣٥
تنظيمات الحج ودوره في عصر المماليك	٣٣١
التوثيق التربوي	٣٠١
التوعية الإسلامية	٣٠١
الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية	٣٣٥
الجيل الذي صار سهلاً	٣١٨
جروح جبين الحياة	٢٠٤
الجزيرة	٣٠٢/ ١٨٦
جسور إلى القمة	٣٢٢
جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد ..	٨٥٥
جمهرة النسب	٤٢٩
جناية الشعر الحر	١٧٥
الجندي الإسلامي	٣٠١
الجيل	٣٠١
الحجاز تحت الحكم العثماني	٣٣١
الحجاز واليمن في العصر الأيوبي	٧٢٠
الحجج	٣٠٠
الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية	١٥٨
حركة إحياء التراث	١٥٧
حسن (مجلة)	٣٠٢
حكايات من الماضي	٢١٩
حماية الأمن	٣٠١

الشعر في ظلال دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ١٦٣	رحلة الربيع ٣٢٠
شقراء ٢٨٦	رحلة الوزير الشرقي الإسحاقى إلى الحج
الشوق إليك ٢١٥	١٠٨ / ٢٦٤
شوق وشوق ٣١٥	٣٨٧ / ٥٢٨ / ٦٤٧
الشياطين الخرس ٢٠٨	الرسالة (مجلة) ١٨٣
صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ٣٢٠	رفات عقل ٣١٤
الصقور ٣٠١	الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ٣٣٠
الصمت والجدران ١٩٩	الروضة (مجلة) ٣٠٢
صوت الحجاز ٣٠٤ / ١٨٣	الرياض ٣٠٢ / ١٨٦
صور من حياة الملك عبدالعزيز يرويها	الزحف الأبيض ٢٠٥
طلال بن عبدالعزيز ٣٣٣	الزنايق الحمر ٢٢٧ / ٢٠٨
صور من المجتمع ٢٢٠	السباعيات ١٨٤
الضياء (مجلة) ٣٠٢	السحب الوابلة على ضريح الحنابلة ٣٤٢
طين ودم ١٩٦	سرايا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ٨٥٩
عاشق لعار التاريخ ٣٢٥	السراة (جريدة) ٣٠٣
العالم عام ١٩٨٤ ٢٢٨	السعد وعد ٢١٥
العالم ليس عقلاً ٣٢٤	السعودية — مجلة ٣٠١
عالم السعودية ٣٠٢	سفر نامه ٤٨٦
عالم الصناعة ٣٠٢	السلوك في طبقات العلماء والملوك ٤٣٠
عالم الكتب ٣٠١ / ١٩٧	سيدتي ٣٠٢ / ٢١٤
عالم الكتب والمكتبات ٣٠٢	سير أعلام النبلاء ٥٧٥
عبيث ٢٠٤	شاعرات من البادية ٢٢٠
عبير الصحراء ١٨١	الشباب ٣٠١
العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن ٣٣٣	الشرق ٣٠١
العرب ٣٣١ / ٣١١ / ٣٠٠	الشرق الأوسط ٣٠٢
العرب ظاهرة صوتية ٣٢٥	الشرقية ٣٠٢
العرب في أحقاب التاريخ ٣٢٩	الشعر الحديث في نجد ١٦٣
العصور ٣٣٢	الشعراء الثلاثة ١٦٢
العطاء الأكبر ٢٠٤	شعراء الحجاز ١٦٢
العقد الثمين من شعر ابن عثيمين ٣١٣	شعراء الحجاز في العصر الحديث ٣٠٥ / ١٦٧
علماء نجد خلال ستة قرون ٣٤٣ / ١٥٣	شعراء السعودية المعاصرون ١٦٤
علي بن مقرب العيوني — حياته وشعره ٢٩٨	شعراء بني قشير ٣١٢
عهد الصبا في الياضية ٢٢٨	شعراء نجد المعاصرون ٣٠٨ / ١٦٩
عيار الشعر ٢٨٧	الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين ١١٥ / ١٣٥
غار حراء ٢٠٩	١٦٣

٣٢٠	رحلة الربيع
٣٢٠	رحلة الوزير الشرقي الإسحاقى إلى الحج
١٠٨ / ٢٦٤	
٣٨٧ / ٥٢٨ / ٦٤٧	
١٨٣	الرسالة (مجلة)
٣١٤	رفات عقل
٣٣٠	الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر
٣٠٢	الروضة (مجلة)
٣٠٢ / ١٨٦	الرياض
٢٠٥	الزحف الأبيض
٢٢٧ / ٢٠٨	الزنايق الحمر
١٨٤	السباعيات
٣٤٢	السحب الوابلة على ضريح الحنابلة
٨٥٩	سرايا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
٣٠٣	السراة (جريدة)
٢١٥	السعد وعد
٣٠١	السعودية — مجلة
٤٨٦	سفر نامه
٤٣٠	السلوك في طبقات العلماء والملوك
٣٠٢ / ٢١٤	سيدتي
٥٧٥	سير أعلام النبلاء
٢٢٠	شاعرات من البادية
٣٠١	الشباب
٣٠١	الشرق
٣٠٢	الشرق الأوسط
٣٠٢	الشرقية
١٦٣	الشعر الحديث في نجد
١٦٢	الشعراء الثلاثة
١٦٢	شعراء الحجاز
٣٠٥ / ١٦٧	شعراء الحجاز في العصر الحديث
١٦٤	شعراء السعودية المعاصرون
٣١٢	شعراء بني قشير
٣٠٨ / ١٦٩	شعراء نجد المعاصرون
١١٥ / ١٣٥	الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين
١٦٣	

ما اتفق لفظه واُفترق مسماه من أسماء المواضع ١١٩	٨٤٤/ ٦٩٠/ ٥٤٩/ ٤١٤/ ٢٨٠
مأثورات شعبية ٢١٩	
ماضي الحجاز وحاضره ٣٢٨	
المتنبى شاعر العرب ٢١٥	
المجلة ٣٠١	
المجلة العربية ٣٠٠	
مجمع الأمثال ٣١٢	
مجمال اللغة ٨٥٨	
محمد حسن عواد شاعراً ٧١٨	
محمود تيمور والقصة القصيرة ٢٢٨	
المختصر من كتاب نشر النور والزهر ٣٣٦	
المدينة المنورة - جريدة ٣٠٢/ ١٨٥	
مذكرات طالب ٣١٩	
المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب ١٦٤	
المملكة العربية السعودية ٣٠٣	
المريد ٣٠٣	
المرصاد ٣٠٧/ ٢٠٨/ ١٨٤/ ١٦٧	
المسائية ٣٠٢	
مظلات على الداخل ١٩٨	
معاني أبيات الحماسة ٣١٣	
المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية .. ٥٣٨/ ٢٧٢/ ٧٠	
٨٢٠/ ٦٣٢	
معجم الأسماء الجغرافية ٤٣١	
معجم أسماء النباتات في منطقة جازان ٨٦٣	
معجم البلدان ٢٨٩	
معجم القصيم ٢٧٥	
معجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان ٢٢٠	
معجم ما استعجم ٢٩٠	
معجم المطبوعات العربية - المملكة العربية ٨٥٧/ ٧١٧/ ١٤٥	
السعودية ٢٢١	
المعرض ٢٢٧/ ٢٠٨	
المفتش ٢٨٦	
ملاحظات على البدو والوهابيين	

غداً أنسى ٢٠٤	
غداً سيكون الخميس ٢٠٤	
غرام ولادة ٢١٥	
غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ٩٤	
الغرفة التجارية ٣٠٢	
غيداء المنفي ١٧٨	
فرعون يكتب سفر الوجود ٣٢٥	
فضائل المدينة ٤٣٠	
فضائل بيت المقدس ٤٣٠	
الفتاء الباقي في رباعيات الخيام وغرامه أو	
فلسفة الكوز ٣٢٢	
فن القصة في الأدب السعودي الحديث ١٩٧	
الفنون الصغرى ٢٨٩	
في ربيع عسير ٣٢٠	
الفيصل ٣٠١/ ١٥٣	
في الليل لما خلي ٢١٥	
فيلسوف ٣٢١	
قافلة الزيت ٣٠٠	
القبلة (مجلة) ٣٠٤/ ١٨٣	
قدر .. ورجل ٣١٦	
قراءة في ديوان الشعر السعودي ١٦٤	
قصص من تاغور ٢٢٨	
قصص من سومرست موم ٢٢٨	
الكافية ٢٨٨	
كبرياء التاريخ في مأزق ٣٢٤	
كشف الحجب والستور عما وقع لأهل المدينة مع	
أمير مكة سرور ٧٦٧/ ٥٩١/ ٤٣٣	
اللائي الثمينة في أعيان شعراء المدينة ٣١٧	
لباب الإعراب ٢٨٧	
اللغة العربية بين القاعدة والمثال ١٨٩	
اللقاء العربي ٣٠١	
لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ٣٤١	
لن تلحد ٣٢٢/ ٢٩٦/ ١٨٨	
الليل والغرباء ٢٠٤	

النظرية التربوية في الإسلام	٣٣٥
نفثات من أقلام الشباب الحجازي	٣١٦/ ١٨٤
التقائض	٢٧٥
وحي الصحراء	٣٢١/ ١٦٧/ ١٦٢
٣٢١/ ٣١٧/ ٣١٦/ ٣٠٥/ ٣٠٤	
وفاء العرب	٢٠٧
وفاء الوفاء	٢٨٤/ ٢٨٣
الهجرة	٢٠٩
الهدية	٢٠٤
هذا الكون ماضيه	٣٢٤
هذه حياتي	٣١٩
هذي هي الأغلال	٣٢٤
هكذا علمني ورد زورث	١٨٩
الهلال	١٨٣
هموم عربية	١٨٩
اليمامة	٣٠٢/ ١٨٦
اليمن تاريخاً وحضارة	١٢١
اليوم	٣٠٢

الملك عبدالعزيز ومؤتمر الكويت	٣٣٣
المنار	٣٠١
المناسك	٢٨٤/ ٢٦٦
من أحاديث السمر	٤٢٤
من أدب المرأة السعودية	١٩٤
من ذكريات مسافر	٣١٩
المنهل	٣٠٠/ ٢٢٦/ ٢٠٨/ ١٨١/ ١٦٨
٣٣١/ ٣٠٦/	
مواد لتاريخ الوهابيين	٢٨٦
المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية وتعليم المرأة	٣٣٥
موجز من تاريخ الصحافة	٣٣٤
موسيقى الشعر	١٧٣
نبت الأرض	١٩٣
نبض	١٨٧
النجم الفريد	٢٢٨
نخبة الدهر	٢٢٧
الندوة	٣٠٢
النظرات اللاهثة	٣٢٢
النظرات اللاهية	٣٢٢

سادساً : المواضيع

مركز تحقيق الكويتي للدراسات والبحوث

الأشيعر	٥٥٩
إضم	٥٠٤
أظافر	٥٥٩
أظلم	٥٦٠
الأعوص	٥٥٩
أم البرك	٢٨٤
أم الجرفين	٥٦٠
أم دوحة	٥٦٠
أم الزلة	٥٦٠
أم طخر	٥٦٠
أم المحاوي	٥٦٠
الأميلح	٥٦٠

أهام : (بام)	
أبيم : (بيم)	
أحباب	٥٠٣
الأحد	٢٩١
إحليل	٥٥٩
الأحيا	٥٥٩
أخباب	٥٠٣
أخناب	٥٠٣
أذاخر	١٢٠
إذخر	١٢٠
الأشعر	٥٥٩
الأشيب	٥٥٩

٥٦١ جرول
 ٥٦١ الجعرانة
 ٢٨٢/ ٢٨٠ جلال
 ١١٩ جُلُجُلر
 ١٢٠ جليل
 ١١٩ جَلِيلر
 ٤١٧/ ٤١٥ الجماء
 ٥٥٠ جَماجِم
 ٥٥٠ جُماجِم
 ٥٤٩ جَمار
 ٥٤٩ جِمار
 ٤١٥/ ٤١٤ جَمال
 ٤١٦/ ٤١٥/ ٤١٤ جُمال
 ٤١٧/ ٤١٦/ ٤١٤ جُمَد
 ٤١٧/ ٤١٤ جَمَد
 ٢٨٥/ ٢٨٣/ ٢٨١ جمل
 ٨٤٧/ ٨٤٥ جناب
 ٦٩١ جنابا
 ٦٩٠ جنابة
 ٨٤٦/ ٨٤٤ جنفاء
 ٥٠٨/ ٤٨٩/ ٢٨٩ حباشة
 ٦٩١ حباياء
 ٥٠٦ حبر
 ٥٠٥ حبران
 ٥٠٧ الحيس
 ٥٠٧ حبس سيل
 ٥٠٨ حبل المشاة
 ٥٠٩ حبونن
 ٥٠٩ حبوني
 ٥١١، ٥١٠ الحيا
 ٥١١ حبي
 ٨٤٥ حثات
 ٣٩١ الحجر الأسود
 ٥٠٩ حجر

٥٦٠ أنف : (ربع أنف)
 ٢٩١ بارق
 ٥٦٠ بام (أبام)
 ٥٦١ بانه
 ٥٦١ بجلة
 ٥٦٠ بدالة
 ٥٦١ بطحان
 ٢٨٢ بقعاء
 ٥٦١ بلم
 ٢٨٥ بنو القين
 ٢٩١ بني شهر
 البوابة : (البهية)
 ٥٦١ البهية : (البوابة)
 ٣٩٢ البيت العتيق
 ٥٦١ بير الخيام
 ٥٦١ بيم : (أيم)
 ٤١٨ تريان
 ٥٦١ تفتفان
 ٤١٦ تناصيب
 ٢٨٩ تهامة
 ٥٦١ التيس
 ٥٦١ ثلثان
 ٤١٦ الشمذ
 ٥٦١ التنية
 ٣٩٨ ثور
 ٦٩٢ الجبابات
 ٨٤٧/ ٨٤٥ جباب
 ٦٩٢/ ٦٩٠ جبابه
 ٦٩٢ جبابه عزم
 ٦٩١ جبانا
 ٦٩٠ جبانه
 ٣٩٦ جبل أبي قيس
 ٢٨٥ جبل العارض
 ٥٦٠ الجبله

٣٩٨ دار أبي بكر الصديق
 ٣٩٧ دار خديجة
 ٣٩٨ دار الخيزران
 ٢٧٣ الديب
 ٥٦٣ الدحال السود
 ٢٧٣ الدحرض
 ٥٦٣ الدحيض
 ٥٦٣ دفاق
 ٥٦٣ الراضة
 ٥٦٣ راية
 ٣٨٢ الرضة
 ٥٦٣ الرتجة
 ٥٦٤ رخمان
 ٥٦٤ رخمين
 ٥٦٤ الرديم
 ٢٧٢ الرمادة
 ٢٨٥ رمل عاليج
 ٤٢٧ رنية
 ٢٣٧ الرواق
 ٥٦٤ رهجان
 ٥٦٤ الريان
 ٢٦٢ الريشة
 ربيع أنف : (أنف)
 ٥٦٤ زاق (?)
 ٥٦٤ الزبارة
 ٣٩١ زمزم
 ٥٦٤ ساق
 ٥٦٤ سان
 ٥٦٤ سبوحة
 ٥٦٥ سحار
 ٥٦٥ سدر
 ٢٤٤/ ٢٣٠ السرحان
 ٥٦٥ سقام
 ٢٨٤ السقيا

٢٣٠ الحجرة
 ٨٣٤ الحجون: (الحجون مرة أخرى)
 ٣٩٦ حراء
 ٥٦١ حراض
 ٤٥٢ حرب
 ٢٣٠ الحزل
 ٥٦١ حفايل
 ٢٨٣/ ٢٨٢/ ٢٨٠ حلال
 ١١٩ حَلَل
 ١٢٠ حَلِيل
 ٢٩١ حلي
 ١٢٠ حليل
 ١١٩ حَلِيل
 ٥٤٩ حمار
 ٥٤٩ حمار
 ٤١٥ حمال
 ٢٨٥/ ٢٨٣/ ٢٨١ حمل
 ٦٩٠ حنانة
 ٥٠٢ حوَاب
 ٥٦١ حورة
 ٥٦١ حوية هذيل
 ٥٦١ الحيا
 ٨٤٧/ ٨٤٤ حيفاء
 ٥٦٣ الخرار
 ٥٦٣ الخشاش
 ٥٦٣ الخشاع
 ٢٨٣/ ٢٨٢/ ٢٨٠ خلال
 ١٢٠ خليل
 ٤١٥ الخما
 ٤١٨ الخماء
 ٥٤٩ خمار
 ٥٦٣ خماس
 ٤١٨/ ٤١٧ الخمان
 ٦٩١ خناتا

٢٧٢ طويلع
 ٥٦٧ ظبية
 ٥٦٧ العجوز
 ٥٦١ العجيفا
 ٢٨٤ العرج
 ٥٦٧ عرعر
 ١٠٨/ ٤٧ عرفات
 ٢٨٢ عرفجاء
 ١٠٨ عرفة
 ٥٦٧ عروان
 ٥٦٧ عصم
 ٢٧٤ العوسجة
 ٢٨٣/ ٢٨١ عين جميل
 ٥٦٧ عين شمس
 ٥٦٧ الغريف
 ٢٨٢ غوطة بني لام
 ٥٦٨ الفرع
 ٥٦٨ فصعان
 ٥٦٨ الفوارة
 ٥٦٨ الفي
 ٢٨٤ فيد
 ٥٦٨ قانة
 ٥٦٨ قاوة
 ٥٦٨ قبل عيفان
 ٥٦٨ قرضة
 ٥٦٨ قرى عصم
 ٧٢ القعاميات
 ٢٤١ القعرة
 ٧٠ القعقاع
 ٧٢ قعمة
 ٧٢ القعيمة
 ٧٣ القفا
 ٧٣ قفاف الصمان
 ٧٤ القفيلة

٢٨٢ سلمى
 ٥٥٩ سمار
 ٢٧٣ السمراء
 ٥٦٥ سمر
 ٥٦٥ السوده
 ٥٦٥ سولة
 ٢٣٧ الشامه
 ٥٦٥ الشبكة
 ٥٦٥ شعجي
 ٥٦٥ شداد
 ٥٦٥ الشرا
 ٢٨٢ الشرف
 ٥٦٥ شعار
 ٥٦٥ شفا آل خالد
 ٥٦٦ شفا زلفه
 ٥٦٥ شفا الطلحات
 ٥٦٦ الشقرة
 ٥٦٦ الصدر
 ٣٩٥ الصفا
 ٥٦٦ صفية
 ٢٧٣ الصلبان
 ٥٦٦ صلب
 ٢٧٣/ ٢٧٢ الصمان
 ٥٦٦ صيف
 ٥٦٥ ضاف
 ٢٧٢ الضبيعات
 ٥٦٦ ضرعاء
 ٥٦٦ ضلعة
 ٥٦٦ ضهايا
 ٥٦٦ الضيقة
 ٥٦٦ ضميم
 ٥٦٧ الطحلا
 ٢٨٥ طويق
 ٢٣٧/ ٢٣٠ الطويل

٥٤٥ الكرسوع
 ٥٦٩ كساب
 ٥٤٥ كسكوس
 ٥٤٥ الكعبة
 ٥٤٥ كفرة
 ٥٤٦ الكفلة
 ٥٦٩ الكفو
 ٥٤٦ الكلاية
 ٥٤٦ كلاخ
 ٥٤٧ كلح
 ٥٤٧ الكمعة
 ٥٤٧ كنزان
 ٥٦٩ كنشيل
 ٥٤٨ كنهرة
 ٦٢٢ كنهل
 ٦٢٦ كواكب شحم
 ٦٢٦ الكوت
 ٦٢٨ الكوع
 ٦٢٨ الكويخا
 ٦٢٨ الكويكب
 ٦٢٨ الكهفة
 ٦٣٩ كهيلة
 ٦٣٩ كيوس
 ٨٢٠ اللبا
 ٨٢٠ لبداء
 ٨٢١ اللبدة
 ٨٢٠ لبن
 ٢٣٠ اللبة
 ٨٢١ لحظة
 ٨٢٢ اللحي
 ٢٨٤/ ٢٨٣/ ٢٨١ لحي جمل
 ٨٢٢ اللدام
 ٨٢٢ لضاف
 ٨٢٥ اللصافة

٧٤ القلات
 ٧٥ القلايب
 ٧٥ القلت
 ٧٥ القلعة
 ٧٦ القليب
 ٧٦ القلية
 ٧٦ القليعة
 ٧٧ قمادى
 ٧٧ القمعة
 ٧٧ القمية
 ٧٨ القنتان
 ٧٨ القنع
 ٧٩ القنفذ
 ٢٧٢/ ٨٠ قنور
 ٢٩١ قنونا
 ٢٧٣ قر
 ٥٦٨ القويعة
 ٢٧٦ القوت
 ٢٧٧ القوس
 ٢٧٧ القوع
 ٢٧٣ قوين
 ٢٧٧ قهدية
 ٢٧٨ قهوة
 ٢٧٨ قياس
 ٢٧٨ القيصومة
 ٥٣٨ كاظمة
 ٥٦٨ كبكب
 ٥٤٣ الكتيب
 ٥٤٣ الكتيب
 ٥٤٤ كحيللة
 ٥٤٤ الكدد
 ٥٤٤ الكدن
 ٥٤٥ كران
 ٥٦٩ الكر

٨١	مقنا: (مقناً البلدة الأثرية والأغلاط حولها)
٦٤١/ ٢٨٤	مكة
٥٧٠	مكة الرقة
٥٧٠	ملككان
٢٦٢	المملكة الأردنية الهاشمية
٢٧٤	النباج
٣٧٩	التنجير
٥٧٠	نخلة الشامية
٥٧٠/ ٢٨٥	نخلة اليمانية
٥٧٠	نعمان
٥٧٠	النفلة
٢٤١/ ٢٤٠/ ٢٣٨	التفود
٥٧١	نمار
٥٧١	النوارة
٥٦٤	وادي بني عمير
٥١٠	وادي حبونا
٥٧١	الوسيلة
٥٧١	وصيق
٥٧١	وعاجل (٩)
٢٣٧	الهورج
٥٧٠	يدعان
٥٧٠	يعرج
٤٢٨	يعومة
٤١٦	يناصيب

٨٢٧	لطيظ
٨٢٧	لعباء
٨٢٨	لعبا
٨٢٨	لعلع
٨٣١	لميمة
٨٣١	اللوى
٨٣٢	اللويحي
٥٦٩	مايد
٥٦٩	المبيرك
٥٦٩	المجاز
٥٦٩	المحضرة
٢٨٤	المدينة
٥٦٩	مرسى
٢٨٥	مر الظهران
٣٩٥	المروة
٣٨٧	المسجد الحرام
٦٤١	مسجد أبي بكر الصديق
٦٤١	مسجد بلال بن رباح
٦٤١	مسجد حمزة بن عبدالمطلب
٦٤٥	مسجد خالد بن الوليد
٦٤٢	مسجد الخيف
٥٦٩	المضيق
٥٧٠	المغمس
٣٨٨	مقام إبراهيم
٦٤٥	مقبرة خديجة

سابعاً : الشعر

١٨٠	بين الصمت والجنون
١٨٠	تهيجت حلماً .. تهيجت وهماً
١٦٩	جدران الصمت
١٧٥	جناية الشعر الحر
٣١٢	الحماسة
٢١٧	الدرر اليتيمة في أشعار النبط القديمة
٣١٤	ديوان ابن بليهد

١٨٢	أشعة الليل
١٨١	أشهد الوطر
٢٠٩	أصدقاء الظروف (مسرحة)
١٧٨	الى متى يختطفونك ليلة العرس
١٨٠	انتفضي أيتها الميعة
١٨١	الأوزان الباكية
٢١٧	أهازيج الحرب وشعر العرضة

٨٦١	شعر إبراهيم أمين فودة	٣١٢	ديوان أبي قيس صيفي بن الاسلت الأوسي الجاهلي
٢٩٩	شعر أبي ذؤيب الهذلي	٣١٢	ديوان أبي النجم العجلي
١٤٤	شعر الحارث بن خالد المخزومي	٣١٢	ديوان أحيحة بن الجلاح
٣١٣	شعر معن بن أوس المزني	٣١٤	ديوان الأسكوبي
٣١٣	شعر يزيد بن الطثيرة	٣١٤	ديوان البيتي
١٨٠	عاشقة الزمن الوردی	٢٨٨	ديوان تأبط شرا وأخباره
٣١٣	العقد الثمين من شعر ابن عثيمين	٨٦٠	ديوان حسين عرب
٢٩٨	علي بن مقرب العيوني - حياته وشعره	٣١٤	ديوان الزللي
١٨٠	عندما بانت سعاد	٣١٧	ديوان السلطانيين
١٨٠	عندما يسقط العراف	٣١٤	ديوان سليمان بن سحمان
١٨١	عواطف إنسانية	٣١٦	ديوان الشعراء المقلين
٢٨٧	عيار الشعر	٣١٢	ديوان الصمة بن عبدالله القشيري
١٨١	عينك فداك	٣١٢	ديوان عبدالله بن رواحة
١٦٤	قراءة في ديوان الشعر السعودي	٢١٧	راشد الخلاوي - حياته وشعره
١٨٠	قصائد من السفر	١٨٠/١٧٨	رسوم على الحائط
١٦٩	قلق	١٦٧	روح الشعر العربي
١٨٠	كذب الراوي	١٨١	زهرة حنان
١٦٩	لمن؟	٢٢٠	شاعرات من البادية
٢١٥	المتنبى شاعر العرب	٢٦٣	الشعر الحديث في نجد
٧١٨	محمد حسن عواد شاعراً	١٦٢	الشعراء الثلاثة
	المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة	١٦٢	شعراء الحجاز
١٦٤	العربية السعودية	٣٠٥/١٦٧	شعراء الحجاز في العصر الحديث
٣١٣	معاني أبيات الحماسة	١٦٤	شعراء السعودية المعاصرون
١٧٣	موسيقى الشعر	٣١٢	شعواء بني قشير
١٨١	نداء	٣٠٨/١٦٩	شعراء نجد المعاصرون
١٨١	وعد القمر	١٦٣/١٣٥/١١٥	الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين
١٨٠	الهجرة من الغرفة المائتة	١٦٣	الشعر في ظلال دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب